

تفسير

الكتاب المقدس عند الآباء

دكتور/ جورج عوض إبراهيم

تفسير

الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة

د.جورج عوض إبراهيم

دكتوراه في العلوم اللاهوتية - جامعة أثينا
باحث بالمركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية

اسم الكتاب : تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة

اسم المؤلف :د. جورج عوض إبراهيم

اسم الناشر : د. جورج عوض إبراهيم

georgeibrahim2257@yahoo.com

الطبعة الأولى : أغسطس ٢٠١٢م

اسم المطبعة : جي سي سنتر، ١٤ ش محمود حافظ
سفير - مصر الجديدة - ت : ٢٦٣٣٨١٣٧

رقم الإيداع : ٢٠١٢/١١٧٠٩



مثلث الرحمات

قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فهرس المحتويات

مقدمة

إن التفسير الكتابي للآباء يلتف حول المسيح كمحور ومركز. فالمسيح يسوع هو كمال النبوات والأمثلة والوعود المذكورة في العهد القديم ويجمع في شخصه التاريخ كله. وبالتالي فإن يسوع المسيح هو "هدف" الكتاب أي البداية والمركز والغاية بالنسبة للتفسير الكتابي، إنه هو مفتاح العهدين: القديم والجديد.

سوف نتعرف في هذا الكتاب على المفهوم الصحيح لمسألة تفسير الكتاب المقدس وعلاقته بالتقليد الكنسي والخلفية الفلسفية التي شكلت التفسير الكتابي في الكنيسة الأولى مع شرح مراحل التفسير في الكنيسة الأولى .وأيضًا نجد في هذا الكتاب التفسير الطيبولوجي والليتورجي للكتاب المقدس من خلال صور وأمثلة أسرار المعمودية والميرون والإفخارستيا كما شرحها الآباء، كذلك سوف نتعرف على طريقة تفسير القديس كيرلس للكتاب المقدس من خلال ردوده على الآريوسيين الذين أساءوا تفسير آيات الكتاب المقدس لكي يدعموا آرائهم الخاطئة بشأن الإبن. وفي النهاية نختم بكيفية قراءة الكتاب المقدس مع الآباء كما رآها أحد اللوثريين الذين أدركوا أهمية التعرف على كتابات الآباء. نسأل الله أن يساهم هذا الكتاب في تعميق أهمية كتابات الآباء لفائدة حياتنا وخدمتنا لمجد إسمه القدوس بشفاعة والدة الإله القديسة مريم وصلوات آبائنا القديسين، وبصلوات مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث وآبائنا المطارنة والأساقفة والكهنة .

ولإلهنا الثالوث القدوس الآب والإبن والروح القدس كل مجد وسجود وتسبيح الآن وإلى الأبد آمين.

الفصل الأول
التقليد وتفسير الكتاب المقدس

١. التفسير
ماذا تعنى كلمة "أفسر" و كلمة "التفسير"؟

إن مصطلح "أفسر" بكل مشتقاته اللغوية له علاقة مع جذور الكلمات التي تعنى: أُعَبِر، أشرح، أترجم، أَفهم "κάνω κατανοητό" (أجعل النص مفهومًا). في كل هذه الحالات نجد مفاهيم مترادفة: أجعل شيئًا مكشوف أو معلن، أشرح هذا الشيء بكلمات، أحلل محتوى هذا الأمر بكلمات، أترجم هذا الأمر بلغة أخرى.

إن عمل الإله هرمس " Ἑρμής " كمرسل من الآلهة كان التفسير "ερμηνεύειν"، فإلى هِرمس يُعطَّى كشف أو إعلان اللغة والكتابة والتي هي وسائل التواصل والشركة. ولكي نعرف هذا المعنى نقرأ في سفر الأعمال : " وكان يجلس فى لسترة رجل عاجز الرجلين مُقعد من بطن أمه ولم يمشى قط. هذا كان يسمع بولس يتكلم. فشخص إليه وإذ رأى أن له إيمانًا ليُشفى. قال بصوت عظيم قم على رجليك منتصبًا فوثب وصار يمشى. فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا. فكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس إذ كان هو المتقدم فى الكلام" (أع١٤ :٨-٢٠) . وهكذا لأن بولس الرسول ينقل بكلامه رسالة الإنجيل مفهومة قد أطلقوا عليه اسم هِرمِس أي المفسر. عندما يستحوذ الإلهام الإلهي إنسان ويجعله في حالة إلهام" أو "دهش"، عندئذٍ فإن الأمور غير المعلنة التي يقولها تحتاج إلى ترجمة وتفسير (أنظر ١كو١٢ :١٠-٣٠) " ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح.

ولآخر أنواع ألسنة. ولآخر ترجمة ألسنة، العل للجميع مواهب شفاء. العل الجميع يتكلمون بألسنة. العل الجميع يترجمون" (١كو١٤:٥): " إنى أريد أن جميعكم تتكلمون بألسنة ولكن بالأولى أن تتنبئوا. لأن مَن يتنبأ أعظم ممن يتكلم بألسنة إلاّ إذا ترجم حتى تنال الكنيسة بنيانًا"، " لذلك مَن يتكلم بلسان فليصل لكى يترجم" (١كو١٤:١٣).

وأفسر "ερμηνεύω" بمفهوم شرح الكتب يوجد فقط في (لو٢٤:٢٧): " ثم *ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يُفسر لهما الأمور المختصة به في* *جميع الكتب*". أما في الأزمنة الأولى للكنيسة فإن كلمة تفسير - ἑρμηνεία تعنى شرح أو مذكرة شرح ἐξήγση أو ὑπόμνημα. **لكن التفسير عند الآباء الشُرّاح (المفسرين) لم تكن إطلاقًا فقط عملية لغوية. كانت بالأخص توضيح "وجلي الغموض" علىمفهوم النص وصياغته بالنسبة لمشاكل عصرهم الروحية سواء كانت مشاكل لاهوتية أو سلوكية.** اليوم صار تمييز واضح بين مصطلح شرح ἐξήγση ومصطلح تفسير ερμηνεία لنصوص الأقدمين.

عندما "نشرح" نص اليوم، نعنى كل تلك الاحتياجات للأمور التاريخية واللغوية التي تقودنا إلى مفهوم النص كما هو في ذهن كاتب النص:

مَنْ الذي كَتَبَ النص؟

مَنْ هم الذين وُجه إليهم النص؟

ماسبب كتابة النص؟

بأي لغة كُتب النص؟

بأي أسلوب جديد كُتب النص؟

لكن، عندما "نفسر" نص اليوم نعنى بالأخص محاولة نقل النص القديم إلى الواقع اليومى المختلف جذريًا عن وقت كتابة هذا النص بدون تغيير جوهرى في مفهومه وبوعي كامل من جانب القارئ المعاصر لمفهوم النص القديم. وعلينا أن نشدد على أن الكتاب المقدس في كل عصر، هو

كتاب ليس فقط للشرح "ἐξήγνση" ولكن بالحري هو كتاب للتفسير ερμηνεία، أي كتاب لديه شيئًا يريد أن يقوله للبشر من خلال المفسر. فإن عمل الواعظ أو المفسر هو نقل الرسالة التي يريد أن يقدمها النص المقدس إلى الناس من خلال عظته. التحدي الحقيقى ليس في الاقتراب الصحيح إلى فكر كاتب النص ولكن أيضاً إمكانية القاريء المعاصر لفِهم الكاتب، أن يجعل فكر الكاتب هو فكره، وهذا ما فعله الآباء. لقد فهموا النص ونقلوا هذا النص مفهومًا إلى مؤمنيء عصرهم.

٢. طبيعة وفعل الكلمة الكتابية عند الآباء[١]

لا نتعرف - في كتابات الآباء - على الرأي الذي يتبناه الغرب بأن الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد الذي يحتوى على وصف دقيق للحقائق الأزلية الإلهية وللوصايا والعقائد التي تشمل كل الإعلان الإلهي، أي ما يُسمى بكفاية الكتاب المقدس الذي يحتوي على كل الإعلان الإلهي للبشر. هذا الرأى يحول الكتاب المقدس إلى نص له كفاية في حد ذاته، وإلى "أرشيف" محفوظ فيه كل شيء ومعيار وحيد صارم للمعرفة، ويهمش التقليد الكنسى. والأمر المؤكد هو أن الكتاب المقدس يحتوي على رسالة الخلاص كاملة، أي ما يُسميه الآباء: تدبير الخلاص، لكن الأمر الذي يتساوى في الأهمية هو تفسير النصوص تفسيرًا صحيحًا، نحن نتحدث عن تفسير النص الكتابي وكيفية تحقيق ما يخبرنا عنه هذا النص من عطايا خلاصية. وهذا لا يتحقق إلا بمعايشة إيمان الكنيسة وتقليدها المُسلم مرة للقديسين.

يجمع كل الكُتّاب الكنسيين على أن وحي الكتاب المقدس يخص جوهريًا الأمور المعلنة والحوادث الشاهدة على التدبير الإلهي والتي قد أتمها الله، وأيضًا على الصياغة الكتابية الشاهدة للإعلان الإلهي. إن

1- Ιωάννου Παναγοπουλου, Ἡ Ερμηνεία τῆς Αγίας Γραφῆς στήν Εκκλησία τῶν πατέρων, Τόμος Α,' Αθῆνα 1991 σελ. 39.

هذا المرجع أيضًا من المراجع الأساسية لنا

الصياغة الكتابية هي متوافقة تمامًا مع هذه الحوادث، ولكن هي أيضًا تعبير بشري وتاريخي للإعلان الإلهي، والذي بالتأكيد يتجاوب بطريقة إمتثالية مع الإلهام الإلهي في هذه الحوادث التي تعلنها هذه الصياغة الكتابية. هذا "التوافق" بين الحرف والأمر المعلن يمثل طبيعة الكتاب المقدس الملهمة وبالطبع يحدد طريقة تفسيره. نتيجة لذلك فإن الكتاب يسري على الكنيسة كـ "كتاب مقدس" بسبب أنه يهدف إلى "الفائدة" أي إلى امتثال حياة المؤمنين بالمسيح. هذه "الفائدة" هي هدف الكتاب المقدس وليس فقط مجرد الإنباء عن حوادث أو أشخاص يؤرخ لهم. بهذا المفهوم، ينبغى أن نفهم التقليد المعتاد عند كليمندس وأوريجينوس وفيما بعد الآباء الذين أتوا بعدهما: بأنه لا يوجد حرف في الكتاب المقدس بلا فائدة. لذا فإن الكُتاب الكنسيين قد استخدموا كل المناهج التفسيرية اللغوية المعروفة في عصرهم، وكما كانت موجودة في الأسكندرية وغيرها قبل الأزمنة المسيحية. ونذكر شهادة القديس باسيليوس الكبير والتي تعبر عن مبدأ ثابت للتفسير الآبائى للكتاب: "وإذا كان صمت الغبي يعتبر حكمة" (أم٨٢:٧١) فما أعظم جائزة المستمع الحكيم الذي أشار إليه النبى في نفس العبارة بالمشير العجيب (إش٣:٣). مثل هذا المستمع يستحق كل ثقة بل يستحق أن ندفعه إلى الأمام لكى يحقق تقدمًا أكبر، متكاتفين معه في الأتعاب لكى يمضى سائرًا نحو الكمال. والاهتمام بالمصطلحات التي تستخدم في اللاهوت هو أمر يفوق غيره، والمعاناة في سبيل الوصول إلى المعانى الخفية في كل عبارة وكلمة هي الفضيلة التي لا وجود لها في حياة المتكاسلين عن التقوى، بينما هي ما تميز الذين يسعون وراء الجعالة العليا لدعوتنا (في٣:١٤). لأن الغاية التي علينا أن نصل إليها هي أن نتشبه بالله على قدر احتمال الطبيعة الإنسانية. ولكن التشبه بالله لا يكون بدون معرفة والمعرفة لا تأتى بدون دراسة، وبداية الدراسة هي التعليم، والتعليم بالكلمة وأقسام الكلمة هي الألفاظ والحروف، إذن التدقيق في الحروف ليس انحرافًا عن القصد.."[٢].

٢- الروح القدس للقديس باسيليوس (الفصل الأول: فقرة ٢).

وقد سبق للعلامة أوريجينوس توضيح هذه الحقيقة في عظته الأولى على سفر الخروج: "أعتقد أن كل كلمة في الكتاب المقدس تشبه بذرة من طبيعتها أن تنتشر وتتغلغل وتتكاثر، ويُعاد ولادتها - أي تثمر سنبلة حنطة أو أي نوع من جنسها، إذا ما أُلقيت في الأرض. وكلما بُذل الجهد والعرق في إنباتها كلما كان تكاثرها سريعًا خاصةً إن كان الزارع نشطًا ومتحمسًا دؤوبًا أو كانت الأرض خصبةً. لهذا حين يكون الزارع نشيطًا فإن "حبة الخردل" الصغيرة مثلاً "التي هي أصغر الحبوب جميعًا، قد تصير أكبر من كل الأعشاب وتصير شجرة تأتي إليها طيور السماء وتسكن بين أغصانها" (أنظر مت١٣ :٣١-٢٣). هكذا الأمر أيضًا مع الكلمة التي قُرئت على مسامعنا الآن من الأسفار الإلهية. وبالرغم مِن أنها تبدو لنا من أول وهلة صغيرة حين ندنو منها، فإنها إن وجدت مزارعًا دؤوبًا نشطًا وحاذقًا، يبدأ في زراعتها وإستصلاحها وتناولها بالمهارة الروحية، فهي تنمو شجرة يافعة تطرح أغصانها وأوراقها النضرة. ويمكن أن يأتي إليها مباحثو هذا الدهر وحكماؤه ومناظروه (١كو٢٠:١) ومثل "طيور السماء" على أجنحة النسور الخفيفة يطلبون الأفكار العالية العسرة بتدفق الكلمات وحدها. وإذ تأسرهم المباحثات، يرغبون أن "يسكنوا في تلك الأغصان" (مت٢٣ :٣١) حيث لا بلاغة في اللغة بل نظام حياة"[٣].

هكذا فإن المفهوم الحقيقي للكتاب لا يُعرف دائمًا بسهولة من الكل. لأن الحقيقة الإلهية تُصاغ بمساعدة اللغة البشرية والتي تعبر دائمًا عن أمور مخلوقة ومحدودة، وليس إطلاقًا عن الجوهر الإلهي، لذا ينبغى أن يُعتبر الكتاب كـ "إظهار" وإعلان" للإرادة الإلهية[٤] . إن الكتاب هو الشهادة الملهمة بالروح القدس عن الإعلان الإلهي، وهو في نفس الوقت المرشد الأمين نحو هذا الإعلان، وبهذا المفهوم هو - لدى القديس كيرلس الأسكندرى - "

3- The Father of the Church, Origen, Homilies on Gensis and Exodus, Translated by Ronald E. Heine, volume 71, P. 227.

٤- القديس غريغوريوس النيصي، ضد إفنوميوس ΒΕΠΕΣ 67,193.

الفردوس العقلى"، وعند القديس ذهبى الفم "الكنز" و"النور" الذي يكشف - بواسطة أسس روحية للإيمان - الإرادة الإلهية وتفعيلها في حياة المؤمنين.

إن الآباء لم يعتبروا أبدًا الكتاب المقدس نصًا عاديًا، لكن بالنسبة لهم هو الظهور الصادق لأمور تخص فائدة الإنسان. أي كل ما كُتب كُتب لفائدة الإنسان في حياته اليومية، وهدف الكتاب هو تفعيل كل الأمور المكتوبة لفائدة المؤمنين فى حياتهم، وهذا يحدث بواسطة أسس روحية إيمانية من جانب المؤمنين وليس تفعيل آلى لمجرد قراءة الصياغة المكتوبة.

هكذا بعض الأسس الآبائية التي سوف نكتشفها من خلال تفاسير الآباء هي الآتي:

١. **جوهر الإعلان الإلهي هو في حد ذاته غير مدرك ولا توجد كلمة بشرية تعبر عن جوهر الإعلان الإلهي بدقة.** بالتالي جوهر الله هو غير مدرك للبشر في كماله. ما نعرفة هو أفعال هذا الجوهر وليس الجوهر في حد ذاته. فالأسماء هي بشرية مثل (آب وإبن وروح، قدوس، ...الخ) وتنتمي للبشر وتُعبِر بطريقة مناسبة للبشر عن أمور إلهية، ومحاولة التعبير عن عمل الله عبر تاريخ الخلاص باللغة البشرية بإلهام الروح القدس هو ما فعله كُتاب الأسفار الإلهية.

٢. **التفسير اللغوي ليس له المرتبة الأولى في عملية التفسير** بل الإيمان هو أساس التفسير الصحيح وتأتي بعد ذلك الأهمية اللغوية والتاريخية. والكلمات البشرية هي أيضًا الوسيلة التي نعبر بها عن التفسير الصحيح.

٣. **كلمة الكتاب المقدس تُعلن الفعل التاريخي لمحبة الله للبشر.**

٤. **التفسير الكتابي ينمو ويتجدد دائمًا قياسًا بنمو وتجديد الفكر الكنسي عبر الأزمنة** دون مساس بمحتوي إيماننا العقيدي الأساسي.

٣. شخص يسوع المسيح والكتاب المقدس

إن طبيعة الكتاب المقدس كـ " كلمة مكتوبة " تُفسر في سياق لاهوت التجسد. ومن المعروف، بلا شك، أنه كلما صار التقليد الخريستولوجى(٥) للكنيسة واضحًا وثابتًا، أي إيمان الكنيسة المستقيم عن المسيح بأنه إبن الله الواحد مع الآب في الجوهر وبتجسده لأجل خلاصنا، كلما صارت أيضًا مبادئ التفسير الكتابى للآباء واضحة وثابتة.

إن وجود الكتاب المقدس هو نتيجة أساسية لتجسد الرب. بحسب رأى العلامة أوريجينوس، فإن اللوغوس ـ قبل أن يتجسد ـ كان غير مدرك وغير منظور وغير مكتوب، أما بالتجسد صار بحسب طبيعته البشرية، مُدركًا ومنظورًا ومكتوبًا(٦).

إن الكتاب المقدس يؤكد على حقيقة وتاريخية التجسد. **الكتاب المقدس، مثل شخص يسوع المسيح بلاهوته وناسوته، فالصياغة المكتوبة للكتاب تتوافق مع ناسوته في حين أن المفهوم الروحي له يتوافق مع لاهوته.** وكما أن ناسوت المسيح يؤكد على ألوهيته ويرفعنا إليه، هكذا أيضًا الكتاب. فالصياغة المكتوبة تؤكد على المفهوم الروحي وترفعنا إليه. وبالتالى فإن الكتاب ينبغى أن يُفسر وفق هذان الوجهان. وهنا لابد أن ننبه إلى أن الآباء لم يقبلوا مفهومًا ثنائيًا للكتاب، بل نادوا بعلاقة جوهرية بين المفهومين حيث لا يوجد مفهوم بدون الآخر، فكما هو في حالة طبيعة المسيح، **هكذا فإن المفهومان لا يجب أن يصير مزج بينها أو انفصال. وهكذا بالإيمان المستقيم بالمسيح (الخريستولوجى) حُددت طبيعة وعمل الكلمة الكتابية تحديدًا صارمًا:**

يقول القديس كيرلس الأسكندرى في رسالته (٩٣) إلى نسطور موضحًا هذا الأمر: [... نعترف أن ربنا يسوع المسيح، ابن الله، الوحيد،

٥- مصطلح " خريستولوجى ": كلمة يونانية تتكون من مقطعين "خرستوس" = المسيح، "لوغوس" = علم، وتُترجم علم الكلام عن المسيح أو التعليم عن المسيح.

٦- أوريجينوس، ضد كيلسو VI: 77

هو إله كامل وإنسان كامل ذو نفس عاقلة وجسم، وهو مولود من الآب قبل الدهور بحسب لاهوته، وأنه هو نفسه في الأيام الأخيرة، من أجلنا ومن أجل خلاصنا وُلِدَ من مريم العذراء بحسب ناسوته، وهو نفسه من الجوهر نفسه الذي للآب حسب لاهوته، ومن نفس الجوهر الذي لنا بحسب ناسوته. لأنه قد حدث اتحاد بين اللاهوت والناسوت. لأجل هذا نعترف بمسيح واحد، ابن واحد، رب واحد. وبحسب هذا المفهوم للاتحاد بدون اختلاط نعترف بأن العذراء القديسة هي والدة الإله، لأن الله **الكلمة** قد تجسد وتأنس، ومنذ ذات الحمل به وحّد الهيكل الذي أخذه منها، مع ذاته. ونحن نعرف أن اللاهوتيين ينسبون بعض أقوال البشيرين والرسل عن الرب باعتبارهما تشير بصفة عامة إلى شخص واحد، ويقسمون أقوالاً أخرى بأنها تشير إلى (لاهوته وناسوته)، فتلك التي تليق بالله ينسبونها إلى لاهوت المسيح، أما تلك الأقوال المتواضعة فينسبونها إلى ناسوته][٧].

إن يسوع المسيح يعتبر هو البداية والمركز وغاية التفسير الكتابي، أي هو نفسه " هدف " الكتاب. والهدف يتطلب دائمًا حضور المسيح في مسيرة التدبير الإلهي والذي صار قمته في "التجسد". فالهدف والتجسد يتطابقان، **أي أن غاية الكتاب هو التجسد.** بتطبيق "الهدف" الذي يرمى دائمًا إلى الفائدة، فإن التفسير الكتابى هو دائمًا جوهرى وحيوى طالما يهدف إلى الحقائق الإلهية الكتابية في الحياة الشخصية للمؤمنين: " *فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضًا في جدة الحياة...* " (رو٤:٦-٤١). هذا النوع من التفسير الروحي الذي يربط البحث اللغوى، والتاريخى للحقيقة الكتابية بالبُعد الحياتى لها والعمل الليتورجى للكنيسة، هو المساهمة الدائمة والأساسية للتفسير الآبائى. **وهكذا فإن التفسير الآبائى يتضمن:**

أ . العمل الليتورجي للكنيسة الذي يهدف إلى تحقيق الحوادث الخلاصية للتدبير الإلهي ليتورجيًا في حياة المؤمن.

٧- رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكى، اصدار مركز دراسات الآباء، والدكتور نصحى عبد الشهيد، يوليو ١٩٨٨، ص ٤٣ـــ٤٤.

ب. البحث اللغوى والتاريخي للنص لمعرفة الحقيقة الكتابية.

ج. البُعد السلوكى العملى للتعاليم الكتابية.

إذن التماثل بين المسيح والكتاب يخص فقط طبيعة الكتاب، بالتالي المفهوم التاريخي والروحي للكتاب يحددان الطبيعة المزدوجة له، ولا يقصد بهما الكلام عن منهجين مختلفين للتفسير.

إن تفسير الكتاب من وجهة النظر الخريستولوجية. هو تمامًا قضية وجودية وشركة في حياة المسيح. إن العلامة أوريجينوس عندما يفسر حدث التجلى يتحدث عن "أشكال" مختلفة للرب، فالشكل البشرى تمامًا يراه أولئك القابعون أسفل الجبل. لكن هؤلاء الذين صعدوا مع المسيح على الجبل تمتعوا بلمعان ملابسه وبهاء وجهه.

نفس الأمر يحدث مع تفسير الكتاب. فمَنْ يمكثون عند الحرف لا يستطيعون إطلاقًا الاقتراب مَنْ ألوهية المسيح. بينما مَن يعبرون من برقع الحرف يدخلون إلى جمال المجد الإلهي ويصنعون شركة. بالنعمة. مع الجمال السري للكتاب المقدس.**ويشرح العلامة أوريجينوس هذه الحقيقة بأكثر وضوحًا في عظته الأولى على سفر اللاويين قائلاً:** [وكما "في الأيام الأخيرة" (أع٢:١٧) فإن **كلمة** الله الذي تسربل بالجسد من مريم، قد جاء إلى هذا العالم. وما رؤي فيه كان شيء ما، وما فُهِمَ كان شيئًا آخرًا. لأن منظر جسده كان متاحًا للكل أن يروه، لكن معرفة لاهوتة فقد أُعطيت لقليلين... هكذا أيضًا حين جاءت كلمة الله إلى البشر بالأنبياء ومعطي الناموس (موسى)، فإنها لم تأت من دون أن تتسربل بشكل مناسب. لأنه مثلما كانت هناك مغطاه ببرقع الجسد أو حجابه (انظر ٢كو٣:١٤)، هكذا هنا أيضًا جاءت بحجاب المعني الروحي المخبأ داخله.. هذا هو ما نجده الآن. إذن ونحن ندخل في سفر اللاويين حيث الطقوس والذبائح والتقدمات المتنوعة وخدمات الكهنة التي تُوصف فيه، فإننا نسمع نحن المستحقون وغير المستحقون هذه الأمور بحسب الحرف،

والذي هو، إن جاز القول، جسد **كلمة** الله، وكساء لاهوته ولكن "طوبى لتلك العيون" (لو١٠:٢٣) التي ترى داخليًا الروح الإلهي المخفى في حجاب الحرف، ومبارك الذين يأتون بآذان نقية ليسمعوا هذه الأمور. وإلا سوف يدركون علانيةً "الحرف الذي يقتل" (٢كو٣:٦) في تلك الكلمات[(٨)]

الحرف يقتل لأننا لو بقينا عنده، نجد أنفسنا مضطرين ـ كما يقول العلامة أوريجينوس ـ أن نقدم ذبائح وعجول وحملان ودقيق مطحون مع بخور وزيت. **فالإلتصاق بالحرف هو السقوط بعينه.** الحل عند العلامة أوريجينوس أن نلجأ إلى الروح القدس لكي يرفع كل سحابة وكل ظلمة قد تطمس الرؤية في قلوبنا التي تقست بأدناس الخطية حتى نتمكن من أن نرى المعرفة الروحية والعجيبة لناموسه، وفق ذاك الذي قال: "إرفع الحجاب عن عيني، فأرى عجائب من ناموسك" (مز١١٩:١٨).

والقديس غريغوريوس النيصى يتبنى التفسير الكتابي كعمل صعودى للمعرفة الإلهية وذلك في عمله التفسيرى عن "حياة موسى". هكذا فإن تفسير الكتاب يصير كعمل روحى وصعود سري نحو الدرجات الروحية الأسمى، لذلك كل مرحلة "تفسيرية" تُصعدنا إلى أعلى لمعاينة شكل من الأشكال "المختلفة" لحياة الرب.

إن السياق الداخلي لشخص وعمل يسوع المسيح بالإضافة إلى طبيعة وتفسير الكتاب المقدس يمثلان المساهمة الفعالة والحيوية لآباء الكنيسة في مجال التفسير الكتابي. **لذا أي سوء فهم للإيمان الخريستولوجى له نتائج مباشرة في مجال التفسير الكتابي.** بالتالي، فقط تحت نور وإطار الخريستولوجية الأرثوذكسية يتوافق التفسير الكتابي مع "هدف" الكتاب المقدس. إذن التفسير الكتابي مرتبط بالإعلان الإلهي عن الاعتراف بالمسيح بلاهوته وناسوته في وحدة لا انفصال فيها ولا امتزاج.

8- The Father of the Church, Origen, Homilies on Gensis and Exodus, Translated by Gary Wayne Barkley, Volume 71, P.29

وهذا يصير عندما نُظهر وجهي الكتاب، أي الحرفى التاريخي، والروحي السري، وذلك بمساعدة المناهج التفسيرية المناسبة.

٤. الحرف يقود إلى الروح:

τό γράμμα ώς άναγωγή στό πνεῦμα

إن التماثل بين الكتاب المقدس وشخص المسيح يستلزم المفهوم الخاص وعلاقة وجهي الكتاب المقدس أي الحرف والروح. عندما يتحدث الآباء عن المفهوم بحسب الحرف وفكر الكتاب بحسب الرؤية الروحية فهم يطبقون - في تفسيرهم الكتابي - مبدأ عام هو نتاج تفسير التجسد، الذي يستلزم علاقة داخلية صعودية (تصاعدية) من الأمور المخلوقة نحو الأمور الذهنية والروحية. هذا المبدأ يمثل التقليد المحدد فعلاً من القرن الرابع. فكل شيء مخلوق لديه - بحسب طبيعته - ديناميكية وحركة نحو الكمال الروحي، أي في حاجة دائمة لأن يكتمل[٩]. وهذا هو بالضبط عِلة وجود هذه الأشياء. هذه الوحدة الداخلية يقر بها الآباء ويطبقونها في كل المواضيع اللاهوتية. هكذا تحت نور التجسد يأخذون كل أمر تاريخي ومادى على أنه ظِل أو صورة أو إشارة مسبقة للروحى والذهنى. إن آباء كنيستنا لم يعرفوا تلك النظرة الغربية التي تبنت التضاد الجذري بين العالم المحسوس والعالم الذهنى، بين الكنيسة والعالم، بين الإيمان والمعرفة، بين النظرية والعمل، بين الذات والموضوع.. الخ. إن لم نقبل هذا الفهم الحقيقي للتجسد ونتائجه هذه، لا نستطيع أن نفهم الأساسيات التي يتكون منها اللاهوت الآبائى ولا تفسيرهم الكتابي. فالمشكلة تكمن في الفصل بين الاثنين أي الوجه الحرفى عن الوجه الروحي عندئذٍ للأسف يتحقق ما قاله بولس: " الحرف يقتل" (٢كو٣:٦).

٩- أنظر غريغوريوس النيصى P.G. 45,25BC

٥. الأسس الكنسية للتفسير الكتابي

οἱ ἐκκλησιαστικοί ὅροι τῆς Βιβλικῆς ἑρμηνείας

كان الآباء يهدفون - من تفسير الكتاب - إلى تفعيل تلك الأمور الخلاصية التي يتحدث عنها الكتاب. وهذا هو هدف الكتاب، كما رأينا سابقًا. إن "هدف الكتاب - في هذا الإطار - يتقابل تقابلاً مطلقًا مع "هدف" الإيمان والكنيسة، وينبغى أن يُستخدم كقانون لتفسير الكتاب. **لذا يقول القديس أثناسيوس:** "فلو أن أعداء المسيح فكروا في هذه الأفكار، وعرفوا النظرة الكنسية كمرساة للإيمان لما انكسرت بهم سفينة الإيمان"[١٠]. لقد مارس المسيح أولاً التفسير الكتابي هذا وفق الروح، **المسيح الذي هو مركز الكتاب والروح القدس الذي ألَهم كُتابه:** "فلنشكر (الرب) لأجل الأمور المعلنة بواسطة الروح القدس والتي كانت مخفية وسرية"[١١]. إذن المسيح وروحه يسكنان في الكتاب و"يعملان" بالكتاب، **لذا قبل قراءة الكتاب لابد أن نستدعى الروح القدس:**

أ- **بالصلاة** ينفتح المؤمن على النعمة الإلهية ويقبل نور الروح. إنه نفس الروح الذي ألهم كاتبى الكتب المقدسة، وهذا الروح يقودنا إلى فهم التعاليم الإنجيلية. **وبناء على ذلك فإن تفسير الكتاب لابد أن يكون عمل روحي يشرع في معرفة الأسرار الإلهية.**

ب- **أيضًا كمبدأ للتفسير الكتابي - الإيمان المستقيم، أولاً وبالأخص، بالثالوث القدوس.** لأنه هو ملء الصالحات، وإليه تتجه النفس، إن الإيمان به هو "عقيدة مستقيمة" و"قانون التقوى". **الإيمان بالثالوث** أعلنه بالتأكيد الكتاب المقدس، وصيّغ جهرًا في المجامع المسكونية وفي التقليد الليتورجي للكنيسة. بهذا المفهوم فإن هذا الإيمان يمثل مرشد تفسيري ومبدأ أول للرؤية الروحية.

ج - **أخيرًا هناك بُعد هام للتفسير الكتابي وهو الاشتراك في الحياة**

١٠- (أنظر ١تيمو١: ١٩) الرسالة الثالثة ضد الآريوسيين فقرة ٥٨

١١- غريغوريوس النيصى، تفسير نشيد الأنشاد الفصل الرابع .BEΠ 30, 274

النسكية الفُضلى التي مارسها كاتبي الكتاب المقدس لأن الذي يشترك في هذه الحياة يستطيع أن يدرك المفاهيم العميقة لأقوالهم. فتطهير الذهن مبدأ أساسي للتفسير لكي يكتشف المؤمن قوة الروح وعمله ليشرع في حياة روحية سامية. لذا يقول القديس أثناسيوس في كتابه تجسد الكلمة (فصل ٥٧): [إن دراسة الكتب المقدسة ومعرفتها معرفة حقيقية تتطلبان **حياة صالحة، ونفسًا طاهرة وحياة الفضيلة التي بالمسيح**. وذلك لكي يستطيع الذهن - بإسترشاده بها - أن يصل إلى ما يتمناه وأن يدرك بقدر إستطاعه الطبيعة البشرية ما يختص بالله **الكلمة**. فبدون الذهن النقى، والتمثل بحياة القديسين، لا يستطيع الإنسان أن يفهم أقوال القديسين][١٢].

هذه الأسس والمبادئ الكنسية للتفسير الكتابي . عند الآباء . ليست تقاليد كنسية تُفرض من الخارج لتضمن التفسير الصحيح للكتاب ولكن هي مبادئ تخدم الحياة الروحية للمؤمن. لذا يُطابق الآباء - بهذا المفهوم - الكتاب المقدس وفق "هدف" و "طبيعة" و "عمل" الكتاب المقدس بالكنيسة. إن "التفسير الروحي" لا يخص دلالات هذه الكلمة الكتابية لغويًا فقط، لكن يعنى أيضًا أن التفسير يصير بواسطة الروح القدس. الحديث هنا عن خبرة سرائرية ومعاشة للكتاب المقدس لا ترتبط بأفكار روحية مجردة بل تستند على معايشة إعلان الثالوث القدوس في المسيح على أساس أن المسيح يمنح البشر النور غير المخلوق الذي يُدعىَّ إليه كل واحد لكي يتحد به شخصيًا بنعمة وقوة الروح القدس[١٣].

١٢- القديس أثناسيوس، تجسد الكلمة، ترجمه عن اليونانية وتعليقات د. جوزيف موريس فلتس، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، طبعة ثانية أبريل ٢٠٠٣، ص١٦٧.

13- Γ. Μαντζαρίντης, Μέθεξις θεοῦ, θεσσαλονίκη 1979, σελ. 104.

٦. الآباء والتقليد (التسليم)

أ. التسليم أو التقليد:

إن مصطلح التسليم "Παράδοση" قد ورد في العهد الجديد بشأن التعليم الذي يُسلم، مثلاً في (١كو١١ :٢): *"فأمدحكم أيها الاخوة على أنكم تذكرونني في كل شئ وتحفظون التعاليم كما **سلمتها** إليكم"*. إذن بهذا المصطلح نعني كل ما يخص محتوى إيمان وحياة المسيحية الأرثوذكسية، والذي سُلم عن طريق "الإله المتأنس" المسيح إلى تلاميذه ورسله وبالتتابع نُقل بواسطتهم إلى الكنيسة بتعاقب مستمر لا ينقطع للأساقفة خلفاء الرسل. **كانت الكلمة الشفاهية والحية للرسل، في القرن الأول، تُنقل من فم إلى فم، وأصبحت الكنيسة مميزة بالتقليد الرسولى الشفاهي**، لكن هذا التقليد، بمرور الزمن، صار مكتوبًا وانضم إلى الحقائق الصادقة التى تشهد لتفسير الكتاب المقدس. إن الرسل، كما هو معروف، قد سلموا فقط جزءً صغيرًا من الإعلان الإلهي مكتوبًا، أي كتب العهد الجديد. لكن أهمية التقليد الشفاهي أبدًا لم تَقِل، لأن محصلة الإعلان الكتابي سلمه الرسل إلى الكنيسة شفهيًا كتقليد رسولي شِفاهي.

لقد امتثل تلاميذ ورسل الرب لوصيته بأن يكرزوا بإنجيله إلى كل الأمم، وذهبوا إلى المسكونة كلها *"حتى أقاصى الأرض"* (مت٢٨ :١٩). لذلك دعا الرب تلاميذه رُسلاً (لو٦ :١٣)، لأن الرسالة لم تكن مجرد رسالة معتادة لكن أمر إلهي لتحقيق ما قد أُمروا به بسلطان (مت١٠ :١، مر٣ :١٥، لو٩). وبجانب أنهم صاروا شهودًا للرب بواسطة التقليد الشفاهي، شعروا في ذواتهم أنهم حاملون لهذا التقليد (غلا٢، ١كو١٥ :٩) وساهموا كتابيًا بجزء من هذا التقليد أي تعليم الرب بدون أن يتمكنوا من كتابة كل ما قاله الرب وعمله. إن محتوى كتابات الرسل يظهر كشهادة لهذا التقليد الشفاهي، والذي تسلمه الرسل أنفسهم وكان ينبغى أن يسلموه للاحقين (١كو٧ :١٠، ٩ :١٤، ١١ :٢٣، ١٤ :٣٧) مع ملاحظة أن التقليد

المكتوب لم يُغط تمامًا كل الإعلان الكتابي (أي كل ما علمه وقاله الرب). وفي هذا الاطار نستطيع أن نفهم ما يُقال بأن الكُتّاب القديسين كتبوا بناء على ظهور مسببات معينة وحوادث، ولذا فإن ما كتبوه كان لخدمة هدف خاص. والقديس يوحنا يوضح هذا الأمر عندما يقول: "*آيات أُخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه*" (يو٢٠: ٣) وأيضًا "*إذ كان لى كثير لأكتب إليكم لم أرد أن يكون بورق وحبر لأنى أرجو أن آتى إليكم وأتكلم فمًا لفم لكي يكون فرحنا كاملاً*" (٢يو١٢). ويكتب القديس بولس إلى أهل كورنثوس قائلاً: "وأما الأشياء الأخرى فلما أجئ سأرتبها"، ويقول فى موضع آخر: "*وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناسًا أمناء يكونون أكفاء أن يعلّموا آخرين أيضًا*" (٢تي٢: ٢)، و "*يا تيموثاوس احفظ الوديعة معرضًا عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم*" (١تي٦: ٢).

إذن من الواضح جدًا، أن التقاليد الشفاهية وتعاليم الرسل يمثلان التعبير الأساسي للإعلان الإلهي، وكوسيلة أساسية نحو حفظ وانتقال محتوى هذا التقليد. وهكذا شُكل "نموذج للتعليم" (رو٦: ١٧) بَشَرَ بمقتضاه الرسل ومَن أتوا بعدهم بالإنجيل إلى كل المسكونة، حتى أن بولس الرسول يؤكد لأهل كورنثوس قائلاً: "*فسواء أنا أم أولئك هكذا نكرز وهكذا آمنتم*" (١كو١٥: ١). **نستنتج من ذلك بأن تعليم المسيح "الإله المتأنس" في الأزمنة الأولى للمسيحية نُقل بواسطة الإيمان المعاش وليس كتابةً، وأن التعليم حُفِظَ دائمًا بواسطة التقليد الشفاهي.** وظلت هذه الطريقة هي الفريدة للتعبير عن الإعلان الإلهي. لذلك كل الأعمال سواء رسائل أو أناجيل أُعتبرت أنها استقت محتواها من التقليد الشفاهي والتي تمثل جزءً فقط منه.

إن بولس الرسول كتب إلى أهل تسالونيكى ينصح المؤمنين بالثبات على ما تعلموه شفهيًا: "فاثبتوا إذًا أيها الأخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها

سواء كان بالكلام أم برسالتنا" (٢تس٢:١٥)، **أي التقليد الشفاهي والتقليد الكتابي**. ولأجل هذا فإن بولس الرسول يعتبر أن التقليد يحوي ليس فقط الكلمة الشفاهية لكن أيضًا التعليم الكتابي للإنجيل، وأن كليهما يمثلان محصلة الإعلان الإلهي الذي صار في المسيح يسوع. ويحذر الرسول، في موضع آخر، المسيحيين "*باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذي أخذه منا*" (٢تس٣:٦).

مما سبق، نجد أن الكنيسة الأولى، على أي حال، قبل ظهور أي كتابة مُلهمة للإنجيليين والرسل، قد نمت واتسعت بواسطة التعليم الشفاهي غير المكتوب والعظة الحية للرسل وليس بواسطة كتابة الإعلان الإلهي والكلمة المكتوبة والتي لم تكن قد وُجدت بعد. وبالتالي فإن الكنيسة الأولى عاشت على التقليد أي بتعليم المسيح والأسرار، وكانت بمثابة الحامل الفريد لحقائق الإعلان الإلهي. وكما هو معروف فإن التسليم الشفاهي لعظة الرسل سبق حفظ هذه العظة كتابيًا. لقد تبلور الإعلان الإلهي بواسطة الكلمة المكتوبة، لكن عمليًا امتد واتسع وانتشر هذا الإعلان بواسطة الكلمة الشفاهية للعظة والتعليم.

ب. تفسير الكتاب والآباء في الكنيسة الأولى (نظرة عامه):

نشأت مشكلة التفسير، في القرن الثاني، أثناء مواجهة الكنيسة للغنوسيين وأتباع سابيليوس وأتباع مونتانوس، وظلت المشكلة مستمرة حتى القرن الرابع مع الآريوسيين. وتفاقمت أزمة تفسير الكتاب عندما احتكم الهراطقة إلى الكتاب واستشهدوا بآيات منه مستغلين سلطة الكتاب المطلقة. وعندما رفض ماركيون الهرطوقي بشدة سلطان أسفار العهد القديم ولم يعترف به، وأصبح على الكنيسة **أن تبرهن على وحدة العهدين**. هكذا أُثير، في هذه الفترة، سلطان التقليد. وعبارة القديس إيلاريون التي تقول: [إن الكتاب ليس في قراءته، بل في فهمه] (PL 10, 570) قد كررها القديس ايرونيموس في حواره ضد لوكيفاروس (PL 23, 190-191)

وشددت الكنيسة بذلك على أن الكتاب ينتمى إلى الكنيسة ولذلك يُفهم ويفسر بشكل صحيح فيها وضمن جماعة المؤمنين[١٤]. وبذلك فإن الهراطقة الذين هم خارج الكنيسة لا يمكن أن يفسروا الكتاب تفسيرًا صحيحًا، **فلا يكفى مجرد الاستشهاد بنصوص كتابية دون معرفة المعنى الحقيقي للكتاب والقصد منه بشكل جامع وكُلي.** يقول الأب جورج فلورفسكى: [فبالإيمان كان الإقرار بالمسيح] (Christuszeugniss) في العهد الأول مفهومًا. فبالإيمان أُكِدَت بشكل صحيح وحدة الأناجيل ذات الأشكال الأربعة **لكن هذا الإيمان لم يكن تأملاً فرديًا مزاجيًا، بل كان إيمان الكنيسة المتأصل في البشارة الرسولية أو في الكرازة (Kerygma) أما الذين خارج الكنيسة فتعوزهم هذه الرسالة الأساسية، التي هي قلب الإنجيل.** فالكتاب عندهم حرف ميت ومجموعة من النصوص والسِّير غير المرتبطة. إنهم حاولوا ترتيبها وفق طريقتهم الخاصة التي استقوها من مصادر غريبة فأتى إيمانهم مختلفًا. هذه هي حجة العلامة ترتليان في مبحثه "معارضة الهراطقة" (De Praescriptione) فهو لم يشأ أن يبحث الكتاب مع الهراطقة، إذ لا حق لهم في استعماله لأنه لا يخصهم. **الكتاب ملك الكنيسة.** ولذلك أكد ترتليان بشدة على أولوية "قانون الإيمان" (Regula Fidei) الذي هو المفتاح الأوحد لفهم معانى الكتاب. وهذا "القانون" كان رسوليًا ومتأصلاً في "تعليم الرسل ومستمدًا منه"[١٥]. **هكذا فإن تقليد الإيمان الرسولي كان المرشد الضروري لفهم الكتاب والضامن للتفسير الصحيح. والكنيسة هنا كما يؤكد، الأب جورج فلورفسكى، ليست سلطة خارجية مهمتها أن تحكم على الكتاب، بل أن تحفظ الحقيقة الإلهية المودعة فيه.**

لقد قاوم القديس ايرينيوس إمكانية وجود الكنيسة بدون الكتاب والتقليد معًا، وتسائل: ألا ينبغى أن نتبع ترتيب التقليد الذي سلمه الرسل

١٤- أنظر الأب جورج فلورفسكى، الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد ـــ وجهة نظر أرثوذكسية ـــ نقله إلى العربية الأب ميشال نجم، منشورات النور ١٩٨٤، ص ٩٥ـــ٩٦.

١٥- المرجع السابق، ص ٩٦ـــ٩٧

للأمناء على الكنيسة؟[١٦]. الكنيسة لديها الحق الإلهي المعلن، وتجعله ظاهرًا بواسطة الكرازة، وهي التي سوف لا تجعل هذه الكرازة شفاهية دائمًا وتُنقل من فم إلى فم، ومن جيل إلى جيل بل عندها المقدرة أن تكتبه بطريقة صحيحة. إن القديس ايرينيوس بقى وظل عند التقليد الأصيل للرسل الذي يُنقل بواسطة الشركة الحية ويحفظ بلا انقطاع بالتعاقب الرسولى. **وقد أورد القديس إيرينيوس تشبيهًا رائعًا في كشف سوء استعمال الغنوسيين للكتاب المقدس حين قال:** "صنع فنان موهوب صورة جميلة لأحد الملوك من الجواهر الثمينة، لكن شخصًا آخر فك هذه الحجارة وأعاد ترتيبها بأسلوب آخر ليقدم صورة كلب أو ثعلب. ثم زعم أن هذه الصورة هي الصورة الأصلية التي صنعها الفنان الأول، ويعلّل قائلاً إن الحجارة أصيلة. والحق أن التصميم الأصلى قد تهدم و"ضاع نموذج الإنسان الموضوع". هذا بالضبط ما يفعله الهراطقة بالكتاب المقدس. فهم يتجاهلون ويمزقون "الترابط والترتيب" الموجودين في الكتاب المقدس "ويقطعون أوصال الحقيقة". إن كلماتهم وتعبيراتهم وأمثالهم أصيلة، لكن قياسهم (أو تصميمهم) مزاجى وخاطئ"[١٧].

لقد أراد القديس إيرينيوس التشديد على أن الكتاب المقدس له نموذج وبنية داخلية متآلفة، لكن الهراطقة يرفضون هذا النموذج وتلك البنية الداخلية المتآلفة ويفرضون نموذج وبنية خاصة، فهم يرتبون الشواهد الكتابية على أسس غريبة عن الكتاب المقدس نفسه. والحل لدى القديس إيرينيوس هو أن نحفظ بقوة "قانون الحق" الذي تسلمناه في المعمودية حتى لا نجد أي صعوبة في فِهم نص الكتاب فهمًا صحيحًا. ونشاهد الصورة الحقيقية الملائمة للسياق الصحيح والبنية الأصلية للكتاب. إذن قانون الإيمان يرشدنا أثناء قراءة الكتاب المقدس، و "قانون الحق" عند القديس إيرينيوس هو شهادة الرسل وكرازتهم وبشارتهم والتي "أودعت"

16- SC34. 114 kai 3.22.

١٧- ضد الهراطقة ١، ٨، ١ عن مرجع الأب جورج فلورفسكى السابق، ص ٩٧—٩٨.

في الكنيسة وحُفظت بصدق وسُلمت باجماع عام في كل الأمكنة عبر تعاقب الرعاة "الذين تسلّموا موهبة الحقيقة الثابتة إلى جانب التعاقب الرسولى"[١٨].

٧. القديس أثناسيوس و "هدف أو غاية" الإيمان

لقد استمر الصراع حول مسألة تفسير الكتاب المقدس مع الآريوسيين[١٩]، في القرن الرابع، إذ استشهد الآريوسيين بنصوص كتابية كثيرة ليدافعوا عن معتقداتهم الخاطئة. وكان رد الكنيسة - في شخص القديس أثناسيوس - هو الاحتكام إلى إيمان الكنيسة الذي أُعلن مرة وحُفظ بصدق، **لذلك نرى القديس أثناسيوس يشرح لنا كيف نستطيع أن نكتشف بسهولة تفسيرات الهراطقة الخاطئة إذا وضعنا أمامنا كهدف ذلك الإيمان الذي نمسك به نحن المسيحيون وأن نستخدمه كقاعدة كما يعلمنا الرسول في قراءة الكتب الموحى بها** (أنظر ٢تيمو٣:١٦). فأعداء المسيح لأنهم جهلوا هذا الهدف، قد ضلوا عن طريق الحق، واصطدموا بحجر الصدمة (أنظر رو٩:٣٣). "مفكرين أمورًا مخالفة عما كان ينبغى أن يفكروا به"[٢٠]. ويكرر القديس أثناسيوس قائلاً: "أما نحن فإذ نحتفظ **بهدف الإيمان**، ندرك ما يسيئون تفسيره، وأن له تفسير سليم"[٢١]. **وفي رسالته الثانية إلى سيرابيون** يُرجع ضلال الهراطقة إلى جهلهم بهدف الكتاب الإلهي: "كم هم يضلون كثيرًا، إذ هم لا يدركون هدف الكتاب الإلهي"[٢٢]. وفي الرسالة الأولى فقرة ٢٨ يقول: "**دعونا ننظر**

١٨- ضد الهراطقة ٤، ٢٩، ٢

١٩ - هم أتباع آريوس الهرطوقي الذين كانوا ينكرون ألوهية الإبن وأعتبروه أقل من الآب ومن ضمن المخلوقات

٢٠- ضد الآريوسيين ٣:٢٨ اصدار مركز الدراسات الآبائية نوفمبر ١٩٩٤، ص ٥٨.

٢١- المرجع السابق فقرة ٣٥، ص ٦٧.

٢٢- الرسالة الثانية ٢:٧ ص ١٠٣ الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون ترجمها عن اليونانية د. موريس تاوضروس، والدكتور نصحى عبد الشهيد. اصدار مركز دراسات الآباء مايو ١٩٩٤ ص ١٠٣.

إلى تقليد الكنيسة الجامعة وتعليمها وإيمانها، الذي هو من البداية والذي أعطاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء" ص ٨٢. هنا نجد ثلاث ألفاظ متطابقة كما يقول لنا الأب فلورفسكى: **التقليد** "Παράδοση" هو المسيح نفسه و**التعليم** Διδασκαλία بواسطة الرسل، و**الإيمان** Πίστη هو من الكنيسة الجامعة.

فالكتاب ينتمى إلى هذا التقليد بحسب القديس أثناسيوس، يجب أن نهتم اهتمامًا شديدًا بالسياق المباشر لكل جملة وتعبير بإبراز قصد الكاتب الصحيح بدقة[٢٣]. أما مصطلح غاية أو هدف σκοπός الكتاب هي نفسها عند إيرينيوس "υπόθεση" أي الفكرة الأساسية والتصميم الصحيح والمعنى المقصود. وكان مصطلح غاية أو هدف "σκοπός" معروف عند الأفلاطونية الحديثة، فالفيلسوف إيامفليخوس يشدد على أنه يجب على الإنسان أن يكتشف "النقطة الرئيسية" أو الموضوع الأساسي في البحث الذي يدرسه وأن يحفظها في ذهنه دائمًا[٢٤].

وفي هذا الإطار نستطيع أن نقول أن القديس أثناسيوس كان على دراية باستخدام هذا المصطلح، لذلك أكد أن الاستشهاد بفصول ومقاطع معزولة من الكتاب المقدس بعيدًا عن قصد الكتاب الإجمالى هو أمر مضلّل. و"**غاية" الإيمان (يقصد غاية الكتاب المقدس) عند القديس أثناسيوس تتجاوز المعنى العام إذ لها محتوى عقيدى موجود في قانون الإيمان، كما حفظته الكنيسة، إذ يقول:**"والآن فإن هدف الكتاب المقدس وميزته الخاصة كما قلنا مرارًا هو انه يحوى إعلانًا مزدوجًا عن المخلص: أي أنه كان دائمًا إلهًا وأنه الابن إذ هو **كلمة** الآب وشعاعه وحكمته، ثم بعد ذلك اتخذ من أجلنا جسدًا من العذراء مريم والدة الإله، وصار إنسانًا. وهذا الهدف نجده في كل الكتب الموحى بها، كما قال الرب نفسه: "*فتشوا الكتب وهي تشهد لى*" (يو٥ :٣٩)[٢٥]. **ويؤكد القديس أثناسيوس**

٢٣- ضد الآريوسيين ١:٥٤.

٢٤- الأب جورج فلورفسكى، المرجع السابق، ص ١٠٣.

٢٥- ضد الآريوسيين ٣:٢٨ ص ٥٨.

على أنه سَلَمَ التقليد كما تسلمه من الآباء: " وبحسب الإيمان الرسولى المسلم لنا بالتقليد من الآباء، فإنى قد سلمت التقليد بدون ابتداع أي شيء خارجًا عنه. فما تعلمته فذلك قد رسمته مطابقًا للكتب المقدسة، لأنه يتطابق أيضًا مع تلك المقاطع من الكتب المقدسة التي اقتبسناها أعلاه، لأجل التأكيد"[٢٦]وقد ذكر القديس أثناسيوس أن الكتاب المقدس نفسه هو "تقليد" Παράδοση رسولى[٢٧].

٨. الليتورجيا أو التقليد غير المكتوب وتفسير الكتاب عند القديس باسيليوس الكبير

التسليم أو التقليد غير المكتوب عند القديس باسيليوس الكبير، هو كل ما تمارسه الكنيسة وسبق أن تسلمته من الرسل الذين حفظوه وسلموه للمؤمنين بواسطة الأسرار للاستخدام الليتورجي، وهذه الأمور غير مدونة في الكتاب المقدس، لذا يصف هذا التقليد بأنه "غير مكتوب" ويسميه أيضًا "ترتيب الكنيسة" في (ف١٦ :٣٩) من كتابه عن الروح القدس. هكذا دعى باسيليوس هذا التقليد "غير مكتوب" لأنه لم يكن مكتوبًا في العصر الرسولى، ولكن كان معروفًا من خلال الممارسات الليتورجية في الكنيسة. **إن محتوى التسليم غير المكتوب قد ذكره القديس باسيليوس:** "علامة الصليب ـ قبول الموعوظين ـ الاتجاه إلى الشرق ـ الوقوف أثناء الصلوات وعدم الركوع يوم الأحد ـ استدعاء الروح القدس في الطقوس الكنسية ـ تقديس الماء وزيت الميرون ـ جحد الشيطان ـ الغطسات الثلاثة في العماد" (في٢٧ :٦٦ـ٦٧). ويعلل القديس باسيليوس سبب كون هذه التعاليم غير مدونة بأنها ذات طابع ليتورجى وعقيدي حتى لا تُعرف وتتنجس من أصحاب الديانات الوثنية، ولأجل هذا السبب كانت الكنيسة تتجنب عدم كتابة دستور الإيمان[٢٨].

٢٦- الرسالة الأولى إلى سرابيون ١ :٣٣ ص ٩٢

٢٧- إلى أدلفيون 610,25 P.G. 32, 112 C

٢٨- أنظر كيرلس الأورشليمى PG33, 352C-353A.

لكن يشدد القديس باسيليوس على أن الجهل بهذا التقليد الرسولى غير المكتوب سيجلب اضطرابًا لقاعدة الإيمان[٢٩]. لقد مَيَزَ القديس باسيليوس بين العقيدة والتي هي "تعليم غير معلن وسري"[٣٠]، والتي حفظها الآباء جيدًا، وأُنقذت في "صمت وهيبة الأسرار" وبين العظة والتي هي دائمًا تعليم مفتوح أثناء الاجتماع العام للكنيسة[٣١].

بالتأكيد إن هذه التقاليد غير المكتوبة والسرائرية التي يتكلم عنها القديس باسيليوس تختلف جذريًا عن التقاليد السرائرية التي نادى بها الغنوسيون لأن لدى باسيليوس هذه التقاليد هي لجموع المؤمنين المشتركين في الحياة السرائرية الكنسية ولم ينادى مثل الغنوسيين بتوجيه هذه التقاليد إلى دائرة ضيقة من الكاملين. والتقاليد التي نادى بها القديس باسيليوس يمكن بحسب رأيه إذا اقتضت الضرورة أن تتناولها العظة Κήρυγμα. والكنيسة لها حكمة في إخفاء حقائق الإيمان عن الغرباء بالنسبة للكنيسة، إذ يتوافق هذا مع قول المسيح "*ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب*" (مت١٥: ٢٦). وهنا نستشهد من تعليم الموعوظين لكيرلس الأورشليمى (ف١٢، ١٧) بعدم إفشاء دستور الإيمان لغير المؤمنين وعلى عدم تدوينه. وهكذا كان الحال في الغرب أيضًا. لذلك لم يذكر المؤرخ سوزومنوس - كما يقول فلورفسكى - في تاريخه نص الدستور النيقاوى " الذي كان يحق للمتنصرين تلاوته وسماعه".[٣٢]

هكذا مصطلح عظة "Κήρυγμα" يشير عند القديس باسيليوس إلى ما يُسمى اليوم التعليم الرسمى الذي يُعتمد عليه في أمور الإيمان، أو التعليم العلنى. ومصطلح "Δόγμα" هي عنده مجموعة من الأعراف و"العادات غير المدونة" أو بنية الحياة الليتورجية والسرائرية[٣٣]. إذن العقيدة

٢٩- باسيليوس الكبير، المرجع السابق .

٣٠- باسيليوس الكبير، المرجع السابق PG32, 548B.

31- P.G 32, 933 B.

٣٢- التاريخ الكنسي ١: ٢٠.

٣٣- أنظر جورج فلورفسكى، المرجع السابق ص ١٠٩

تُحفظ "بصمتٍ" أما التعاليم "فتنتشر وتُعلن". لكن هدفهما واحد، لأنهما يقدّمان الإيمان نفسه ولو بطرق مختلفة. وبناء على ذلك ـ بحسب القديس باسيليوس ـ فإن الاحتكام إلى "التقليد غير مكتوب" هو احتكام إلى إيمان الكنيسة وإلى "المعنى الجامع" وإلى "الفكر الكنسي". لقد كان رد القديس باسيليوس على الآريوسيين "أن لا يمكن فِهم الكتاب بعيدًا عن قانون الإيمان (غير المكتوب). إن موهبة التمييز الروحي هي الضامن للفهم الصحيح للكلمة المقدسة: مَنْ يفسر الكلمات الإلهية في الأسفار، عليه أن يبدأ من نفس مستوى الذين كتبوا الأسفار.. وأقوال الروح القدس في الأسفار ليست سهلة لكي يتعرف كل واحد على دقة ومعانى كلمات الروح القدس فهذا لا يتوفر إلاّ للذين أعطاهم الروح القدس عطية التمييز"[٣٤].. هكذا يُعطى الروح في أسرار الكنيسة ولذلك يجب أن يُقرأ الكتاب تحت ضوء الإيمان وسط جماعة المؤمنين.

٩. الأهمية اللاهوتية للتفسير الآبائى

إن الآباء المفسرين يربطون الكتاب المقدس بشخص المسيح وعمله. وإن وجود الكتاب هو نتيجة جوهرية للتجسد. وكما أن اللوغوس المتجسد (الرب يسوع) من لاهوت وناسوت، هكذا نفس الأمر للكتاب المقدس. الصيغة الكتابية للكتاب تتجاوب مع ناسوت الرب، والمفهوم الروحي الداخلى للكتاب مع لاهوته. هذان الوجهان للكتاب متحدان في حالة وحدة لا امتزاج فيها ولا انفصال. إن الفهم الصحيح للكتاب يُعلنه لنا كل من التفسير اللغوى والتاريخي مع الرؤية الروحية. **ولو طغى وجه على الآخر أثناء تفسيرنا للكتاب ننتهي إلى تفسير منحرف**. بالتالي فإن تفسير الكتاب يُحدد بصرامة من الإيمان بشخص يسوع المسيح. وبقدر صياغة الإيمان الخريستولوجى للكنيسة صياغة كاملة، بقدر ما تصير الأسس الخاصة بتفسير الكتاب أيضًا تامة وكاملة. **وأي هرطقة في العقيدة الخريستولوجية** لها نتائج مباشرة منحرفة على رؤية التفسير الكتابي.

٣٤- رسالة ٢٠٤

إن التفسير الكتابي للآباء يلتف حول المسيح كمحور ومركز. إن يسوع المسيح هو ملء النبوات والأمثلة والوعود المذكورة في العهد القديم ويجمع في شخصه التاريخ كله. وبالتالي فإن يسوع المسيح هو "هدف" الكتاب أي البداية والمركز والنهاية بالنسبة للتفسير الكتابي، **إنه هو مفتاح العهدين:** القديم والجديد. وكما أن الحضور الحي للمسيح في الإعلان الكتابي هو حضور شخصي، هكذا بنفس الطريقة فإن تفسير الكتاب هو مسألة إعلان شخصي لله **الكلمة**. هذا الإعلان يحدث - بالتأكيد - وفق مبادئ الروح، الذي يقود إلى "كل الحق" عن المسيح. بهذا المفهوم فقط، فإن تفسير الآباء هو تفسير "روحى".

بمبدأ التفسير الذي مركزه المسيح قد أقر الآباء بالوحدة بين العهدين القديم والجديد. لقد اتبع الآباء المفسرون المبادئ الأساسية للعهد الجديد من جهة التعليم عن الله في العهد القديم، وعن يسوع المسيح، والكنيسة، وتمسكوا بوحدة العهدين أمام الغنوسية واليهودية. وهذا المبدأ اتفقت عليه كل من مدرسة الأسكندرية برمزيتها ومدرسة أنطاكية بحرفيتها. "والطريقة النماذجية"[٣٥] قد بنيت فوق هذا المبدأ، أي فوق وحدة العهدين القديم والجديد.

نتعرف من كتابات الآباء التفسيرية على وجود وحدة بلا انفصال بين التفسير الكتابي والتعاليم اللاهوتية، فهم يتحدثون عن هذه التعاليم عندما يفسرون. عندما يشرعون في الدخول إلى ذهن وفكر كاتبي الكتاب المقدس، فهم يبحثون دائمًا عن هدف التدبير الإلهي وخطة الله الخلاصية للإنسان والعالم.

إن التفسير الآبائى لم يكن أبدًا تدريبًا لغويًا مستقلاً، لكن قبل كل

٣٥ - سُميت هذه الطريقة من كلمة "مثال" باليونانية هي Τύπος أو" Type" بالانجليزيه وهي تعني نموذج أو مثال أو نمط يحمل صور ترمز إلى الحقائق التي أُعلنت في العهد القديم، حقائق، أخروية تتم في الأزمة الأخيرة بواسطة المسيح – والسمة الجوهرية في هذا التفسير هوChristocentric أي أن المسيح هو مركز كل شئ، فآدم ونوح وموسى هم مجرد أمثلة أو نماذج لآدم الثاني ونوح الجديد وموسى الجديد أي "المسيح".

شئ هو مسألة **تعليم لاهوتى**. بينما كانوا يعرفون قوانين البحث الأدبى اللغوي، إلا أنهم بتطبيقاتهم تعرفوا على قوة و"عمل" الحرف. يفسرون دائمًا الكتاب المقدس في سياق التقليد اللاهوتي الكنسي ويغذون بلا انقطاع تأملاتهم اللاهوتية بالإعلان الكتابي. على الجانب الآخر، فإنهم فهموا النُسك على أنه نمو المستوى الروحي وهذا هو هدف الكتاب. لذلك فإن مبادئ التفسير الكتابي لدى الآباء تتقابل مع التعاليم اللاهوتية الكنسية.

بنفس الطريقة فإننا نتعرف - في التفسير الكتابي للآباء - على الوحدة المطلقة للكلمة الكتابية والحياة. إن كلمة الكتاب، ككلمة الروح، تظهر وتعمل ديناميكيًا داخل حياة المؤمنين طالما أنها تتعلق بالحوادث التاريخية للتدبير الإلهي. فبالتأكيد فَسَرَ الآباء الحوادث الكتابية داخل إطار شامل للتدبير الإلهي ودائمًا داخل مقاصد المسيح. هكذا، **على سبيل المثال، الخروج من مصر**، والذي هو نموذج لموت وقيامة المسيح، امتد في الحياة كمطلب لخروج جديد للمؤمن من عبودية الخطية إلى حرية نعمة الله. بهذه الطريقة فإن الكلمة الكتابية لم تسمو وترتفع إلى نُظم للقيم الأخلاقية أو لحقائق نظرية، لكن ظهرت كقوة فعالة حاضرة في الحياة اليومية.

ربط الآباء الكلمة الكتابية بالحياة السرائرية للكنيسة،وقدموا كلمة الكتاب المقدس كقوة محيية للتاريخ، والتي تعمل ديناميكيًا بقراءتها الدائمة في عبادة الكنيسة. فعلى سبيل المثال، فإن حدث الخروج يُعاش في سر العماد، وحمل الفصح كمثال لذبيحة المسيح على الصليب تقدم كحدث فدائى من خلال سر الإفخارستيا. كل العبادة وتسابيح الكنيسة تستلزم مبدأ تفسيريًا آبائيًا والذي بمقتضاه يُعاش التدبير الإلهي، في ملء زمانه أي وقت العبادة، في الأعمال الليتورجية والتي بواسطتها يصير هذا التدبير حياة العالم. إن التفسير الآبائى الذي هو دائمًا يتم في حضور المسيح، هو قبل أي شيء، حدث ليتورجى. لذلك مرات كثيرة، نجد في الصلوات الليتورجية للكنيسة عظات تفسيرية آبائية.

إن موضوع المنهج التفسيرى لدى الآباء هو دائمًا مفتوح. فالآباء لم يقيدوا أنفسهم بقوانين نمطية أدبية تعوق الحرية والإبداع الروحي. إن استخدامهم لأى منهج تفسيرى لم يكن من زاوية تَبنّى مبدأ تفسيرى لكن على العكس فإن هدف وذهن الكاتب هما الدافع لاستخدام هذا المنهج أو ذاك. ونتيجة لذلك فإن الأفضلية والأولوية لم تكن للمنهج بل لإعلان غاية أو هدف الكلمة الكتابية. **على الجانب الآخر، فإن الأولوية ـ لدى الآباء ـ لم تكن الفهم اللغوى للكلمة الكتابية لكن للفعل المُحيى لنفس الحوادث الكتابية في التاريخ وذلك ممكن بالروح القدس. إن سر التقوى هو دائمًا عمل روحي يقود إلى "غاية" الكتاب أو "فكر" الكتاب ويُفيد المؤمنين.**

نتعرف ـ من التفسير الآبائى ـ على معرفة **عناصر هامة تاريخية وأدبية ودينية ولغوية وفلسفية... الخ**، هذه العناصر تفيد بالتأكيد البحث والتفسير المعاصر. ولا ننسى أن الآباء فسروا الكتاب على أساس المقاييس العلمية لعصرهم وأن تنظيم هذه التفاسير والبحث فيها يقودنا إلى اكتشاف قيمتها الحقيقية وأهميتها لنا. إن أهم شئ في هذه التفاسير أنها رؤية روحية للآباء مؤسسة على تقليد كنسى لا يمكن الاستغناء عنها لأنها تمثل خبرة روحية تضع المؤمن في مسيرة عملية نحو هدف وغاية الكتاب المقدس.

أيضًا نتعرف من التفسير الآبائى على الموضوعات الأساسية للتفسير الكتابي والتي تعتبر معطيات ثابتة للتفسير. بعض هذه الأساسيات هي:

- **الأساس الخريستولوجي للتفسير الكتابي**
- **علاقة العهد القديم بالعهد الجديد**
- **الوحي**
- **أهمية التقليد للتفسير الكتابي**
- **الإيمان المسيحي**

- علاقة الكتاب المقدس والكنيسة
- قانون الكتاب المقدس
- المبادئ الروحية والتي تخص النص وشخص المفسر
- تشخيص هدف وفكر كاتب النص
- تحليل الكلمات الصعبة وازالة الغموض عنها
- المصطلحات اللاهوتية واللغوية والتي لا يمكن لأي مفسر الاستغناء عنها
- المعرفة الممتازة للفلسفة اليونانية

١٠. خاتمـة:

هكذا فإن التفسير الآبائى له قيمة دائمة لأنه يمثل الدخول المباشر إلى الغنى الروحي للإعلان الكتابي، هذا التفسير يُشعِل روحانية الكنيسة. للأسف تيار الحداثة في عصر النهضة والتنوير كما يسمونه رواده - قد أزاح التقليد جانبًا وبشكل نهائي، وبدأوا تفسير الكتاب بمعزل عن التقليد التفسيري الآبائي. لكن نشهد في السنوات الأخيرة عودة إلى الآباء وكتاباتهم بعدما تيقن البعض من المفسرين المعاصرين أهمية التفسير الآبائي. لذا يقول روجر Roger Lundim: "لابد أن تبقى الحقيقة في إطار التقليد أو التقاليد التي أُهملت أو نُسيت والتي نحن في حاجة إلى إستعادتها"[٣٦].

ويرى روبرت ويلكن Robert Wilkon أن الشك المبالغ فيه حول التقليد أدى إلى عجز التفسير في عصر النهضة على قبول كل ما جاء قبله بشيء من العرفان، ويؤكد روبرت على أن العقل البشري لا يعمل من فراغ وأن الإنسان يحتاج دائمًا لمُعلِم يرشده ويعلمه فمن غير المعقول أن يتعلم أحد العزف على آلة موسيقية أو ينحت تمثالاً بدون مُعَلِم، إذ يقول: "وفي

36- Roger Lundin, the Culture of Interpretation (Grand Rapids, Mich: Ecrdmans, 1993), P.89. Christopher A. Hall, Reading Scripture with Church Fathers, 1998, P.27.

حقول كثيرة من العمل الخلاق فإن الإنغماس في التقليد هو الإفتراض المحتمل للتفوق والتمييز والأصالة. فَكِرْ، مثلاً في الموسيقي. إنني أستمع في صباح الآحاد إلى عرض لموسيقي الجاز في الراديو الوطني العام الذي يقدم مقابلات مع المشاهير وغير المشاهير من عازفي البيانو في موسيقي الجاز وعازفي آلة السكسفون والطبلة والترومبيت...الخ. وبإنتظام يثيرني ويدهشني كيف يتحدثون بمنتهي الوقار والتوقير والإحترام عن معلميهم ومدربيهم وكيف يخاطبون شخصًا كان قد عَلَمَهم أول دروس العزف على البيانو وحاكي فيها هذا الشخص أو تعلم كيف ينفخ في الترومبيت بتقليد لويس أرمسترونج أو أي شخص آخر. أيضًا ينبهر المرء للطريقة التي يتحدث بها مُغني مشهور مثل جين ريدباث وهو ذائع الصيت في الأغاني الشعبية نراه يتحدث عن التقليد كحالة ضرورية لتأليف وغناء الموسيقي الشعبية. وكيف نتلقي دائمًا النصائح ألا نهمل وننسي التقاليد القديمة. لماذا؟ بالتأكيد ليس لأسباب تاريخية أو آثارية، بل لأن الموسيقيين مثلهم مثل الرسامين والكُتّاب والنحاتين، يعرفون في أناملهم أو أحبالهم الصوتية أو آذانهم أن المحاكات هي السبيل إلى التميز والتفوق والأصالة"[٣٧]. نفس الشيء نقوله بخصوص العمل التفسيري. مثلما يقول ويلكين: "إن كانت الطريقة التي نتعلم بواسطتها كيف نفكر هي بقراءة أعمال مفكرين بارعين وأن ندع أفكارهم تشكل أفكارنا، فمن الأفضل أن يخضع المرء نفسه ليتعلم من أولئك الكُتَّاب الذين أظهروا أعمالاً جديرة بالثقة مع مرور الوقت. أولئك الذين تم إختبارهم على مر هذه السنين كلها فوجدناهم يمكن التعويل عليهم كمفسرين لعمل الله في الخلاص بالمسيح"[٣٨].

هكذا إنغماس ويلكن في كتابات الآباء قادة إلى إيجاد بديل عميق

37- Robertl. Wilken, Remembering the Christion past (Grand Rapids, Mich: Ecrdmans, 1995), P.170-171.Christopher A. Hall, Reading Scripture with Church Fathers, 1998, P.27.

38- Ibid, P.174.

للمعرفة الفردية المُغالي فيها ، لذا يؤكد على أن المسيحيين سوف يجدون هويتهم عندما يستدعون عالم التقليد الذي لا يخضع للخيال والتصور ويطلب الحق من خلال قراءة جامعة وشاملة للواقع الذي ينعكس بين الحين والآخر في كتابات آباء الكنيسة.

أسئلة على الفصل الأول

التقليد وتفسير الكتاب المقدس

١ـ ما معني كلمة "أفسر" أو كلمة "تفسير" وأهمية (أع١٤:٨-٢٠) في شرح هذا المصطلح؟

٢ـ ما الفرق بين كلمة "أشرح" و"أفسر"؟

٣ـ ما رأيك في عبارة "الكتاب وحده يكفي" مع الشرح؟

٤ـ ما هو مفهوم "الوحي" وكيف تفهم عبارة: أن الكتاب المقدس موحى به من الله؟

٥ـ ما هي الشروط الواجب توافرها لكي نحصل على إستفادة روحية وحقيقية أثناء قراءة نص من نصوص الكتاب المقدس؟

٦ـ أذكر الأسس الآبائية التي سوف نكتشفها من تفاسير الآباء؟

٧ـ ما هو وجه التماثل بين شخص يسوع المسيح والكتاب المقدس؟

٨ـ وضح مبدأ الحرف يقود إلى الروح؟

٩ـ ما هي الأسس الكنسية للتفسير الكتابي؟

١٠ـ إشرح مفهوم "التقليد" مستشهدًا بشواهد من الكتاب المقدس؟

١١ـ " الكتاب المقدس مِلك الكنيسة" أشرح هذه العبارة؟

١٢ـ القدس إيرينيوس والقديس أثناسيوس والقديس باسيليوس الكبير، كل واحد من الآباء الثلاثة كان له مصطلح معين بمثابة الأساس لتفسير الكتاب أذكر مع الشرح مصطلح كل أب من هؤلاء الآباء؟

١٣ـ ما هي الأهمية اللاهوتية للتفسير الآبائي؟

الفصل الثاني

تفسير الكتاب المقدس في الكنيسة الأولى

أ. الخلفية الفلسفية التي شكلت التفسير الكتابي في الكنيسة الأولى[٣٩]:

لقد تأثرت مدرسة إسكندرية بأفلاطون (٤٢٩-٣٤٧ ق.م) وأخذت عنه التفسير الرمزي. أما مدرسة أنطاكية تبنت العقلانية التاريخية لأرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق. م).

بحسب أفلاطون، الحق المطلق والمُدرك بالعقل أكثر من الإدراك الحسي هو موجود في العالم السامي المنزه، عالم الأفكار والمُثل حيث أصل النفس البشرية الخالدة. الخلاص عند أفلاطون هو الهروب من الحاضر الشرير من خلال، تذكر الأصول السماوية العُليا، حيث تصبح النفس حُرة من عوائق الوجود المادي وتنطلق إلى المجال السماوي، إلى الحق الأبدي. وقد أثرت هذه الأفكار على غنوسية الهراطقة في الكنيسة الأولى مثل: فالنتينوس وباسليدس. لقد قسمت غنوسية الهراطقة ـ مثلما نعرف من كتابات إيرينيوس وترتليانوس الدفاعية[٤٠] - البشرية إلى ثلاث طبقات أو أنواع من البشر والأشخاص يختلفون بحسب طبائعهم:

الجسدانيون: وهم الناس الأرضيون الشهوانيون.

النفسانيون: الناس الذين تحركهم النفس أو عِلة الحياة ومبدأها ذات الأصل السماوي.

39- John Breck, the power of the word in the worshiping Church, st. Vladimir`s seminary press, New York 10707, 1986, PP49-66.

٤٠- إيرينيوس، ضد الهرطقات PG35,7 7:5:1
ترتليانوس، ضد فالنتينوس PL 2, 583

الروحانيون: الذين يعرفون أصولهم السماوية بفضل الغنوسيس أو المعرفة المخلِّصة.

الجسدانيون، بحسب الهرطقة الغنوسية المسيحية، هم البسطاء المحكوم عليهم بوجود دنيوي أرضي mundane دون أي رجاء في الخلاص. أما النفسانيون، هم الذين يستطيعون الحصول على خلاصهم من خلال معرفة محدودة وممارسة الفضائل الأخلاقية. لكن الرومانيون هم وحدهم الذين ينالون وحده كاملة مع الله من خلال المعرفة الإلهية ليسوع المسيح.

هذه الأفكار الأنثربولوجية قد أثرت على المنهج التفسيري لمدرسة إسكندرية، وقد تأثر أوريجينوس بهذه الأنثربولوجية **والتكوين الثلاثي للإنسان**: جسد ونفس وروح وإنعكاسها على منهج التفسير الذي تبناه. لكن الجدير بالملاحظة، أن العلامة أوريجينوس لم يفصل بين المراحل التفسيرية الثلاثة: التفسير الجسدي، والنفسي، والروحي، ولا أراد أن ينادي بتقسيم طبقي للناس. بكلام آخر، يمكن لإنسان واحد أن يمر على المراحل الثلاثة للتفسير، فهو لا يقصد أن هناك أناس جسديون ولا يستطيعوا أن يفهموا الكتاب المقدس إلا بطريقة جسدية فقط، وآخرون بطريقة نفسية وفصيل ثالث للتفسير الروحي.

الأمر الهام الذي لابد أن نقره هو تأثر أتباع مدرسة إسكندرية بالفلسفة الأفلاطونية، ومالوا إلى تقليل قيمة التاريخ، وبالتالي الإطار التاريخي للإستعلان الإلهي. إذن الأولوية لأتباع مدرسة إسكندرية هو تفسير الأحداث التاريخية عن طريق تمييز "مفهومها الروحي" أو مغزاها الأعمق للواقع السماوي الأبدي الذي يعبر عن نفسه في داخل الحياة البشرية. الهدف من التفسير هو كشف "المعني الخفي" وراء الحرف والتاريخ، لأن المعني الحرفي والتاريخي له أهمية ثانوية. أيضًا الأمر الهام هو إن الإغراق في التفسير الرمزي والمثالي لا يستوعب المعني الحقيقي للتجسد أي أن **الكلمة** أخذ جسدًا ماديًا، ولا يستوعب أيضًا القيامة أي التحول من جسد مادي إلى جسد روحاني.

لقد وظَّف الفلاسفة اليونانيون - قبل العصر المسيحي - الرمزية لتفسير قصائد هوميروس، وإستخدم الرواقيون نفس المنهج في تمييز الجذور الفلسفية للأساطير القديمة. وبنفس الفكر، إستخدم اليهودي الأسكندري فيلون (٣٠-٤٥م) الرمزية لمصالحة تعليم العهد القديم مع الفلسفة اليونانية، لقد إستخدمها لكي يقلص الحرج من إستخدام الصفات الإنسانية لله في الكتاب المقدس. وأيضًا إستخدمها لكشف المعني الروحي لناموس موسى والأسفار النبوية. لقد هجر فيلون المعني الحرفي للكتاب حينما كانت النصوص تنطق بما كان يظن أنه لا يليق بالله، أو حينما تظهر فقرات تبدو أنها متباينة مع بعضها البعض لهذا تمكن أن يكشف عن المعني الروحي "الحقيقي" للشهادة الكتابية التي كانت مخبأة خلف ظَّل المعني الحرفي.

أصبحت الإسكندرية المركز الرئيسي للتقابل بين إيمان العهد القديم والفكر الفلسفي. لقد تم إصدار النسخة السبعينية للعهد القديم - في الإسكندرية - التي تضمنت طرق يونانية عند ترجمتها من اللغة العبرية.

لقد تأثرت مدرسة الإسكندرية بالمنهج المدراشي للتفسير الذي طوره الرابيون، معلمو اليهود. وهذا المنهج يميز بين أربعة معانٍ مكملة لبعضها في الكتاب المقدس:

١. **بيشات:** المعني التاريخي أو الحرفي.

٢. **ريميز:** المعني الخفي الدفين للناموس الموسوى والهالاكاه، مجموع القراءات التشريعية القانونية القائمة على الناموس

٣. **داروش:** المعني الرمزي المعبر عنه في شكل الهاجادوث أو القصص الأسطورية.

٤. **سود:** المعني السري الصوفي.

وقد كان التاكيد دائمًا على التفسير الرمزي بطريقة كانت تجعل

التاريخ في درجة أدنى ومرتبة أقل كمجال للتدبير الإلهي. وكرد فعل ضد الإفراط في إستخدام الرمزية، إستخدم بعض الرابيين أمثال هليل Hillel عدة قواعد تفسيرية أهمها إستخدام نص من الكتاب لتفسير نص آخر.

بحسب أرسطو تلميذ أفلاطون، العالم المادي هو حقيقي وجوديًا. أما العالم الروحي مثل النفس فهو على سبيل المثال يُكَّون الكونية الخاصة بالجسد المادي، ويتحد الأثنان معًا في الإنسان الواحد. وكان فكر أرسطو يتميز بعقلانية تتأصل في معني الأحداث داخل التاريخ. **لقد تأثرت المدرسة الأنطاكية بفلسفة أرسطو** ومالت تجاه الواقع المادي والتاريخ، ورفض التفسير الرمزي للنصوص الكتابية. هذا الميل واضح في أعمال ثيودور الموبساسطي. الرفض التام للرمزية والإنحياز المفرط تجاه الميل التاريخي والحرفي قاد إلى مبالغات خريستولوجية أنطاكية بواسطة فكر ثيودور ونسطور.

إنه من الخطأ رؤية التفسير الأسكندري على أنه رمزي صِرف، وأن التفسير الأنطاكي هو تاريخي وحرفي صِرف. لقد سعيا الأثنان إلى كشف المعني الروحي لكلمة الله. يكفي الإطلاع على تفسير القديس كيرلس الأسكندري للتأكيد بأنه كان دائمًا يشدد على الدقة التاريخية حين كان يسعى لكشف الرؤية الروحية للنص الكتابي[٤١]، بينما ثيودور الموبساسطي الذي هو ألد أعداء الرمزية يقر بأن أسمى مفهوم للكتاب المقدس هو المفهوم الذي تكشف عنه الرمزية[٤٢].

هدف المدرستين كان واحدًا، وهو أن يشرحا العلاقة بين أسفار العهد القديم وكتابات الرسل. إن العهد القديم يحمل شهادة للتدبير الإلهي الذي تحقق في شخص وخدمة يسوع المسيح. لذلك أُعتبر العهد القديم ككتاب مسيحي أساسي. كان يوجد مبدأين تفسيرين - بحسب الأب جون بريك - يدافع عنهما كلا المدرستين:

٤١- أنظر على سبيل المثال، تفسيره لأشعياء: PG 70, 9.

٤٢ - أنظر مثلاً تفسيره لسفر يوئيل: PG66,232.

الأول: الكتاب المقدس هو موحي به بواسطة الروح القدس: "كل الكتاب هو موحى به من الله" (٢تي٣:١٦)، "أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ. لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (٢بط١:٢١)، الروح القدس أوحى ليس بأسفار العهد القديم بل أيضًا بكتابات الرسل (أسفار العهد الجديد) التي فسرت العهد القديم.

الثاني: إن يسوع المسيح قد حقق نبوات العهد القديم. ويمكن إدراك المعني الحقيقي للنبوة فقط من خلال الرمزية أو الطيبولوجيا. الرمز أو المِثال τὺπος هو صورة نبوية (شخص ما، مكان ما، موضوع ما، أو حدث ما) تشير إلى واقع أُخروي عتيد (المرموز إليه). إذن هذا التفسير يحاول أن يكشف على الأهمية الروحية الأعمق لرموز عديدة من الصور النبوية التي تشير كظلال إلى المرموز إليه في العهد الجديد. وهذا التفسير ينطلق من ان الله نفسه هو مؤلف للتاريخ وأيضًا للكتاب المقدس، فهو يهيمن على الأحداث ويسوسها بمفاهيم "الوعد والتحقيق"، نقصد أحداث التاريخ المقدس بإعتباره تاريخ الخلاص، فيه يسير الإنسان والكون تحت إرشاد الله نحو الخلاص الأبدي.

ب. مراحل التفسير فى الكنيسة الأولى:

فى هذا الجزء سوف نحلل المبادئ الأساسية لتفسير الكتب المقدسة وذلك في المراحل التالية :

١. الكتاب المدافعون

٢. مدرسة الأسكندرية

٣. مدرسة أنطاكيه

١. الكُتّاب المدافعون

إن الآباء المدافعون وهم يحاولون أن يجدوا تواصل مع الفلسفة الدينية والسلوكيات الأخلاقية النبيلة للعالم القديم، استخدموا مفهوم "بذرة اللوغوس σπερματικός λόγος". أي كل أنسان يتمتع بنفحات اللوغس داخله ، وأي صلاح أو خير في الإنسان نابع من هذه البذرة ، ولأن المسيحيين قد أُتهموا بأنهم لا يؤمنون بالله وأنه ليست لهم سلوكيات أخلاقية نبيلة أو ذات قيمة، حاول المدافعون أن يبرهنوا من الكتب المقدسة والفِهموالمنطق العقلى الذي هو العنصر المشترك بين الجميع، كيف أن المسيحيين يؤمنون بالألوهية وبالأخلاق القيّمة التي ينادي بها العالم اليوناني الثقافي. وهكذا فتح المدافعون في محاولاتهم هذه - من القرن الثالث الميلادي - باب التواصل بين العالمين المسيحي واليوناني، وبعد ذلك عن طريق المراكز الثقافية العظيمة خاصة في الشرق، أي فى الأسكندرية، وإنطاكية وآسيا الصغرى. لقد استطاع المدافعون أن يصنعوا تواصلاً بين العالم المسيحي والعالم الأممي. وإذ واجه المدافعون الهرطقة الغنوسية التي كانت تحارب العهد القديم، استندوا فى ردهم على التقليد الكنسي السابق لهم ضد هذا النقد الموجه للعهد القديم مؤكدين بأن العهد الجديد يمثل استمرارية وتحقيق لما جاء في العهد القديم .

إن **القديس يوستينوس** قد شرح شرحًا خريستولوجيًا: χριστοκεντρικός وتاريخيًا Ἱστορική العهد القديم علي أساس أن المسيح هو مركز الكتاب كله، فالعهد القديم في نظره هو عبارة عن كتاب نبوي يتكلم عن شخص المسيح، وهو تاريخ مقدس مملوء بأمور لم تكتمل وتحتاج إلي تحقيق، إلى أن يصير هذا التاريخ تام وكامل. كذلك يرى يوستينوس أن حياة المسيح سنجدها بغنى في نبوات العهد القديم كما في تلك الحوادث التاريخية لحياته داخل الأناجيل. وهذا الرأي الغريب والمدهش ليوستينوس لايُفهم إلاّ إذا أخذنا فى الاعتبار منهجه في شرح العهد القديم والذي يستند علي البحث عن النماذج

والأمثلة والأشخاص والحوادث التاريخية التي تجد ملئها وتحقيقها عند ربطها بالمسيح والكنيسة. إنه المنهج النماذجى "τυπολογική".لذلك فإن النماذج التي تشير إلى المسيح ليست موجودة فقط في حوادث الخروج من مصر ولكن فى كل العهد القديم. وعلي سبيل المثال ففي الحوار مع "تريفون" (٨٦ :٦.١) نرى أن أي ذِكر يخص شجرة أو عصا يعني عند يوستينوس الصليب. وعندما يتحاور يوستينوس مع "تريفون" حول مقطع (إش٧:١٤) "*ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل*" فإنه يشرحه علي أنه نبوة تتعلق بالمسيا أي المسيح، فى حين يربطها "تريفون" بحزقيا الملك. ويؤكد يوستينوس علي أن في المسيح تتحقق كل النبوات عن المملكة العجيبة في (إش٤:٨).

لقد كانت الغنوسية، في ذلك الوقت، حركة الطبقة المتوسطة والفوق متوسطة للإمبراطورية الرومانية، والرمزية كمنهج تفسيري للكتاب المقدس ارتبطت بهذه الطبقات الاجتماعية، والمسيحية إذ أرادت فى نفس الوقت أن تجعل ديانتها لها مكانة في هذا المستوي الاجتماعي للهللينية الرومانية. لذلك ليس من الغريب أن نجد التفسير الرمزى الذي تبنته الكنيسة. وهذا يفسر لنا، لماذا من القرن الثاني وبعد ذلك استخدم المدافعون مرات كثيرة رمزيه غير مقبولة لدرجة جعلت الصراع بين رمزية مدرسة الأسكندرية وحرفية مدرسة أنطاكية أكثر حدة.

لقد واجهت الكنيسة في هذه الفترة الفكر الغنوسي والسيطرة الفردية والعشوائية في التعليم، وأكدت علي أن إيمانها يملك الحقيقة الجامعة في تقليدها الصادق أي في التعاقب القانوني للأساقفة.تستند الكنيسة فى تفسيرها للكتاب علي الاستمرارية التاريخية للخلاص، أي يجب أن نرى **تاريخ الخلاص أو التدبير الإلهي في كل مسيرته: مبتدأً في العهد القديم ومكتملاً في الجديد ومستمرًا في التعاقب الرسولي للأساقفة في الكنيسة.**

القديس "**ايرينيوس**" يُعتبر في هذه الفترة هو مثال ونموذج للتقليد الأرثوذكسي في موضوع أساس التفسير الكنسي، إذ نجده في كتابه "ضد الهرطقات" يحارب غنوسية "فالانديئوس" و "ماركيون"، ولايتجنب الرمزية والنماذجية، بل كإبن أصيل لعصره، يتجنب التطرف المستخدم في الغنوسية. ففى رأيه الحوت الذي بلع "يونان" هو الشيطان والخطية اللذان يبلعان الناس.و "الكنز الذي وجده إنسان في الحقل" (مت١٣:٤٤) هو المسيح، الذي هو مخفي (مستتر) في الكتب والذي يظهر في أمثله ونماذج.

إن الأساس الذي بني عليه "ايرينيوس" دفاعه هو الكنيسة التي تحفظ في كل المسكونة إيمان الرسل بالتعاقب الرسولي والتوافق مع قانون الإيمان (Rgula fidei) يمثل مقياس للتفسير الصحيح.

إذن أساسيات التفسير في القرن الثاني للآباء المدافعون هي :

١ـ التشديد علي استمرارية التقليد التاريخي الكنسي للعهدين القديم والجديد في صورة تاريخ الخلاص أو تاريخ التدبير الإلهي .

٢ـ تبني المناخ الفكري للعصر، فقد أخذوا المنهج التفسيري للغنوسية واستخدموا ليس فقط منهج النماذج أو الأمثلة ولكن منهج الرمزية.وهكذا أيضًا صار العهد القديم مفتوحًا نحو الأمم المهتدين للإيمان وتم ربطه وفق إيمان الكنيسة بالعهد الجديد.

٢ . مدرسة الأسكندرية

إن الأفلاطونية و "فيلون" اليهودي هما الأساس الفلسفي للمنهج التفسيري للكتاب المقدس لدى مفسري مدرسة الأسكندرية وخاصة "كليمنضس" و"أوريجينوس" اللذين أثرا تأثيرًا كبيرًا علي الفكر اللاهوتي للكنيسة وكانا لهما التفسير المتميز للكتب المقدسة.

إن"**كليمنضس الأسكندري**" هو أول من دافع عن التفسير الرمزي،

وبحسب رأيه أن كل الكتاب يتكلم بلغة سرائرية رمزية[٤٣]، وكما أن البرابرة واليونانيين يتكلمون عن أشياء عميقة وينقلون الحقيقة بواسطة رموز وألغاز، نفس الشيء فعله الذين كتبوا الكتاب المقدس[٤٤]. لقد طبق كليمنضس كل أنواع التفسير وفى بعض المرات أعطى مفهوم ما لنص وفي مكان آخر أعطى مفهومًا آخر لنفس النص. لقد قَبِل المفهوم التاريخي للجزء التاريخي للكتاب. بينما النبوات مرة يقبلها علي أنها تنبؤات ومرة أخرى علي أنها أمثله ونماذج. علي الجانب الآخر يعطي للأشياء وللأشخاص في نصوص مختلفة مفهوم فلسفي أو نفسي، **فعلى سبيل المثال:** لوحي الشريعة يرمزان للكون، سارة وهاجر يرمزان للحكمة الحقيقية والفلسفة الأممية، امرأة "لوط" ترمز للالتصاق بالأشياء الأرضية وعدم التقوى الذي ينتج عنه عماء النفس.

وبينما طبق كليمنضس المنهج التفسيري المعاصر له ظل فى نفس الوقت مؤمنًا بالعقيدة المركزية للكنيسة، للحصول علي المعرفة الحقيقية. إن التفسير الرمزي أو الروحي في كل أعمال كليمنضس قد طُبق في النصوص المقدسة ليس فقط لمحاربة الغنوسية ولكن أيضا لإعلاء شأن المسيحية إلي المستوي الفكري الأممي للمنهج التفسيري الحديث في وقته. وهكذا قد قُبِل الإيمان الجديد (الإيمان المسيحي) في المرتبة الفكرية العليا للعالم اليوناني الروماني .

الخلاصة أن اللاهوتيين في مدرسة الأسكندرية حاولوا أن يقدموا في عصرهم منطق الإيمان المسيحي (λογικότητα τής χριστιανικής πίστεως).

لقد نُظم هذا العمل التفسيري في المدرسة التعليمية في الأسكندرية وذلك بفضل **العلامة أوريجينوس** الذي يعتبر أول مفسر عظيم للكتب المقدسة، في الجزء الرابع لكتابه عن المبادئ περί Άρχῶν نرى تحقيق لهذه المواضيع التفسيرية. إن نجاح المسيحية لدى أوريجينوس

---

43 –Στρωμ. VI 12,4.

44 –Στρωμ. V21,4.

يكمن في وحي الكتاب المقدس. إن **كلمة** الله هو الكاتب الحقيقي للكتب المقدسة وهو الذى يعطى للروايات التاريخية الانسجام مع المفاهيم السرية العميقة التي يريد أن يُعلمها والتي تختفى عن غالبية الشعب.عند أوريجينوس (الحقائق الروحية) للإعلان الإلهي هي التى لها أهمية خاصة مثلما يفعل اليونانيون وليس التاريخ كإعلان كما يفعل اليهود.

إذا كان يوستينوس قد حارب الاتجاه اليهودي المضاد للمسيحية والإنجيل في حواره المشهور مع "تريفون" اليهودي، فإن أوريجينوس قد حارب الفكر الوثني الفلسفي الذي كان ضد الكتاب المقدس وهذا يظهر خلال عمله المشهور (ضد كيلسوκατα κέλσου). لقد انتقد "كيلسو" قصة موسي مع الشعب وقصة الخروج وسلوكيات شخصيات العهد القديم والمعجزات الخاصة بالمسيح والمذكورة في الإنجيل، والتجربة علي الجبل، أيضًا ركز انتقاده علي نسب المسيح المتواضع. في هذا المناخ الهجومى **أراد أوريجينوس أن يُظهِر قيمة الإيمان الجديد علي أنه يستحق التقدير والاحترام. لذا لجأ إلي الفلسفة لكي يتصدى لهذه الحرب ومن هنا نستطيع أن نفهم ماقاله "أوريجينوس"[٤٥] بأن قبولنا لتعاليم الإيمان يستند علي المنطق λόγος والحكمة σοφία وليس على مجرد التصديق السطحى**.لقد كان عقله موجهًا أو مصوبًا بالأكثر نحو المنطق والفكر الفلسفي لعصره في إطار التقليد الكنسي أو قانون الإيمان كما فهمه ايرينيوس وترتليانوس وهكذا ربط أوريجينوس نفسه بالأفلاطونيه ونادي بطرق الفهم الثلاثة الآتية للكتب المقدسة:

أ- **الفهم التاريخي أو الحرفي**: أي "التفسير الجسدي" وهو لايعني التفسير التاريخي الأدبي المعروف اليوم ولكن يقصد الفهم البسيط للحرف أو لكلام الكتاب كما هو مثل "جنة عدن، زرع الله الفردوس .....الخ

ب. **الفهم النفسي أو الأخلاقي**:وهو استخلاص تعاليم سلوكية مفيدة من نص الكتاب.

45– κατά κέλσου 1,13

ج. **الفهم الرمزي أو الروحي أو السري:** هذا الفكر يذكرنا بمقارنة بولس الرسول بين "الحرف" و"الروح" (٢كو٣:٦)وأيضًا التمييز بين "الروح، والنفس والجسد" في تسالونيكي الأولى(٥:٢٣) وأيضا بين "الأطفال" و"البالغين" فى كورنثوس الأولى (٣:١).

لم يفصل أوريجينوس بين المراحل الثلاثة للتفسير الجسدي والتفسير النفسى والتفسير الروحي ولايقر بأن بينهما تضاد وصراع، ولاننسي أن القديس باسيليوس الكبير والقديس غريغوريوس اللاهوتي في "الفلوكاليا" قد أختارا أعمال تفسيرية مهمة وكثيرة لأوريجينوس. لقد أجاب أوريجينوس علي النقد الشديد الموجه من العالم الوثني للكتاب المقدس بكل مبالغاته التفسيرية الرمزية حتي غير المقبولة منها. والأصح أن لاندين التفسير الرمزي لمدرسة الأسكندرية بمعطياتنا نحن الآن ولكن لابد أن ننظر له في إطاره التاريخي في ذلك الوقت.

٣. مدرسة أنطاكية:

لقد نمت المدرسة الإنطاكية تحت التأثير الشديد للمنهج الرابوني لشرح الكتب المقدسة، فبينما أخذ يهود الشتات في مصر طريق الهللينية، فإن الجماعة اليهودية الكبيرة في إنطاكية ظلت علي الشرح الحرفي للكتاب الذي تبناه الرابيون. أيضًا هناك عامل آخر قد لعب دورًا مهمًا فى تبني طريقة الشرح هذه، أنه إذا كانت مدرسة الأسكندرية قد تأثرت بالفلسفة الأفلاطونية فإن مدرسة إنطاكية قد تأثرت **بفلسفة أرسطو.** ومن هنا كانت هناك طريقة شرح خاصة بالكنيسة الإنطاكية ظهرت في شروحات ثيوفيلوس الإنطاكى، وبولس السموساطي ولوكيانوس الذي أسس مدرسة إنطاكية التعليمية وأيضًا فى شرّاح أنطاكية العظام أمثال القديس يوحنا ذهبي الفم. كما رأينا أتباع مدرسة الإسكندرية كانوا يلجأون إلى بولس الرسول لكي يستندوا على الرمزية ἀλληγορία. بينما الأنطاك يرون أن بولس الرسول إستخدم فعلاً كلمات مثل الرمزية أو النموذج "ἀλληγορία" ή "τυπός" لكن أكد على الحوادث

التاريخية وعلى الأشخاص التاريخيين مثل:سارة، هاجر وآدم وحواء والجنة والفردوس، الصخرة التي أخرجت ماء في البرية...الخ.

لقد إستخدم الرسول بولس ـ بحسب رأيهم ـ الرموز كامثلة لكي يقارن ما كان في الماضي مع ما هو الآن في العهد الجديد.

لقد كان الإنطاكيون ضد المدرسة الرمزية، مشددين علي الحرف والتاريخ، منادين بأن المعني العميق هو داخل الحرف وأن المعني المخفي الذي ينادي به مفسري الأسكندرية ليس هو مستقل عن الحرف أو يتجاوزه.هذا المنهج التفسيري يسمي عندهم ثيوريا "θεωρία" وهدفه هو توضيح وكشف غموض الكتاب المقدس خاصة ما يخص النصوص الرمزية مثل نشيد الإنشاد... الخ والكتب النبوية، والأعمال التاريخية في الكتاب المقدس. لكن التشديد علي الحرف والتاريخ فى التفسير كان طبيعيًا أن يقود "ثيؤدوروس"موبسستياس"[٤٦] للأسف إلى أن يرفض من قانون الكتاب المقدس الكتابات الحكمية للعهد القديم والتي اعتبرها ثمرة أو نتاج الحكمة الإنسانية وليس الروح القدس.

إن ذهبي الفم لم يصادر الطريقة الرمزية فهو يعطي شروحات رمزية عندما يتكلم الكتاب المقدس بطريقة رمزية[٤٧] لكن عادةً كان يستخدم الطريقة النماذجية (τυπολογική)[٤٨].

لقد شددت مدرسة إسكندرية على الإختلاف بين الحرف والروح، بينما المدرسة الأنطاكية شددت على الوحدة بينهما. بحسب أتباع مدرسة الإسكندرية، كل عقائد الكنيسة واعمالها يمكن أن تستند على نصوص العهد القديم. وكل حياة الكنيسة يمكن أن تُشرّح على أساس الكتاب المقدس وعلى أساس أن هذه النصوص سوف تُفسَّر رمزيًا ἀλληγορικά. **لكن المشكلة مع الرمزية هي:**

٤٦- أنظر تفسير غلاطية PG 61, 662

٤٧- أنظر إشعياء PG 56, 60

٤٨- أنظر فيلبي PG 62, 257.

١. أنها أعطت إمكانية للهراطقة في ان يفسروا الكتب المقدسة رمزيًا لكي يدعموا آراءهم الهرطوقية .

٢. بالرمزية يوجد إتجاه لأن يصير كل شيء روحي، الأمر الذي قد يقود إلى إحتقار الحرف والتاريخ والمادة والجسد. بالرمزية وروحنة كل شيء يصير الكل حاضر، حاضر أزلي بدون ماضي وبدون مستقبل، والتاريخ كتاريخ يُفقد.

على النقيض، ظلَّ الأنطاك في خط التاريخ ورأوا مسيرته نماذجيًا τυπολογικά كواقع ينمو من الناقص إلى الكامل، ومن الوقتي إلى الأبدي. لقد كان لدى المنظور الأنطاكي بُعد أُخروي يُظهِر مسيرة شعب الله تجاه الأخروي، بينما عند أتباع مدرسة إسكندرية شُدد على الحاضر الأزلي، ليس كمسيرة. أرادتا المدرستين أن يحتفظا بالإستمرارية ويظلا في التعليم الرسولي، لكن طريقة الإدراك وتقديم هذا التعليم هو مختلف. ونستطيع أن نقول أنه منذ تعليم القديس أثناسيوس الرسولي المنتمي لمدرسة الإسكندرية وكذلك منذ تعليم القديس يوحنا ذهبي الفم المنتمي للمدرسة الأنطاكية نرى الإستخدام المعتدل للطريقة الحرفية والروحية معًا وتفاسيرهما يشهدان على ذلك. وعندما ندرس ردود القديس أثناسيوس على أتباع الأريوسيين الخاصة بتفسير الكتاب المقدس سوف نرى أن القديس أثناسيوس ذاته قد تخطى ما يُسمى التفسير الرمزي والحرفي جاعلاً الإيمان المسلم مرة للقديسين هو أساس التفسير. نفس الأمر أيضًا كان القديس كيرلس عمود الدين.

ج. قانون الإيمان ومصداقية التفسير

إن التقليد الرسولي الذي لجأ إليه المفسرون في القرن الثاني ليس هو مجرد بعض بنود أساسية للإيمان ولكن هو الإطار الجامع لتعليم الرسل والذى يمثل الكتاب المقدس جزء منه. وهذا الإطار الجامع يسمي في الشرق الهدف العام "σκοπός" أما في الغرب فيسمي" قانون". إن القديس

"أثناسيوس" في كتابه ضد الأريوسيين (٣ :٥٨) يشدد علي أن المعرفة الآمنة والتفسير الصحيح يكون في إطار الهدف الكنسي وأيضًا ذهبي الفم في شرحه للمزمور الثالث يؤكد علي أنه بدون وجود الهدف لا نفع للكتاب.

وبناء علي ذلك فإنه لايوجد خطر في أن يفسر "مقطع" من الكتاب المقدس في عصر يختلف في تفسيره عن عصر آخر بالرغم من أنه نفس المقطع، طالما أن جوهر هذا المقطع له نفس الهدف، وهو الدفاع عن إيمان الكنيسة. الموضوع في غاية الأهمية لأنه يبين أن آراء المفسرين يمكن أن تكون مختلفة تماما في موضوع التفسير ولكن في الهدف الأخير تكون متطابقة.

ولنأخذ كمثل الشاهد "***أبي أعظم مني***" (يو١٤ :٢٨) فمن نهاية القرن الثاني وبدايات القرن الثالث لدينا التفسيرات الأولي لهذا المقطع من ترتليان وأوريجينوس، اللذان كانا عليهما مواجهة **الهرطقة المونارخية** والتي كانت تشدد علي الوحدة في الألوهية. وبالتالي فقد حاول أوريجينوس وترتليان أن يميزا بوضوح بين الآب والابن. هذه الهرطقة كانت تمثل الضغط الخارجي الذي مُورس فوق هذان المفسران. وإن لم يوجد أتباع لسابيليوس فإننا لا نعتقد أن ترتليان سوف يكتب ما كتبه عن التمييز بين الآب والابن. لكن هذا الذي كتبه قد كتبه لكي يدافع عن عقيدة الكنيسة.

نفس الشيء مع أوريجينوس، الذي واجه هراطقة من أولئك في عصره. هو نفسه كان يؤكد على أن المسيح هو الله، مثل الآب تمامًا ـ لكنه أبرز التمييز الواضح بين الآب والابن. لذلك يجب أن ننظر لهذا التفسير الذي قدمه ترتليانوس وأوريجينوس داخل هذا السياق، أي أثناء حربهم ضد الهراطقة، ونتفهم نصوصهم التي تضعهم كممهدين للأريوسية كما يرى البعض. أما في القرن الرابع، لم تعد المونارخية هي المشكلة بل أصبحت **الآريوسية** التي كانت عكس المونارخية، إذ كانت تميز تميزًا مُخلاً بشكل واضح جدًا بين الآب والابن (الابن مخلوق، الآب غير مخلوق).

هكذا بسبب مشكلة آية "أبي أعظم مني" كما رأينا في القرن الثالث ركزت الكنيسة علي التمييز بين الآب والابن وذلك بسبب المونارخية التي كانت تشدد علي الوحدة، أما في القرن الرابع فكان التفسير يركز على الوحدة بين الآب والإبن من قِبَل القديس أثناسيوس الرسولي والقديس باسيليوس الكبير. فقد علمت الكنيسة بأن الآب والابن واحد في الألوهية.وذلك لدحض الآراء الآريوسية التي كانت تنادى بالتمييز بين الآب والابن على أساس أن الآب غير مخلوق أما الابن فهو في مرتبة أقل لأنه مخلوق.أما في القرن الخامس وحيث لاحاجة لتفسير يتضاد مع الهراطقة لأنه أصبحت هناك أمور جديده، فقد فسرت الكنيسة نفس الشاهد "أبي أعظم مني" مع التشديد على أن هذا النص يخص الثالوث التدبيري (Οικονομική τριάδα) وليس علي الثالوث الإلهي (Θεολογική τριάδα) أي أن الشاهد لايخص الله في حد ذاته ولكن يخص الله كما أُعلِن في تاريخ الخلاص في إطار تجسد **الكلمة**. هذا التفسير يستند علي تاريخ التدبير الإلهي، ولأول مره يُصاغ بهذا التركيز من آباء القرن الخامس.

الآن نتساءل هل يوجد إتفاق بين المفسرين لهذه الآية؟ الإجابة نعم توجد وحدة واتفاق وأيضًا يوجد اختلاف. الوحدة تنبع من جهة المحافظة علي عقيدة الكنيسة أثناء تفسير هذا الشاهد والاختلاف هو بحسب الحاجة إلى التفسير، ففى القرن الثالث كانت الحاجة للتشديد علي التمييز بين الآب والابن، وذلك ضد الوحدة المصمتة والمجردة التي كانت لدي المونارخية. وفي القرن الرابع كانت الحاجةإلي الوحدة بين الآب والابن ضد هذا التمييز الخاطيء لأتباع آريوس. أما في القرن الخامس فقد أُعطي تفسيرًا في إطار التدبير الإلهي أي تاريخ الخلاص في إطاره العام. فالاتفاق والوحدة بين المفسرين تأتي بالنسبة للعقيدة أما الاختلاف فيأتي في قضايا أخرى يفرضها النص وذلك بحرية تامة.

إن الوعي بوجود "هدف" أو "قانون الإيمان" هو قديم جدًا قبل المجامع المقدسة فالقديس إيرينيوس ينادي بالدعوة إلي عمومية التقليد والذي يحفظ في الكنائس أي في المسكونة[٤٩]، **والعلامة ترتليان يؤمن بأن الكتاب هو مِلك الكنيسة**. ولذلك لايمكن لأحد أن يستخدمه خارجها. ويوجه كلامه إلي الهراطقة قائلاً "بأي حق ياماركيون تصنع أشجارًا في الغابة التي تخصنا؟ كيف تغير سريان أو تدفق منابعي الخاصة يا "فلاندينوس" ؟ " مَنْ الذي أعطاك الحق في أن تغير مصطلحاتي الخاصة يا أبيلي؟ الكتاب هو الميراث، الذي تركوه الرسل لأعضاء الكنيسة وليس لأي أحد "[٥٠]. إن المعنى المحورى لعمل ترتليان De Praescriptione Haereticoum هو محاولة إيجاد مبررات قانونية لكي يشدّد بها على حقوق الكنيسة فى تفسير الكتاب المقدس:

أولاً: الموافقة الجماعية فى الرأى لدى الكنيسة ομόφωνη هي حقيقة جامعة، أما الهراطقة فيختلفون فيما بينهم.

ثانيًا: التفسير الجامعي (καθολική ἑρμηνεία) يسبق علي أي حال أي تفسير فردى.

ثالثًا: الكتاب المقدس هو مِلك للكنيسة وحدها (Ἰδιοκτησία τῆς Εκκλησίας).

إن القديس **أغسطينوس** قد ذهب أبعد من ذلك في علاقة الكتاب بالكنيسة إذ يقول "ماكنت أعرف الكتاب لو لم توجد الكنيسة وكل ما أعرفه عن الكتاب أدين به للكنيسة"[٥١]. والحاجة الي أن يصلي المفسر أمر لازم لكي يصل إلي تفسير سليم للكتاب. المحبة نحو الله والقريب كما عُلمتَ داخل الكتاب يجب أن تكون المبدأ الذي يوجه المفسر للكتاب مع تقليد الكنيسة. ويُصِر القديس أغسطينوس علي المحبة

٤٩- ضد الهرطقات ١:١٠.

50 - De Praescript 35-40

٥١- أنظر سافا أغوريدس، المرجع السابق.

وفي عمله (De Doctrina christiana) يشدد علي عامل الكنيسةالذي هو الوحدة والمحبة كإطار للتفسير السليم والتدبيرى للكتب المقدسة. إن تفسير الكتب المقدسة هو عمل الكنيسة بهدف جوهري هو حفظ وحدتها. والهدف الوحيد للكتب المقدسة هو زيادة ونمو الإيمان والرجاء والمحبة. وأي شرح للكتب المقدسة لايخدم هذا الهدف، لايكون كنسي وبالتالي ليس له أية مصداقية.

خاتمة:

تفسير الكتاب المقدس (في الروح)

الكتاب المقدس - كما تعلمنا الكنيسة - هو عمل الروح القدس ف"*كل الكتاب هو موحى به من الله*"(٢تي٣:١٦)، لكن هذا لايعني أنه يوجد تطابق بين الله الفوقاني وحرف الكتاب المقدس، الرأي الذي يتبناه جماعة Fundmendalists والذي يقود فى النهاية إلى تكريم وثني لنص الكتاب، وإلى عبادة الحرف[٥٢].

علي الجانب الآخر، تؤمن الكنيسة أن الله يعمل ويتحدث بواسطة الكتاب،اذ يقف الشعب "بجوار الإمبل ليسمع كلام الله كما وقف الشعب قديمًا بجوار جبل سيناء وفى العهد الجديد علي جبل الجليل"[٥٣] **يقول بول افدوكيموف** "إن نصوص يوحنا الإنجيلي، المتعلقة باللوغوس، يجب علي المرء أن يقرأها وهو واضع في ذهنه أهمية الكلمة العبرية دافار NTABAP معناها كلمة الله، الكلمة التي صارت إلىالأنبياء من قبل الرب(أنظر إر١:٣٠) والتى تعني أن ذاك (الله) هو الذي يتحدث. وعندما يتحدث الله، فإن هذا الذي يتطلبه من المستمع، ليس أن يبدأ في الإدانة

٥٢- راجع كارافيدوبلوس، التفسير الأرثوذكسي للكتاب المقدس، إصدارمكتبة بورنارا، تسالونيكي ١٩٩٥ ص١٤.

٥٣- فوندولوس، كلمة الله في العبادة الالهية،تسالونيكي١٩٦٥،ص٨ (باليونانية).

أو الحكم علي الكلمة، ولا أن يتساءل كثيرًا بشأنها ولكن أن يقبلها ويكرز بها (أنظر لو١١ :٢٨)، وأن يأخذها كمرشد داخلي وخارجي له"[٥٤].

الإنجيل داخل الكنيسة فقط له معني، لأنه " حيث الكنيسة هناك الروح القدس"[٥٥]. يشدد أيضا بول أفدوكيموف على أن " الطريقة الوحيدة لكي نفهم ونقبل كلمة الله هيفى الإصغاء لصوت التقليد الحي. وفى الامتثال لتعاليم القديسين، فالرسول ينصحنا بأن نتمثل بالتقليد، بطريقه تجعلك تصير أنت جزء حي منه *"احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا"* (٢تي١ :١٤) هذه الشهادة الداخلية للروح القدس تأتي لتعيننا لنتجاوز أي ذاتية. وهذه الشهادة لكي تفلح وتعطي نتيجة حسنة، يجب أن تعمل فقط في داخل التقليد. أما نحن فعلينا أن نطهر ذواتنا وأن نخلصها من تحديداتها غير الصحيحة"[٥٦].

وهكذا هناك حاجة ماسة لأن يدخل المرء في روح الكتاب لكي يفسره تفسيرًا صحيحًا، وهذا لايصير بدون فعل الروح القدس. يُشدد العلامة أوريجينوس في إحدى عظاته قائلاً "لا يستطيع أحد أن يكشف بسهولة المعاني والرموز الموجودة في قصة أبيمالك وسارة. يجب أن نصلي كلنا معًا لكي ينقشع البرقع الذي يغطي قلوبنا وذلك بالروح. الرب هو الروح. يجب أن نصلي إليه لكي يرفع عنا برقع الحرف ويظهر لنا بريق روحه"[٥٧].

إن فعل الله ينير ويحرر الإنسان . نفس الشيء يحدث بقراءة النصوص الكتابية، والتي تتكلم عن هذا الفعل لذا يقول أيضًا العلامة أوريجينوس "لقد تجسد المسيح جاعلا كل ما يخصه ملك لنا. قدس كلامنا، المكتوب والشفاهي. لقد كشف وأنار "ذهنية " العهد القديم بنور التأنس"[٥٨]. هذا

٥٤- بول افدوكيموف، سر الكلمة، مجلة سيناكس مجلد ١٥، ١٩٨٥، ص١٥ (باليونانية).

٥٥- ايريناؤس، ضد الهرطقة ٢٤,١

٥٦- بول افدوكيموف، المرجع السابق،ص١٧.

57- P.G.12,195

٥٨- فيلوكاليا ٣,٩٦

التفسير الروحي هو بحسب كلام القديس بولس: أن الله "*جعلنا كفاه لأن نكون خدام عهد جديد. لا الحرف بل الروح. لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيي*" (٢كو٣:٦) **يقول الأرشمندريت يوستينوس بوبوفيتس:** إن سر اللوغوس هو عظيم جدًا، إنه هو نفسه الأقنوم الثاني للثالوث القدوس، وربنا يسوع المسيح، دُعيَّ في الكتاب **الكلمة**. الله هو **الكلمة** (يو١:١). كل الكلمات التي تنبثق من الكلمة الأبدية، هي مملوءة من الله، من الحق الإلهي، والأبدية، والبر. أتسمع كلام الله؟ فأنت تسمع الله. أتقرأ الكتاب؟ فأنت تقرأ مباشرة كلمات الله.الله **الكلمة** صار جسدًا، صار إنسانًا (يو١:١٤) والإنسان الأصم والثقيل اللسان بدأ يتفوه كلمات الحق الأبدية وبر الله. يوجد عصير الخلود في كلمات الله والذي بالقراءة يتساقط نقطة نقطة علي نفس الإنسان ليحييها ويقيمها من الموت والفساد. هذا يعلنه المخلص عندما يقول "*الحق الحق أقول لكم من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة بل انتقل من الموت إلى الحياة*" (يو٥:٢٤). هذا يعني أنه بقراءة كلمات الله نتعلم الخلود والأبدية، نتعلم عدم الموت والحياة الأبدية[٥٩]. إن الوحي الإلهي مَعْنِي بالحوادث الشاهدة للتدبير الإلهي[٦٠]. لأجل هذا السبب، فإن الكتاب المقدس بحسب القديس كيرلس الأسكندري هو "الفردوس العقلي" وبحسب القديس يوحنا ذهبي الفم "الكنز" و"النور" وبحسب أوريجينوس: فإن **كلمة** الله قبل التجسد كان غير مدرك وغير منظور وغير مكتوب أما بعد التجسد صار بحسب طبيعته الإنسانية مدرك ومنظور ومكتوب[٦١]. **وبالتالي فإن الكتاب يُفسر في سياق لاهوت التجسد طالما هو يؤكد تاريخية وحقيقة التجسد.** الكتاب هو الكلمة المحيية (أنظر١كو١٠:١١، أف٢:٧) الذي يتكلم في الحاضر ويُفهم فقط باستنارة النعمة الإلهية. أيضًا بحسب أوريجينوس" الكتب المقدسة كتبت

٥٩- الأرشمندريت يوستينوس بوبوفتس،قراءة الكتاب المقدس، مجلةسيناكس مجلد١٥،ص٢٤ــ٢٥).

٦٠- أنظر باناغوبلوس، تفسير الكتاب المقدس في كنيسة الآباء،مجلد١،أثينا١٩٩١،ص٣٩.

61- BEPES 14,237

بواسطة روح الله وأنها تحوي المفهوم الذي ليس هو فقط ظاهر(واضح)، وأيضًا، الآخر الذي هو مخفي علي أغلبية القراء... كل الكنيسة متفقة علي أنه بينما كل الناموس هو روحي، إلاّ أن المفهوم الداخلي لايُفهم من الكل، لكن من أولئك الذين لديهم استحقاق الهبة (نعمة الروح القدس) إذ يدخلون إلى عالم حكمة اللوغوس والي عالم المعرفة"[٦٢]، إن العهد الجديد، بحسب أوريجينوس، قد أنقذنا من التعليم القديم أي من نظام الحرف إذ يعلن لنا مفاخر الروح[٦٣]. إن محاولاتنا يجب أن تكون في التقدم بحذر وتقوى من المفهوم الحرفي التاريخي إلى المفهوم الروحي أي من الحرف إلى الروح.

إن أوريجينوس يعتقد أن الكتاب المقدس ـ كما سبق أن قلنا ـ تَكَّون مثل الإنسان من جسد ونفس وروح، والفهم الظاهر يتماثل مع الجسد والاستفادة من الكتاب المقدس للسلوك الأخلاقي يتماثل مع النفس أما الفهم الروحي المستتر والمخفي وراء الحرف فهو يتماثل مع الروح، وعلي ذلك فلابد للمؤمن أن يجتاز هذه المراحل لكي يصل إلى الفهم الروحي للكتاب، والعلامة أوريجينوس هنا لايُقسّم الناس تقسيمًا يُفهم منه التمايز ولكن تقسيم يوّحد ولا يفصل بين المراحل المختلفة المتدرجة التي تقود الإنسان إلى الفهم الروحي. فالمؤمن يستطيع أن يختبر الفهم الجسدى والنفسىللكتاب المقدس ليصل فى النهاية إلىالفهم الروحي له. بمعنى أن الفهم التاريخي أوالحرفي هو البداية والاستلزام، أي الشرط الضرورى لفهم المعني الروحي[٦٤].

إن الاستعداد والتهيئة لسماع وقراءة الكتاب بحسب الآباء يتم أولاً بالصلاة إلى الرب لكي ينير الذهن حتى يكتسب حاسة فهم الحق والحياة في هذه الكلمات. ثم بالمخافة والورع لأن كل كلمة تُوجد بها

62- SC252'84.

63- SC120'79

٦٤- راجع كيرلس الأسكندرى في تفسيره ليوحنا٦، PG.73,1028C

نقطة حق أبدي وكل الكلمات تمثل محيط من الحقيقة الإلهية بحسب تعبير الأرشمندريت يوستينوس بوبوفتس[٦٥]. **لذلك قبل قراءة الإنجيل في كل سر كنسي، يصلي الكاهن أوشية الإنجيل قائلاً** "وأفتح حواس نفوسنا ولنستحق أن نكون ليس فقط سامعين بل عاملين أيضًا بأوامرك المقدسة كمسرة الله أبيك"[٦٦]. وهكذا فإن كشف روح الكلمات هو موضوع إعلان الله نفسه. لكن الإنسان لايسمع الكلمة بطريقة سلبية، لكن يوجد حوار وفعل من جانب الإنسان. فالشركة الكاملة، بحسب رأي بول أفدوكيموف "لاتكون فقط شركة في الكلمة، لكن في حياة اللوغوس"[٦٧].

أيضًا أثناء قراءة البولس في الكنيسة،يصلي الكاهن صلاة سرية إلى الله قائلاً "يارب المعرفة ورازق الحكمة، الذي يكشف الأعماق من الظلمة، والمعطي كلمة للمبشرين بقوة عظيمة. الذي من قبل صلاحك دعوت بولس هذا الذي كان طاردًا زمانًا، إناءً مختارًا... أنت الآن أيضا أيها الصالح محب البشر، نسألك: **أنعم علينا وعلي كل شعبك بعقل غير منشغل، وفهم نقي، لكي نعلم ونفهم ماهي منفعة تعاليمك المقدسة التي قُرأت علينا الآن**". الله كمنبع للمعرفة والحكمة، يعمل في هؤلاء الذين يقبلون الإعلان الكتابي ليس بطريقة موضوعية مجردة تهمش الذات الإنسانية ودورها ولكن علي أساس نقاء الذهن، مثلما حدث بالضبط مع الرسل.

وهكذا بهذه الطلبات تريد الكنيسة أن تُظهر أنه من الضروري حضور المسيح بالروح لكي نفهم الكتاب، كما حدث مع تلميذي عمواس حيث الرب نفسه فسر لهم الكتب "ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب... فقال بعضهما لبعض ألم يكن قلبنا ملتهبا فينا حين كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب"

٦٥- الأرشمندريت يوستينوس بوبوفتس، المرجع السابق ص٢٢ــ٢٣.

٦٦- الخولاجي المقدس، مكتبة مارجرجس شيكولاني شبرا، الطبعة الرابعة ١٩٩١، ص٩٣.

٦٧- بول افدوكيموف، المرجع السابق ص١٩

(لو٢٤ :٢٧ ومابعده). المسيح هو حاضر في الكنيسة ويعمل (بالروح) لكي ينفتح ذهن الإنسان حتى يستطيع أن يستوعب روح كلمته. وهكذا العمل الخلاصي والشفائي يعمل داخل الإنسان لكي يرى المعني الإلهي للكتاب. **بحسب أوريجينوس،** نحن نشبه العميان وعيوننا تحتاج دائمًا إلي نزع الغشاوة إذ يقول "يجب أن نكون متيقظين،لأنه بينما نحن دائمًا بالقرب من منابع جريان المياه أي كتب الله، لكن مازلنا نجد صعوبة في أن نعترف بأن هذا حقيقي... كان يجب ونحن راكعين أن نترجى الله لكي يفتح عيوننا. أليس الأعمى الذي كان جالسًا في طريق أريحا لم تكن أعينه مفتوحة، لأنه لو كان له هذه الأعين المفتوحة لما صرخ خلف المخلص. وأيضًا لماذا أتحدث عن فتح عيوننا، كما لو أنه شيء سيحدث؟ لقد انفتحت عيوننا بالفعل. فالمسيح قد أتى وفتح عيوننا من العمي وأزال عنها الطين الذي كان عليها بفعل الناموس"[٦٨].

إن النصوص المكتوبة قد أحييت بشهادة الروح[٦٩].**الكنيسة هي التي تقدم للإنسان الضمان الفريد للتفسير الكتابي**،أي نور الفهم وحقيقة التعاليم الإلهية. فإن الشرح الموافق للتقليد الجامع وتعليم الكنيسة، يمثل عنصرًا أساسيًا للتفسير الأرثوذكسي للكتاب[٧٠]، والكنيسة تفسر الكتاب المقدس علي ضوء خطة الله المُعلنة، إذ يمثل الكتاب المقدس جزء منها. وهذا يفسر لنا كيف أن الآباء الأولين ظلوا متمسكين بقانون الإيمان (Regula Fidei)[٧١] وآخرون بهدف الإيمان للكنيسة الجامعة[٧٢]. وهذا يشير فى نفس الوقت إلي أهمية التقليد الشفاهي واقتصار التفسير الأرثوذكسي السليم علي الكنيسة[٧٣].

68- PG.12, 203

٦٩ – أنظر الأب فلورفسكي،المرجع السابق، ص٥١

٧٠– أنظر باناغوبلوس، المرجع السابق،ص٣٣١

٧١– مثل القديس ايريناؤس.

٧٢– مثل القديس أثناسيوس الرسولى.

٧٣– خريستوس فولفارس،دراسات كتابية،أثينا ١٩٨٣،ص١٣٨–١٣٩.

التقليد الكنسي لايُحجم قدرات وإمكانيات التفسير الكتابي، لكن يسهلها. فالتوافق مع تقليد الآباء يُدخل المفسر مباشرة في ذهن وفكر الكُتّاب القديسين وهكذا يخلق شركة حية بينهما. بهذا المعنى، يَقبل المفسر نفس الروح، التي ألهمت الكُتّاب القديسين. "**إن التفسير الأرثوذكسي ليس تكرار لتفسير الآباء**، لكن هو التشبه بالفكر التفسيري لهم، حتي بمعونته يتعلم المرء أن يفكر بواسطة الكتب في مشاكل هذا العصر وتساؤلاته، مثلما فعل أولئك الآباء القديسين بواسطة الكتب من جهة مشاكل عصرهم وتساؤلاته" هذا ماكتبه البروفيسور سافا أغوريوس أستاذ العهد الجديد بجامعة أثينا[٧٤].

٧٤- سافا أغوريدس، تفسير النصوص الكتابية، ص٥٩ـــ٦٠ .

اسئلة على الفصل الثاني
تفسير الكتاب المقدس في الكنيسة الأولى

١ـ إشرح الخلفية الفلسفية والتعليمية التي شكلت التفسير الكتابي في الكنيسة الأولى؟

٢ـ ما هي أساسيات التفسير في القرن الثاني للآباء المدافعون؟

٣ـ أذكر منهج مدرسة الإسكندرية لتفسير الكتاب؟

٤ـ أذكر منهج مدرسة أنطاكية لتفسير الكتاب؟

٥ـ هل تفسير نص من نصوص الكتاب المقدس يتنوع من زمن إلى زمن وأين تنبع مصداقية التفسير مع ذكر مثال لآية فُسِرت عبر الزمن تفسيرًا متنوعًا مع الإحتفاظ بمصداقية التفسير؟

٦ـ ما هو مفهوم تفسير الكتاب المقدس "في الروح" موضحًا فعل "كلمة الله" في النفس؟

الفصل الثالث

التفسير الليتورجي (الطيبولوجي) للكتاب المقدس من خلال الأسرار

التفسير الليتورجي (الطيبولوجي): المعمودية

مقدمة: التفسير المثالي أو النمطي Τυπολγική Ερμηνεία

يتميز التفسير المثالي أو النمطي للكتاب المقدس عن التفسير الرمزي أو التأويلي والذي يُنسب إلى مدرسة إسكندرية وأيضًا عن التفسير الحرفي التاريخي المنسوب إلى مدرسة إنطاكية، فكلمة "مثال" هنا باليونانية هي Τύπος أو " Type" بالانجليزيه وهي تعني نموذج أو مثال أو نمط يحمل صور ترمز إلى الحقائق التي أُعلنت في العهد القديم، حقائق، أُخروية تتم في الأزمة الأخيرة بواسطة المسيح – والسمة الجوهرية في هذا التفسير هو Christocentric أي أن المسيح هو مركز كل شئ، فآدم ونوح وموسى هم مجرد أمثلة أو نماذج لآدم الثاني ونوح الجديد وموسى الجديد أي "المسيح".

وهذا التفسير نجده عند الأنبياء، بل إن بدايته أتت من عصر الأنبياء الذين نادوا وبشروا إسرائيل في الأسر بأن الله سوف يحقق في المستقبل أعمال أعظم من الأعمال التي فعلها في الماضي.وهكذا بشروا بخروج جديد عندما يحرر الله بقوته البشرية المأسورة من العبودية، ويصير لهم قائد. أيضًا بشروا بيوم راحة جديد وهنا نتذكر بولس الرسول في الرسالة الي العبرانيين(٤:٨) *"لأن لو كان يشوع قد أراحهم لما تكلم بعد ذلك عن*

يوم آخر" يوم راحة فيه خلاص للبقية الباقية لكي يجدد البشرية.

هذه النماذج أو الصور قد تحققت في شخص يسوع الناصري، لأن في المسيح يسوع تحقق الخروج الحقيقي وحُرَر شعب الله من عبودية إبليس.

إذن كل صور الأنبياء هي أمثلة إسخاتولوجية أي تحققت في أواخر الدهور في زمن المسيح، وأيضًا كما سنري في زمن الكنيسة إن بولس الرسول في (١كو١٠: ١١) ينبهنا لذلك قائلاً " فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكتبت لإنذارنا نحن الذين إنتهت إلينا أواخر الدهور".

نكرر أن الزمن الأخروي ليس فقط الزمن الذى عاشه المسيح ولكن أيضًا زمن الكنيسة، لذلك كل الأمثلة أو نماذج العهد القديم لم تجد تحقيقها فقط في شخص المسيح بل في الكنيسة وهنا تبرز السمة الثانية الأساسية لهذا التفسير وهو السمة السرائرية بجانب السمة الأولى وهي الخريستولوجية، وهذا فكر كتابي ففي إنجيل يوحنا مثلاً نجد نموذج للافخارستيا وهو المن السماوي وفي الرسالة الأولى لكورنثوس نجد عبور البحر الأحمر مثال للمعمودية، وفي رسالة بطرس الأولى نجد الطوفان نموذج ومثال للمعمودية. هكذا نري أن الأسرار الكنسية تحمل الأعمال العظيمة والعجيبة لله في التاريخ وتجعلها تستمر في العهد الجديد أو بالأحرى في زمن الكنيسة وهذه النماذج تُدخلنا للاهوت الكتابي الذي هو اساس لاهوت الآباء ولا يمكن أن نفهم الأسرار دون هذه الرموز والصور الكتابية التي تهيئنا للدخول في السر الكنسي[٧٥]. نحن هنا أمام ما يُسمي التفسير الليتورجي للكتاب المقدس، أي كيف نفسر الكتاب ونحياه في نفس الوقت أثناء ممارسة العمل الليتورجي في الكنيسة. سنرى هذه الحقيقة أثناء ممارسة كل مَن سر المعمودية والميرون والإفخارستيا.

٧٥- لمزيد من التفاصيل، انظر: جان دانيلو: "الكتاب المقدس والليتورجيا"، إصدار "خبز الحياة"، أثينا ١٩٨١، (الترجمة اليونانية) وهو مرجع أساسي لهذا البحث.

أولا : . صور أو أمثلة المعمودية في الكتاب المقدس

تحتفظ العظات الأبائية بقائمة من **النماذج المأخوذة من العهد القديم والتي ترمز إلى المعمودية**... وأقدم هذه النماذج أو الأمثلة نجدها عند العلامة ترتليانوس في (De Baptismo) وأعيدت صياغتها وشرحها بأكثر وضوحاً عند ديديموس الضرير (PG, 39,693) والقديس كيرلس الأورشليمي يذكر هذه الأمثلة ليس في العظات السرائرية ولكن في عظاته عن المعمودية (PG, 33I,433) وكذلك يفسح القديس امبرسيوس مكانا كبيرا لهذه النماذج في عظاته السرائرية.

وهذه الامثلة أو النماذج هي واحدة عند هؤلاء الآباء مما يضعنا أمام تعليم واحد مشترك، وهذه الأمثلة هي موجودة قبلاً في العهد الجديد وعند الكُتّاب الأوائل مثل عبور البحر الأحمر والطوفان نجدهما في رسالة بطرس الأولى (١بط٣: ١٩-٢١) وصخرة حوريب هي مثال المعمودية عند يوحنا الإنجيلي (يو٧: ٣٨) أيضًا في رسالة برنابا وعند يوستينوس وإيرينيوس نجد هذه الأمثلة الإنجيلية وغيرها مثل ماء مارة واغتسال نعمان السرياني والقراءات الليتورجية والتسابيح في السبت العظيم التي تمهد للمعمودية هي صدى للتعليم التقليدي للكنيسة.

هذه النماذج عند الآباء لا تمثل أمثلة مجردة بل وجدت في العهد القديم لكي يُستَّند عليها في شرح المعمودية فهي لها هدف واضح وهو شرح وتفسير المعنى والقيمة الحقيقية للمعمودية، ونحن إذا أردنا أن نفهم بالحق المعمودية علينا أن نرجع إلى هذه الصور والأمثلة الموجودة في العهد القديم ونحن لا ننسى أن المعمودية ولدت في الرمزية اليهودية.

قبل أن نستعرض هذه الصور عند الآباء علينا أن نقرأ النص الليتورجي القبطي للمعمودية والتي يُذكَّر فيها كل هذه النماذج، إذ يقول الكاهن

"رفعنا أعيننا إليك يا رب. وأعين أنفسنا ناظرة نحوك أيها الرب إلهنا. ونسألك أيها الرب الضابط الكل إله آبائنا، الذي خلق السماء والأرض وكل زينتها، الذي خلق **المياه** التي فوق السماء وثبت الأرض على المياه، الذي جمع المياه إلى مكان واحد، الذي ربط البحر وغلق الأعماق وختمها باسمه المملوء مجداً وخوفاً، الذي كل شئ يخاف ويرتعد من قدام وجه قوته، أنت يا سيدنا ثبت البحر بقوتك أنت رضت رؤوس التنين على المياه".

ثم يقول "... أنت نظرت إلى **مياه البحر الأحمر** برهبتك فأقمتها وعبرت إسرائيل وبموسى عمدتهم جميعاً".

"أنت أمرت **الصخرة الصماء** فأفاضت الماء لشعبك وأيضًا **المياه المُرة** نقلها إلى مياه حلوة. أيضًا **بيشوع بن نون** رددت إلى خلف مياه الأنهار الجارية. أنت المخوف فمن هذا الذي يستطيع أن يقف أمام وجهك. **وصعيدة إيليا** التي بالماء قبلتها بالنار من السماء. أنت أيضًا يا سيدنا بواسطة **نبيك اليشع** أظهر ماء ميلاد الحياة. **ونعمان السرياني** طهرته بمياه الأردن. فأنت القادر على كل شئ ولا يعسر عليك أمر".

١ . ماء الخلق الأول:

أن أول الصور أو الأمثلة التي نجدها في العظات التعليمية القديمة عند الآباء والتي ترمز للمعمودية **هي صورة "ماء الخلق" المذكورة في الإصحاح الأول من سفر التكوين١ : ٢** "...روح الله يرف على وجه المياه"، وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء..." (تك١ : ٢٠). إن الأنبياء بشروا بأنه في أخر الأزمنة سوف يظهر الله خليقة جديدة وهذه الفكرة لها مكانة كبيرة عند أشعياء النبي، فالخلق الأول في سفر التكوين هو (مثال اسخاتولوجي) للخليقة الجديدة التي سوف تتحقق في نهاية الأزمنة. والعهد الجديد يخبرنا أن هذه الخليقة الجديدة حُققت في المسيح يسوع وهي مستمرة في التاريخ بواسطة

المعمودية. فهي في الحقيقة خلق جديد، (ولادة ثانية) بحسب مصطلحات إنجيل يوحنا(٣: ٥) وهي خليقة جديدة بحسب بولس الرسول (٢كو٥: ١٧) وهذا الخلق الجديد يُمنح ويحدث داخل الماء العمادي (يو٣: ٥).

ومن مقارنة ماء الخلق الأول بماء المعمودية والتي هي مقارنة كتابية نستطيع أن نفهم معنى المعمودية وهذا ما فعله الآباء. فالعلامة ترتليانوس في كتابه"عن المعمودية " (DE Baptismo) يشرح مبررات استخدام الماء في المعمودية مستندا على رواية الخلق المذكورة في سفر التكوين الإصحاح الأول. نجد في رواية الخلق الماء وبه **عنصرين** هما أساس المعمودية فيما بعد :**العنصر الأول هو الماء** الذي يعتبر العنصر الأول لظهور الحياة ،**والعنصر الثاني هي تقديس المياه إذ أن روح الله كان يرف على وجه المياه.** وينبهنا العلامة ترتليانوس على أنه لابد أن نحترم أو نقدر هذا الماء الذي من داخله ظهرت الأرض (Bapt2) ويقول "عندما نظمت عناصر العالم... عندئذ أعطي أمر للماء الأوّلي أن يفض كائنات حية. الماء الأول ولد الحياة حتى لا يندهش أحد من ماء المعمودية الذي له قدرة أن يحي" (Bapt.2).

هنا نأتي إلى **العنصر الثاني وهو روح الله** الذي كان يرف على وجه المياه فإليه تنسب عملية الخلق الثاني للمعمدين، فالماء الذي قدس بالروح القدس له القدرة على التقديس والخلق.

يقول القديس أمبرسيوس"رأيت المياه على أي حال المياه لا تشفي إن لم ينزل روح الله ويقدسها"[76].

العلامة ديديموس الإسكندري يشرح لنا أكثر قائلا " الثالوث غير المنظور، غير المنقسم (أي الواحد) رأى (بصفته أزلي) سقوط الطبيعة البشرية، في نفس الزمن الذي دعا فيه من العدم جوهر الماء أعد للبشر الشفاء الذي يجب أن يُعطّى داخل المياه. لماذا الروح القدس رف على وجه

76- De Sacr. 1,15, Botte.

المياه، ليطهر لنا الماء ويقدسها ويمنحها الخصوبة. يجب أن نربط هذا بحدث لحظة عماد المسيح، الروح القدس نزل على أمواج الأردن ووقف فوق المسيح"(٧٧) **هنا يركز ديديموس على الربط بين نزول روح الله على ماء الخلق الأول ونزول الروح القدس في نهر الأردن.** هذا الربط يعبر عن أهمية (حمامة) العماد، فكما أن الروح القدس رف على وجه مياه سفر التكوين ومنها كان الخلق الأول هكذا الروح القدس رف على مياه الأردن مسببة الخلق الثاني والتي باستدعائه يولد المعمد من ماء المعمودية المقدس. **وبذلك تكون المعمودية هي خلق جديد، هي إعادة للخلق الأول.** ورمزية الماء في المعمودية هو العلامة المحسوسة وهو إشارة لماء الخلق الأول المذكور في سفر التكوين. نجد ذلك واضح عند القديس اكليمندس الإسكندري "إن الخليقة الجديدة، الولادة الثانية، صارت بالماء والروح كما وُلِدَ الكون. إن روح الله رف فوق الماء".(٧٨)

القديس كيرلس الأورشليمي يوضح بسهولة الربط بين الخلق الأول والثاني قائلا "لو أردت أن تعرف لماذا أُعطَّى للمياه أن تمنح النعمة وليس عنصر آخر أدرس الكتاب. المياه هي شئ عظيم.. هي الأجمل في الأربع عناصر المادية للكون..السماء هي مسكن الملائكة، لكن السموات صارت من الماء، الأرض هي وطن البشر لكن الأرض خرجت من المياه. وقبل خلق الأشياء المرئية في ستة أيام، روح الله كان يرف على وجه المياه. الماء هو بداية العالم وفي بداية الإنجيل كان الأردن"(٧٩).

قد نظن أن الماء هنا هو الوسط المحي فقط أي العنصر الخلاق وليس عنصر الدمار (الموت)، ولكن هذا ليس دقيق بالمرة لأننا نجد أثار الوجة الآخر في الليتورجية القبطية وأيضا الأثيوبية ويستشهد العالم

77- PG, 39, 692C.

78- Εκλογ., Προφ. 7, Staelin, 138.

79- PG, 33. 433A.

"Lundberg" قائلا "داخل الليتورجية القبطية والسريانية يصير استدعاء لقوة الله على المياه مثلما أعلنت في الخلق، قوة، نعمة بها ماء الموت يتكون بطريقة سرائرية بواسطة التقديس إلى ماء خالق للحياة. تقديس المياه هو في نفس الوقت مطهر ومقدس".[٨٠]

وبقراءة النص الليتورجي للكنيسة القبطية والذي ذكرناه في البداية نرى بوضوح الوجه الآخر للمياه "...ربط البحر وغلق الأعماق وختمها باسمه...ثبت البحر بقوتك. أنت رضضت رؤوس التنين على المياه"، وبذلك نرى بوضوح أن الماء كما هو وسط محي هو وسط مميت للتنين (الشيطان). الحياة والموت معا، الحياة تمثل الخليقة الجديدة ، الولادة الثانية للإنسان الجديد وأيضا الموت هو موت الإنسان العتيق.

٢. الطوفان

الطوفان هو صورة من صور المعمودية والتي يذكرها الآباء دائما، فهذا نموذج يشرح المعنى الكامل والحقيقي لسر المعمودية. **فالماء هنا ليس هو الوسط المحي فقط بل الوسط المميت، المدمر**، في الطوفان نرى تعليم المعمودية كصورة لموت المسيح، نرى العالم تحت الخطية وحكم و دينونة الله الذي يدمر هذا العالم الشرير، نرى أيضا واحد بار يُنقَّذ لكي يكون بداية لخليقة جديدة. التماثل بين الطوفان والمعمودية ـ نجده أولا في العهد الجديد في رسالة بطرس الأولى(٣: ١٨ـ٢١) *"فإن المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الآثمة لكي يقربنا إلى الله مماتا في الجسد ولكن محي في الروح. الذي فيه أيضا ذهب فكرز للأرواح التي في السجن. إذ عصت قديما حين كانت آناه الله تنتظر مرة في أيام نوح إذ كان الفلك يبنى الذي فيه خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء. الذي مثاله يخلصنا نحن الآن أي المعمودية. لإزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح".*

٨٠- نقلاً عن: "الكتاب المقدس والليتورجيا"، جان دانيللوا ص ٨٣ (باللغة اليونانية).

إن الصعوبة الكامنة في هذا النص تأتى من الفعل "بشر" والذي يفترض توبة للأرواح التى في السجن، لكن البشرى هنا هي إعلان انتصار الله على الموت وإعلان الخلاص لكل المسكونة وبولس الرسول في أفسس (٤ : ٨-١٠) يركز على أن الله يملأ الكل *"الذي نزل إلى أقسام الأرض السفلي هو الذي صعد إلى العلاء أيضا فوق جميع السموات لكي يملأ الكل"* وأيضًا يوحنا الإنجيلي في انجيله ص٥: ٢٥ يعلن هذه الساعة، ساعة الخلاص على لسان المسيح "الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون". المسيح هنا يواجه الأصنام، الأموات، الأرواح الشريرة رؤساء هذا العالم الشرير معلنًا الانتصار والخلاص للأموات في الخطية.

إن تعليم القديس بطرس واضح في الربط بين ما حدث أيام نوح (الفلك والطوفان) وما حدث معنا في المعمودية، فكما أن البشرية الخاطئة أيام نوح دُمِرَت بدينونة الله عن طريق طوفان الماء هكذا في المعمودية يدمر الإنسان العتيق بواسطة الماء السرائري، وكما أن واحد بار استثنى لكي يصير بكر لبشرية جديدة هكذا في المعمودية يخرج المعمد لخليقة جديدة. ولابد أن نركز على نزول المسيح للجحيم والذي يعلن أنه داخل موت المسيح وقيامته يصير للبشرية قيامة جديدة أو ولادة جديدة إذ يخرج المعمد إنسان جديد.

إن بولس الرسول يخبرنا أن المعمودية هي التشبه السرائري بموت وقيامة المسيح، لذلك نجد عند يوحنا ذهبي الفم أن "التغطيس والصعود (في المعمودية)هي صورة النزول إلى الجحيم والصعود منه لذلك بولس الرسول يسمي المعمودية قبر (دفنا معه في المعمودية)".[81]

ما فعله القديس بطرس هو أنه ذكرنا بما بشر به الأنبياء أنه في أواخر الأزمنة سيخلق الرب "سموات وأرض جديدة" فكان لهم ما حدث. الطوفان

81- Ομ. Α'κορ. 40, PG, 61, 348.

مثال أخروي والتفسير المسيحي لهذا النموذج الموجود في العهد القديم كما شرحه لنا القديس بطرس يؤكد أن الخليقة الجديدة تحققت في قيامة المسيح من بين الأموات وأن المعمودية هي الاشتراك في هذا الحدث العظيم (موت وقيامة المسيح).

إن النموذج السرائري والذي نجده عند القديس بطرس الرسول قد شرحه التقليد الآبائي بأكثر وضوحا فنجد عند يوستينوس "وفق الطوفان يُتمَّم سر خلاص الإنسان. نوح البار مع الآخرين أي امرأته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم يشكلون رقم ثمانية قدموا لنا رمز اليوم الثامن والذي فيه ظهر المسيح القائم من الأموات. هذا الرمز يظهر دائمًا الأول المسيح صار بكر كل خليقة، صار بمفهوم جديد رئيس أو بداية سبط آخر، ذاك "السبط" الذي وُلدَ ثانية من ذاك (المسيح) بالماء و الخشبة التي تحوي سر الصليب، مثلما أُنقِذَ نوح والذين معه عن طريق خشبة الفلك الذي حُمِلَ فوق المياه... هؤلاء الذين تهيئوا بواسطة الماء والإيمان والخشبة (سر الصليب) وتابوا عن خطاياهم سيُنقّذوا من دينونة الله القادمة".[٨٢]

القديس يوستينوس يوضح معطيات العهد الجديد خاصة الموجودة في رسالة بطرس الأولى. **ماء الطوفان مثال لماء المعمودية ورأينا التماثل بين الطوفان ونزول المسيح للجحيم وأيضا المعمودية وفي الثلاث حالات يوجد عالم شرير نال عقابًا وأُدين ويوجد أيضا واحد بار يُنقّذ،** ففي حالة الطوفان نجد نوح البار وفي حالة النزول للجحيم نجد المسيح البار وفي المعمودية نجد المسيحي أو المعمد الذي على صورة المسيح يسوع. المهم هنا أيضا التشابه بين ماء الطوفان وماء المعمودية والتي تشير إلى الدينونة التي يجتازها المعمد في ماء المعمودية. وهي كما شرحناها سابقا "موت الإنسان العتيق" وقد وضحها القديس يوستينوس بقوله "هؤلاء الذين تجهزوا أو تهيئوا أو استعدوا بواسطة الماء والإيمان والخشبة وتابوا عن خطاياهم سيُنقّذوا مِن دينونة الله القادمة" لأن المعمد قد دين فعلا بمعمودية النار

82- Διάλογος, 38, 2-3.

والروح القدس، التي أخبرنا عنها يوحنا المعمدان "هو سيعمدكم بالروح القدس ونار" هكذا المعمد يتذوق سريا الدينونة الأخيرة، ويوضحها اوريجنيوس عندما يقول "داخل معمودية الماء نحن أموات مع المسيح وداخل معمودية النار نتغير إلى جسد مجده"[٨٣]، والمسيح نفسه إعتبر موته وقيامته معمودية ففي (لو ١٢: ٥) *"لي صبغة اصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل"*، يتكلم عن موته وقيامته كاصطباغ أي معمودية لأن كلمة صبغة في اليونانية تعني أيضًا معمودية.

أيضًا لدينا رقم (٨) "ثمانية أشخاص"*أنقذوا من الطوفان، إذ نقرأ في رسالة بطرس الثانية٢ : ٥، ٤ "لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء، ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوح ثامنًا كارزًا للبر إذ جلب طوفان على عالم الفجار*".

إن رقم (٨) يرمز إلى اليوم الثامن الذي قام فيه المسيح، هو يوم الأحد الذي يأتي بعد السبت هو عيد لنا نحن المسيحيون عيد قيامة الرب ولا ننسى أن المعمودية كانت تعطى يوم أحد البصخة وهذا ما يفسر الشكل الثماني للمعمودية. نجد هذه الرمزية واضحة عند يوستينيوس "فاليوم الثامن عنده هو (اليوم الأول) يرمز لقيامة المسيح والمعمودية عنده هو بداية عصر جديد اليوم الأول للأسبوع الجديد.

بعد القديس يوستينيوس نستطيع أن نأتي إلى ترتليانوس ونتعرف على شرحه للطوفان على أنه مثال للمعمودية، إذ يقول "الحمامة التي خرجت من الفلك ورجعت بغصن زيتون والتي هي الآن علامة سلام الشعوب بشرت بالسلام على الأرض. نتتبع نفس التدبير في المجال الروحي، إن الحمامة الروح القدس تنزل على الأرض أي جسدنا، تطفوا على جرن المعمودية... لتُحضِر سلام الله ...حيث الكنيسة يُرمَّز لها بالفلك" (De Bap8).

٨٣- أوريجينوس في تفسيره لمتى ٢٣:٢٥، أيضًا غريغوريوس اللاهوتي PG, 36, 357G.

الملمح الأساسي عند ترتليانوس في هذا النموذج هو الحمامة التي تشير للروح القدس. وترتليانوس كلمنا عن معمودية المسيح إذ يقول "مثلما نزل الروح القدس فوق الرب في شكل حمامة يقف فوق مياه المعمودية حيث يتعرف على إقامته القديمة (يقصد الإنسان قبل السقوط)"(De Bapt 8) يرى التقليد الآبائي أن نزول الروح القدس على وجه المياه في الخلق الأول وأيضا نموذج الحمامة التي رجعت بغصن زيتون ووقفت على الفلك. وهنا الفلك مثال للمعمودية المسيحية حيث نوح هو نموذج لنوح الجديد الذي نزل عليه الروح القدس ليعلن مصالحة الإنسان مع الله.

أيضا نجد كل هذا عند القديس كيرلس الأورشليمي " البعض يقول إنه، مثلما أتي الخلاص في أيام نوح من الخشبة والماء، ومثلما صارت بداية لخليقة جديدة، ومثلما الحمامة آتت في هذا المساء بفرع زيتون، بنفس الطريقة يقولون أن الروح القدس نزل على نوح الحقيقي، خالق الخليقة الجديدة، عندما نزلت الحمامة الروحية فوق المسيح أثناء العماد لكي تظهر أن ذاك بخشبة الصليب يمنح الخلاص للمؤمنين، إذ في المساء موته قَدَمَ للعالم نعمة الخلاص"[٨٤].

الملمح الآخر في هذا النموذج والذي يريد أن يظهره لنا ترتليانوس هو أن الفلك هو صورة للكنيسة وهذا نجده عند ايرينيوس ويؤكد القديس ايرينيوس أن القديس بطرس يفسر الفلك على أنه الكنيسة [٨٥] لا نجد ذلك عند القديس يوستينوس الذى يفسر رمزيا خشب الفلك على انه يشير إلى خشبة الصليب، لكن نرجع إلى ترتليانوس الذي يقول " مَنْ لم يوجد في الفلك لم يكون في الكنيسة"[٨٦] والقديس كبريانوس يعطي أهمية لهذا الأمر، قائلاً: " لو أحد استطاع أن يخلص خارج فلك نوح، سيخلص ذاك الذي يكون خارج الكنيسة"[٨٧] وبذلك أراد كبريانوس أن يقول "لا

84- PG, 33, 982A.

85- Epist. 133, PL, 22, 1014.

86- De Idol., 24. PL., I, 696B.

87- 6, C.S.E.L., 214.

خلاص خارج الكنيسة"، والقديس جيروم كصدى لهذا التقليد يكتب "فلك نوح كان مثال للكنيسة"[88].

العلامة ديديموس الضرير يفسر بوضوح هذا النموذج في (De Trimitate) قائلا: "الطوفان الذي طَهَرَ عالم الخطية العتيق كان نبوة مستترة للتطهر من الخطايا بواسطة الجرن المقدس للمعمودية. والفلك الذي أنقذ هؤلاء الذي دخلوا فيه هو صورة للكنيسة التقية وللرجاء الحسن الذي نأخذه منها. وكل ما يخص الحمامة التي أحضرت غصن الزيتون للفلك والتي أظهرت أن الأرض كشفت هذه أشارت إلى قدوم الروح القدس والمصالحة التي أتت فوق الزيتون حقيقة هو رمز للسلام"[89]. لقد رأينا رمزية خرستولوجية عند يوستينوس عندما ركز على أن الفلك يرمز للصليب وأيضا عند ترتليانوس رأينا الرمزية الاكليسيولوجية حيث الفلك هو صورة الكنيسة.

أيضا عند القديس يوحنا ذهبي الفم نجد هذا النموذج التقليدي "أن رواية الطوفان هي سر وتفاصيلها هي نموذج للحقائق الآتية. الفلك هو الكنيسة، ونوح هو المسيح، الحمامة هو الروح القدس، وفرع الزيتون هو المحبة الإلهية للبشر. وكما أن الفلك حمى هؤلاء الذين كانوا بداخله، هكذا الكنيسة تخلص هؤلاء الذين ضلوا، لكن الفلك قد حمى فقط، بينما الكنيسة تفعل أكثر من ذلك، مثلا الفلك قَبِلَ حيوانات غير عاقلة واحتفظ بها كما هي، أما الكنيسة تقبل البشر ولا تحتفظ بهم كما هم لكن تغيرهم"[90].

نحن هنا أمام شهادة يوحنا ذهبي الفم والذي كان لا يستخدم كثيرا الطريقة الرمزية لتفسير الكتاب. وهذه الشهادة لها أهمية كبرى لأنها تضعنا أمام تقليد كنسي مشترك.

88- P.L., 23, 185A.

89- 2, PG, 39, 697, A-B.

90- ομ. ΛαΖ. 6, PG, 18, 1037- 1038.

٣. عبور البحر الأحمر

نجد هذا النموذج باستمرار عند الآباء هو والطوفان ولكن الموضوع الرئيسي في عبور البحر الأحمر نجده يختلف فهنا نلتقي مع المياه المدمرة، كأداة عقابية في يد الله. نحن هنا ننتقل إلى إطار كتابي آخر وهو سفر الخروج.**كل رواية الخروج من مصر هي صورة للفداء.** الأنبياء بشروا بخروج جديد في أواخر الأيام فيه يقوم الله بأعمال أعظم من تلك التي صنعها في الصحراء. العهد الجديد خصوصًا إنجيل متى - يخبرنا بهذه الأعمال الإلهية العظيمة محققة في المسيح. بالمسيح تحقق التحرر الحقيقي وهذا التحرر هو متاح لكل شخص فينا بالمعمودية. أثناء فترة البصخة نجد أن الإنجيل والليتورجيا يذكرون دائمًا ذكرى خروج العبرانيين من أرض مصر، الخروج الذي حققه المسيح بموته.

ولا ننسى أن التقليد يخبرنا أن أثناء ليلة الفصح تتم المعمودية لتؤكد على هذه العلاقة بين الخروج القديم والخروج الجديد في المسيح.

هذا النموذج الأخروي موجود في العهد القديم أي أن عبور البحر الأحمر كما قلنا لدى الأنبياء هو مثال أُخروي سوف يتحقق في الأزمنة الأخيرة، فأشعياء على سبيل المثال ص(٥١ : ١٩)"*الست أنت المنشف البحر مياه الغمر العظيمة الجاعلة أعماق البحر طريقا لعبور المفدين*" هنا الإله ينتصر على تنين البحر والعهد الجديد يجد أيضا في عبور البحر الأحمر بالإضافة إلى أنه صورة للمعمودية أيضا بعد أُخروي يخبرنا عنه سفر (الرؤيا ١٥ : ٢-٣) "*... والغالبين على الوحش وصورته وعلى سمته وعود اسمة واقفين على البحر الزجاجي معهم قيثارات الله. وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف قائلين عظيمة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء عادلة وحق هي طرقك ياملك القديسين*".

فرعون هو رمز للشيطان الذي هُزِمَ في مياه البحر الميتة، بينما عبيد الله المنتصرين وجدوا على الجانب الآخر من البحر دون أن يصيبهم أي ضرر من البحر المدمر.

العهد الجديد يؤكد على ان عبور البحر الأحمر يتحقق عن طريق العماد أي بعبور ماء جرن المعمودية. وغير ذلك في النص المعروف في رسالة كورنثوس الأولى لبولس الرسول من (١٠ : ١ – ٦) " فإنى لستٍ أريد أيها الاخوة أن تجهلوا أن أباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر. وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفى البحر".

هنا نجد العلاقة الشديدة والواضحة بين عبور البحر الأحمر والمعمودية، فالخروج من مصر هو المعمودية، التي هي خروج من عبودية الخطية، إلى الدخول في الحياة الجديدة.

على الجانب الآخر في زمن بولس الرسول كان هناك تفسير سائد لعبور البحر الأحمر عند اليهودية وقت ذاك، فللدخول على اليهودية في ذلك العصر كانت تجري المعمودية بالإضافة إلى الختان، ولما كتب G. Foot Moore "لم تكن تطهيرية ولا حقيقية ولا رمزية لكن جوهريا طقس للإهتداء أي للدخول في اليهودية " [٩١].

وهدف هذا العمل الاهتدائي أن يمر المهتدى مع الشعب في سر عبور البحر الأحمر، اى أن معمودية المهتدين كانت نوع من التشبه بالخروج من مصر .

وهذا في غاية من الأهمية لأنه يبين لنا أن الربط بين عبور البحر الأحمر والمعمودية هو أيضا عند اليهودية وبالتالي يعطي الرمز الحقيقي للمعمودية.

هذا العمل لم يكن عمل تطهيري ولكن عمل تحرري وخليقة جديدة .

الشعب اليهودي كان تحت نير عبودية فرعون وتحرروا عن طريق عبور البحر الأحمر والتي كانت فيه الماء مدمرة لفرعون وجنوده، هكذا أيضا الموعوظ المقبل على العماد - كما يوضح التقليد الكنسي - كان تحت قهر الشيطان وحُرِّر عن طريق مياه المعمودية التي دمرت سطوة الشيطان .

٩١- وذلك نقلاً عن جان دانيلو "الكتاب المقدس والليتورجيا" Judaism 1, p. 334.

المعمودية هنا هي الفداء، هي انتصار المسيح على الشيطان وبهذا الانتصار تحررت البشرية. والمعمودية تمنح هذا التحرر لكل مسيحي، لان في المعمودية الشيطان يُهزَّم والإنسان يَخلُص وهذا يحدث عن طريق الماء. المعمودية هي صراع مع الشيطان، والخروج من مصر يعطينا هذه الصورة اللاهوتية للمعمودية،فالذي منحه الله بسر الماء وحرر الشعب الجسدي من قهر جسدي أو عبودية جسدية لكي يعبر هذا الشعب من مصر إلى الصحراء، هو نفسه يُتمَّم بسر الماء (المعمودية)، أي التحرر لشعب روحي من عبودية روحية لكي يعبر من العالم إلى ملكوت الله.

يتكلم العلامة ديديموس الضرير في Tpinitate كتابه "عن الثالوث" عن المعمودية كتمهيد لموضوع ألوهية الروح القدس. ويخبرنا عن هذه النماذج لتقديس المياه من الروح القدس "كان روح الله يرف على وجه المياه"،والطوفان وأخيرا عبور البحر الأحمر "البحر الأحمر أيضا والذي قَبِلَ الإسرائيليين، والذين لم ينتابهم الشك حيث حررهم (الله) من المتاعب التي جلبها عليهم المصريون، وكل تاريخ الخروج من مصر هو مثال للخلاص المعطى عن طريق المعمودية. مصر، حقيقة ترمز لصورة العالم الشرير وعن طريقها نجلب على أنفسنا حياة تعيسة بشعة. الشعب الذي صار مستنير (معمد)،والماء الذي كان للشعب وسيلة خلاص... يرمزان للمعمودية، وفرعون وجنوده يرمزان للشيطان وأعوانه"[٩٢]

القديس باسيليوس يؤكد على أن كل ما يخص خروج إسرائيل يُذكَّر لإعلان خلاص هؤلاء الذين يعتمدون: "البحر هو مثال للمعمودية والتي تحرر من فرعون ... البحر قتل العدو هكذا في المعمودية أعدائنا (الشيطان وأعوانه) يُدّمَرَون بمعونة الله. الشعب خرج من البحر مخلصا بلا ضرر ونحن نصعد من الماء كالأحياء من الأموات"[٩٣]

وهنا نلاحظ هذه المقارنة الأخيرة للقديس باسيليوس عن قيامة المسيح

92- PG, 39, 697A.

93- Περί 'Αγ. Πνεύματος, 14 Pruche, 163-164.

بين الأموات وصعود المعمد من مياه العمودية. **وفي وضع آخر يقول القديس باسيليوس:** "إن لم يعبر بني إسرائيل البحر، لكانوا غير قادرين على الهرب من فرعون، هكذا أنت لو لم تعبر الماء، لا يمكنك الهرب من العذاب المميت للشيطان"[٩٤].

نفس الفكرة يقدمها لنا القديس غريعوريوس النيصي "إن عبور البحر الأحمر كان بحسب بولس الرسول من الأعمال التي تنبأت عن المعمودية، حقيقةً إلى الآن عندما يقترب المعمد من ماء الولادة الثانية، ينجو ـ كما من عبودية مصر ـ محررًا ومخلصنًا، لكن الشيطان وأعوانه الأرواح الشريرة تختقي"[٩٥].

أيضا في كتابة "حياة موسى" يرى القديس غريغوريوس النيصي أن جنود فرعون يرمزون إلىأهواء النفس: "الأهواء (الجنود) انطرحت في الماء بعد أن تتبعت العبرانيين (في البحر) لكن الماء صار بداية حياة لهؤلاء الذين طلبوا من الماء ملجأ وأيضا صار هذا الماء مميت لطارديهم"[٩٦]

نأتي إلى عمود السحاب الذي صاحب اليهود أثناء الخروج، هذا العمود هو العلامة المنظورة لحضور الله وسط الشعب.إن موضوع السحابة كعلامة سكنى الله في خيمة الشهادة نجدها كثيرا في كل العهد القديم. وفي العهد الجديد حضور السحاب يؤكد سكنى الله (يو١: ١٤) "اى حل بيننا "

من ذلك الحين رافق الروح الطبيعة البشرية للمسيح ذاك الذي حلَّ من العذراء وقت البشارة لو١ : ٣٥ "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله". وظهرت هذه السحابة في التجلي وفي الصعود والتي عبرت بالضبط على ألوهية السيد المسيح وخاصة القديس بولس يربط مباشرة عمود سحاب الخروج بالمعمودية المسيحية،

94- PG, 29, 425 B-C.

95- PG, 46, 589D.

96- PG, 46, 361c.

عندما قال "آبائنا اعتمدوا في عمود السحاب وفي البحر" السحابة تعني بوضوح الروح القدس "قوة الله العلي" في خيمة البشارة.

إن حضور السحاب رافق عبور البحر الأحمر في رواية الخروج. ويصور هكذا اتحاد الماء بالروح القدس كعنصري المعمودية.

تفسير الآباء يستند بقوة على أساس كتابي. يعلق أوريجينوس على رواية الخروج من مصر في "أحاديثه عن الخروج" مقتبسا من بولس الرسول، قائلاً: ["رأيتم كيف أن تقليد بولس يختلف عن التعليم التاريخي "المدرسة التاريخية للتفسير". هذا الذي يعتبرونه اليهود عبور البحر يسميه بولس الرسول معمودية.هذا الذي يعتقدونه هؤلاء سحابة يعتبره بولس الرسول الروح القدس. وأراد أن يفسر هذه الآيات بنفس مفهوم وصية الرب عندما قال "من لا يولد من الماء والروح القدس لا يستطيع أن يدخل ملكوت السموات].[٩٧]

القديس امبروسيوس في De Mysteriis الأسرار: "ما الشيء المهم الذي يوجد في عبور الشعب اليهودي البحر الأحمر؟ ..ذاك الذي عبر هذا البحر، عَبَرَ من الأشياء الأرضية إلى السماوية.. إنه عبور حقيقي من الموت إلى الحياة، الذي عَبَرَ لا يموت بل يظل قائمًا"[٩٨].

القديس إمبروسيوس هنا ملتزم بالتفسير الرمزي الإسكندري ويفسر هنا البصخة بطريقة فيلون اليهودي: "العبور من الأشياء الأرضية إلى السماوية"، كل ما يخص السحابة يفسرها بنفس المفهوم "عمود دخان السحاب كان أمام الشعب، عمود السحاب تبعهم مثل ظل الروح القدس. أرأيت أنه بالروح القدس وبالماء ظهر مثال المعمودية بوضوح"[٩٩].

٩٧- أوريجينوس، عظة عن الخروج: ١,٧.

98- 1,2 Botte, 57-58.

99- 1, 22, Botte, 62.

السحابة المدخنة ظهرت فقط في النهار أما الليل أخذت شكل عمود نور هذا يقود إلى خط آخر، هذا الخط يأتي من الكتاب الذي يفسر العمود بنور الكلمة اللوغوس. في حكمة سليمان بالنسبة إلى عمود النور نجده صورة (للحكمة١٠: ١٧) "وجزت القديسين ثواب أتعابهم وهدتهم طريقا عجيبا وكانت لهم ملجأ في النهار وضياء نجوم الليل" هنا ينسب المؤلف إلى الحكمة ما ينسبه الخروج إلى الله الحاضر في الغمام.

فيلون اليهودي هنا يرى في النور شكل اللوغوس. وإنجيل يوحنا يظهر لنا المسيح كعمود نور "أنا هو نور العالم"."مَنْ يتبعني لا يسلك في الظلمة" (يو٢ :٨). والقديس أكليمندس الإسكندري يستخدم عمود نور الخروج كملمح لتجسد الكلمة"[١٠٠]، بالتالي ليس مدهشا أن نجد هذا التفسير في العظات العمادية الأولى.

إن الروح القدس ظهر مثل سحابة ليُظهِر قوة الله التي تعمل في العماد، الكلمة ظهر مثل عمود نور لكي يعلن أن المعمودية هي الإستناره الإلهية .

وكلمة "الاستنارة" هي من الكلمات التي تطلق على المعمودية، لذلك أيضا القديس امبرسيوس في "الاسرار" يتسائل قائلا: "ما هو عمود النور أليس هو المسيح الرب والذي أزال ظلام الوثنية ونشر نور الحق والنعمة الروحية في قلوب البشر".[١٠١]

إن العهد الجديد يخبرنا أن موسى الذي تقدم الشعب وضرب بعصاه البحر هو رمز أو مثال للمسيح يسوع موسى الجديد (اكو١٠: ١، رؤ١٥: ٣)**وإن كان موسى يرمز للمسيح فأخت موسى ترمز للكنيسة.** هذا نجده (بالمعنى العمادي) عند زينون الذي يشرح كيف أن مريم التي كانت تسبح قارعة هي والنساء على الطبال فرحين هي مثال للكنيسة التي تقود الشعب المسيحي ليس إلى الصحراء بل إلى السماء مغنيًا ومسبحا[١٠٢].

١٠٠- المتفرقات ١:٢٤.

101- 1, 22, Botte, 61.

102- PL, 11, 509-510.

وهكذا الكنيسة التي تلد أبناء بالمعمودية هو موضوع مهم للمسيحيين الأوائل. نجد هذا الموضوع عند كيرلس الأورشليمي. وزينون الذي يربط بن أناشيد مريم وأناشيد الكنيسة.

وأشعياء يصف الخروج الأخروي في (اشعياء ٥١" ١٠-١١) "ألست أنت المنشفة البحر مياه الغمر العظيم الجاعلة أعماق البحر طريقا للمفديين ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بالترنم وعلى رؤوسهم فرح أبدي ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد". وسفر (الرؤيا١٥: ٢-٤) يخبرنا كيف أن هؤلاء الذين عبروا البحر أي الذين أنتصروا على الموت، سبحوا ترنيمة موسى و تسبحة الخروف.إن زينون يرى أن هذه النبوة الأُخروية قد تحققت في العماد؟ لذلك فإن Dom Winezem يقول أن نشيد مريم هو المناسبة التي وُلِدَت فيها العبادة الإلهية".(١٠٣)

نشيد الاناشيد في العبادة الكنسية يحقق صورة تسبحة الخروج ويرمز إلى الليتورجيا السماوية. يجب أن نضيف أن هذا الرأي الليتورجي ظهر في العهد القديم. تسبحة مريم يظهر حقيقةً كعنصر ليتورجي احتفالي لخروج من مصر حيث ضُمَّ في اليهودية في رواية الخروج.(١٠٤) هنا الليتورجية اليهودية تظهر لنا في عمق الليتورجيا المسيحية .

إذن واضح أن ليتورجيا العماد مرتبط بحدث العبور.

مجموعة الصور الثانية الخاصة بالمعمودية

نأتي هنا إلى مجموعة أخرى من النماذج تذكرها الصلوات القبطية والأثيوبية أثناء العماد وبالتحديد أثناء تقديس مياه المعمودية فيقول الكاهن "أنت أيضا بيشوع أبن نون رددت إلى الخلف مياه النهر الجارفة. أنت المخوف، فمَنْ هو الذي يستطيع أن يقف أمام وجهك، وصعيدة إيليا التي بالماء قبلتها بالنار من السماء. أنت أيضا يا سيدنا بواسطة نبيك اليشع

103- Dom Winzen, Pathways in the Holy Scripture, the Book of Exodus, p. 6.

104- J. Morgenstein, The despoiling of the Egyptians, Journ. Bibl. Litt., 1949, p. 25-26.

أظهرت ماء ميلاد الحياة. ونعمان السرياني طَهّرته بمياه الأردن. فأنت القادر على كل شئ ولا يعسر عليك أمر".

هنا نرى في هذه الصلاة النماذج الآتية:

- **يشوع بن نون وعبور الأردن.**
- **صعيدة ايليا.**
- **اليشع والفأس.**
- **تطهير نعمان السرياني.**

نجد هذه النماذج في حديث القديس غريغوريوس النيصي عن العماد والتي قيلت يوم الظهور الإلهي[١٠٥]، ومن قبل موجودة في تعليقات أوريجينوس على إنجيل يوحنا[١٠٦]، وموضوع نعمان السرياني نجده أيضا عند القديس امبروسيوس.

التركيز في هذه النماذج هي على تقديس المياه والظهور الإلهي عند الاسكندريين هو قبل أي شئ عيد معمودية المسيح. وهذا العيد يوجه كل الأنظار نحو الأردن. لذلك كل النماذج في هذه المجموعة يصحبها نهر الأردن. والماء هنا كما قلنا ليس الماء المدمر ولا الماء الذي يخلق ولكن الماء الذي ينقي، الذي يطهر "حميم الميلاد الثاني" وحادثة نعمان السرياني تظهر هذا الملمح الأساسي للمياه، وبحسب القديس غريغوريوس النيصي[١٠٧] هذه الحادثة تحدد مفهومين للمعمودية **الأول** القمة التطهيرية للمعمودية **والثاني** هو تأسيس المعمودية المسيحية على عماد المسيح في نهر الأردن.

لابد أن ننبه على أن وجود هذه النماذج في التقليد الاسكندري ليس سببه شغف مدرسة الاسكندرية للتفسير الرمزي ولكن لان هذه النماذج تمثل تقليد ليتورجي للكنيسة.

105- PG, 46, 592-593.

106- PG, 6, 43-48.

107- PG, 46, 592D.

١. يشوع وعبور الأردن:

أنه لطبيعي أن تطبق فكرة عبور يشوع بن نون للأردن على الرمزية العادية. يشوع بن نون هو في الحقيقة، مثال للمسيح وهذه الرمزية لا نجدها في العهد القديم ولا عند اليهودية وهذا يرجع إلى أن مثل هذا النموذج يقلل من شأن موسى عند اليهود. ولكن هذا النموذج نجده في العهد الجديد، حيث يشوع بن نون دخل أرض الموعد كمثال للمسيح، لذلك عند القديس كيرلس الاورشليمي نجد أن ليشوع بن نون كان في أشياء كثيرة مثال للمسيح. من الأردن بدأ يمارس سلطته على الشعب. والمسيح أيضا بدأ حياته العلانية بعد عماده في الأردن. بن نون حدد إثنى عشر إنسان لكي يوزع الإرث. والمسيح أرسل إلى كل العالم إثنى عشر رسولا كمبشرين للحق. ذاك الذي هو مثال أنقذ راحاب الزانية لانها آمنت. وذاك الذي هو الحقيقي (المسيح) قال "الزناة والعشارون سيسبقونكم إلى ملكوت السموات" أسوار أريحا سقطت بصوت التهليل في زمن المثال (يشوع)، وأيضًا بكلام المسيح "سوف لا يبقى حجر الا وينقض" وسقط هيكل أورشليم أمامنا][١٠٨].

هنا نجد في دائرة يشوع بن نون هذه النماذج التي يشهد بها التقليد وهي عبوره الأردن (قصة راحاب الزانية وسقوط أسوار أريحا) (عب١١: ٣٠-٣١)، أما عبور يشوع للأردن يبدو لنا أن العهد الجديد لا يربطه مباشرةً بالمعمودية لكن Harald sahlim[١٠٩] يفضل أن نرى علاقة عبور يشوع للأردن بحادثة أُخرى في الإنجيل، ففي إصحاح ١١ لإنجيل يوحنا الذي يذكر قيامة لعازر. في هذه الحادثة يخبرنا Sahlim أن الإنجيل يذكر أن المسيح قبل قيامه بهذه المعجزة وجد في شرق الأردن في المكان الذي يعمد فيه يوحنا المعمدان (يو١: ٤٠) هناك أخبروه أن لعازر مات وأنتظر يومين ثم بعد ذلك عبر الأردن وأقام لعازر من الموت. ويؤكد أيضا أن في

108- PG, 33, 676D-677A.

109- Zur Typologie des Johannesevaneliuns, Upsala, 1950, p. 39-41.

هذه الحادثة أراد يوحنا الإنجيلي أن يظهر لنا شخص المسيح على أنه يشوع بن نون الجديد وهنا القديس يوحنا يقتبس من سفر (يشوع ١: ١١) كلام الله ليشوع "بعد ثلاثة أيام ستعبر الأردن " وبعد العبور أخبرهم يشوع بأن الله سيصنع في وسطكم عجائب (يشوع ٣: ٥) وهكذا فَعَلَ المسيح بعد عبوره الأردن هذه المعجزة العجائبية وهي قيامة لعازر.

وبذلك يكون عبور يشوع للأردن كان مثال للمسيح وعلى الجانب الآخر يظهر جليًا أن حادثة قيامة لعازو لها معنى عمادي. عبور الأردن يتبعها بعد ذلك قيامة لعازر وهي بحسب رأي Sahlim مثال للدفن في الماء العمادي والذي يصور لنا قيامة المسيح. وكلام توما في (يوحنا ١١: ١٦): "فقال توما الذي يقال له التوأم للتلاميذ رفقائه لنذهب نحن أيضا لكي نموت معه" ويعلن حقيقيًا الامتثال للموت مع المسيح لكي نقوم معه (عبور الأردن) وهذا يتماثل مع تعليم المعمودية الذي هو التشبه بموت وقيامة المسيح.

وهكذا عبور يشوع للأردن بحسب العهد الجديد هو مثال ليس فقط لقيامة لعازر ولكن كمثال للمعمودية المسيحية.

هذا التفسير نجده عند الآباء فالقديس غريغوريوس النيصي في حديثه (عن المعمودية)يخبرنا أن عبور يشوع للأردن هو كنموذج لنا: التابوت هو مثال للإنجيل، الصحراء تمثل الخطية، الأردن يرمز للمعمودية، سقوط أريحا هو فساد الإنسان الخاطئ[١١٠]. وهذا التفسير موجود من قبل عند أوريجينوس.

أيضا القديس غريغوريوس النيصي في حديث عن "عماد المسيح" بعد أن يعلق على عبور البحر الأحمر على أنه مثال للمعمودية، يقول أيضًا: "الشعب العبراني لم يأخذ أرض الميعاد إلا بعد أن أجتاز الأردن تحت قيادة يشوع بن نون، ويشوع أيضا أقام أثنى عشر حجرا يرمزون بوضوح للأثنى عشر رسولا المتممين للمعمودية"[١١١].

110- PG, 12, 855-856.

111- PG, 46, 592A.

وفي موضع أخر يقول "فليعظم الأردن (المعمودية) لأنه يلد البشر ويزرعهم في فردوس الله"[١١٢]. هنا يرى غريغوريوس النيصي الأردن المنظور الذي يسقي فلسطين رمز لمياه المعمودية التي تروي الفردوس

ويرى أوريجينوس يرى أكثر من ذلك أن الأردن هو رمز وسر المسيح نفسه، النهر الذي يبهج مدينة الله هو نفسه **الكلمة** الذي نزل إلى هذا العالم.[١١٣]

٢. أمثلة من حياة إيليا النبي وإليشع النبي

في هذه الأمثلة يلعب الأردن دور هام في زمن العهد الجديد، لقد أنتظر اليهود رجوع إيليا في أواخر الأيام. العهد الجديد لم يبتدع نموذج إيليا ولكن أراد أن يخبرنا أن مثال إيليا قد تحقق في أعمال المسيح الخلاصية. ونموذج إيليا ظاهر بوضوح في العهد الجديد خاصة في إنجيل لوقا بينما نموذج موسى نجده بوضوح أيضا ولكن في إنجيل متى. وإيليا بعض المرات هو نموذج ليوحنا المعمدان ولكن عادةً هو نموذج للمسيح نفسه.

أن قصة أرملة صرفة صيدا في (١مل١٧: ١٩) وقصة نعمان السرياني في (١مل: ٩) هما مثالان لدعوة الوثنيين في إنجيل لوقا (٤: ٢٥-٢٨) "بالحق أقول لكم أن أرامل كثيرة كن في إسرائيل في أيام إيليا حين أغلقت السماء مدة ثلاث سنين وستة أشهر لما كان الجوع عظيم في الأرض كلها. ولم يرسل إيليا إلى واحدة منها إلا إلى امرأة صرفة صيدا. وبرص كثيرون كانوا في إسرائيل في زمان إليشع النبي ولم يطهر واحد منهم إلا نعمان السرياني. فأمتلأ غضبا جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا".

وطلب التلاميذ من المسيح أن تنزل نار من السماء المذكورة في (لو٩: ٥٤) الغرض منها لأن يذكرنا لوقا بإيليا وكهنة البعل، أيضا صعود إيليا عند لوقا هو رمز لصعود المسيح (لو٩: ٥١) "وحين تمت الأيام لارتفاعه

112- PG, 46, 593D.

113- PG, 12, 855-856

ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم" ومن الجدير بالملاحظة أن مثالين من هذه النماذج التي ذكرها لوقا مطبقين على المعمودية وهي النار التي من السماء وأيضا نعمان السرياني. بعد نموذج عبور الأردن تذكر الليتورجيا القبطية والأثيوبية كما قلنا سابقا ذبيحة إيليا (٢مل١٨: ١-٤٠) وهذا ما نجده عند القديس غريغوريوس النيصي "هذه المعجزة العجائبية لإيليا التثبيتي والتي تحظى كل منطق، ما هي إلا نبوة تخدم الإيمان بالآب والأبن والروح القدس وبالفداء"(١١٤).

أ. ذبيحة إيليا:

لقد طلب إيليا حُكم الله بينه وبين كهنة البعل.وذبيحة كهنة البعل لم تعلن بأي علامة أما إيليا فجاء دورة وجهز أثنى عشر حجرا وبنى المذبح. ووضع قِطع الذبيحة فوقه وجعلهم يملأون الذبيحة من فوق ثلاث مرات أربع جرات مياه لكي تنساب فوق الذبيحة. وصلى وعندئذ: "نزلت نار الله وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القناة" (مل١٨ : ٣٨).

علق القديس غريغوريوس النيصي على هذا الحدث قائلا:

"منذ ذلك الوقت تنبأ ايليا بوضوح عن سر المعمودية والتي احتلت مكانة كبيرة بعد ذلك – النار التي نزلت فوق سكيب المياه ثلاث مرات أعلنت عن عند وجودها هناك حيث المياه السرائرية، حيث روح المياه، الساخن، الملتهب الذي يُهلِك غير الاتقياء وينير للمؤمنين"(١١٥).

هنا يربط النيصي بين ما حدث في الذبيحة (الماء + النار) بالمعمودية المسيحية فالنار هنا ترمز لانسكاب الروح القدس على المعمد ولا ننسى أن التقليد الكتابي الكنسي القديم يشهد بنزول الروح على المسيح وقت العماد إذ يخبرنا القديس يوستينوس قائلا "بينما

114- PG, 46, 592A.

115- PG, 46, 592D.

المسيح نزل في الماء رفرفت حمامة الروح القدس فوقه"[116]. ويذكرنا تاتيانوس في إنجيله الرباعي هذا الحدث مثلما ذكره يوستينوس وهذا يضعنا أمام تقليد كنسي قديم وهنا نجد نموذج ذبيحة ايليا في العهد القديم (المستوى الأول) تحقق في المسيح أثناء المعمودية (المستوى الثاني) وأيضا يتحقق في المعمد (المستوى الثالث) وهكذا كل نموذج نرى هذه المستويات الثلاثة.

نعترف أن موضوع ذبيحة ايليا نراها نادرا في العظات التعليمية عن المعمودية بينما عبور ايليا الأردن قبل صعوده نراها دائما عند الآباء، ففي تفسير أوريجينوس لإنجيل يوحنا يؤكد أن عبور ايليا الأردن أعطى له إمكانية للصعود وأن عبوره الأردن هو معمودية لان حسب بولس الرسول المعمودية هي العبور المعجزي للمياه.[117]

هذا ما نجده عند القديس كيرلس الأورشليمي في عظته حول المعمودية:

"ايليا صعد لكن ليس بدون ماء. بدأ بعبور الأردن ثم بعد ذلك بالمركبة التي اخذته للسماء"[118] **ونجد عند القديس غريغوريوس اللاهوتي والقديس غريغوريوس النيصي تعبير "مركبة نحو السماء"** في وصفهم للمعمودية وقد يَدَعِي أحد ويقول أن استخدام هذا التعبير هو تعبير لأفلاطونية جديدة تنادي بأن مفهوم الجسد كمركبة النفس في صعوده للسماء هو متكرر أو كثير الوقوع، طبعًا هذا التفسير الأفلاطوني هو غريب على التقليد الكنسي في شرح المعمودية فالأساس الكتابي لهذا التعبير يكمن في مركبة ايليا. أن عبور ايليا الأردن وصعوده له أهمية تعليمية مزدوجة من جهة أن عبور ايليا للأردن في العهد القديم يظهر على أنه تكرار لعبور البحر الأحمر،

116- Διάλ, 88, 3.

117- Υπομν. VI, 46. Preuschen, 155, 9-15.

118- PG, 33, 433A.

فايليا ظهر على أنه موسى الجديد فالأربعين يوم التي قضاها ايليا في الصحراء والمذكورة في (١مل١٩: ٨-١٢) يذكرنا بالأربعين يوم التي قضاها موسى على الجبل المذكورة في (خر٢٤: ١٨). ومن جهة أُخرى العنصر الخاص في هذه الحادثة هو مقدمة لوصف الصعود. فصعود ايليا بعد الأردن يرمز لصعود المسيح بعد عبوره الموت. وصعود المعمد من المعمودية كما يخبرنا القديس امبروسيوس[119] هي إمتثال نحو صعود المسيح أو بالحري مشاركة المسيح في صعوده.

ب. معجزة إليشع (طفو الفأس)"٢مل٦: ١-٧"

معجزة طفو الفأس في نهر الأردن والتي صنعها اليشع هي من النماذج التي ترمز للمعمودية، هنا نجد الحديد والخشب معا وقوة الماء تأتي من الصليب. وهذا المثال شرحه أولا يوستينوس: " القي إليشع قطعة من الخشب في تيار الأردن وصاد في ثانية حديد الفأس وهكذا مسيحنا اشترانا مرة ثانية بالمعمودية...بصلبه فوق الخشبة"[120]

إن معجزة اليشع لا تقدم لنا تماثل كبير مع المعمودية إلا انها عمل قوة الله والتي تمت في الأردن بواسطة الخشبة. ولكن هذا النموذج نجده عند ايرينيوس[121] وأيضا عند ترتليانوس[122] وأيضا عند ديديموس الاسكندري نجد هذا النموذج مع شرح وافي: "من إليشع إنسان الله الذي يسأل أين وقع الفأس؟ يشار إلى الله الذي حل بين البشر وسأل آدم أين أنت؟ بالحديد المغمور في الهوة المظلمة أشير إلى قوة الطبيعة الإنسانية الساقطة من النار بالخشبة المسروقة المُلقاه في المكان الذي به الشيء المطلوب ترمز إلى الصليب المجد. الأردن هو المعمودية الخالدة. حقيقةً هي في الأردن حيث ذاك، الذي جعل الأردن

119- Βλ. Αμβροσίου, De Myst., 35-36, Botee, 119.

120- Διαλ. 86, 6.

121- Κατά τών Αιρ, V, 17, 4.

122- Adv. Jud., 13

مقبولا بعماده لأجلنا. أخيرا الحديد الذي طفا على المياه ورجع ثانيةً إلى ذاك الذي فقده يعني أننا نصعد بالمعمودية إلى أعلى السموات ونُوجد مرة أخرى في النعمة الأولى، في الوطن الحقيقي"(١٢٣).

هنا نحن أمام رمزية عمادية كاملة قد شرحها ديديموس الأسكندري وهو يفهمها جيدا، لأنه يقول: "لو شك أحد في أن هذه المعجزة هي نبوة للمعمودية عندئذ ما هو هدف الكاتب المقدس الذي كتب هذه الفقرة"(١٢٤).

ولا يستطيع أحد أن يَدَعِي أن العلامة ديديموس بسبب أنه غارق في الرمزية يفسر كل شيء على أنه رمزي لأننا هنا أمام تقليد كنسي ليس موجود فقط عند الاسكندرنيين لكن عند آباء غير منتمين لمدرسة الاسكندرية. وهذا بالنسبة لنا يمثل شهادة حاضرة عن التعليم الوعظي المشترك للكنيسة فيذكر معجزة فأس اليشع على أنها مثال ونموذج للمعمودية. ويحللها على أنها معجزة تعلن قوة الله على العناصر الطبيعية، ورمز أيضا للعماد العجائبي.(١٢٥)

ج. شفاء نعمان السرياني

هذا ثالث نموذج في هذه المجموعة والذي هو مثال للمعمودية ونجده في الصلوات الليتورجية القبطية فيصلي الكاهن القبطي على المياه، قائلا: "... أنت أيضا يا سيدنا بواسطة نبيك إليشع أظهرت ماء ميلاد للحياة. ونعمان السرياني طهرّته بمياه الأردن. فأنت القادر على كل شيء ولا يعسر عليك أمر" وهذه المعجزة نموذج يذكرها كل من أوريجينوس والنيصي بعد عبور الأردن ومعجزة ايليا (ذبيحة ايليا). وهنا نحن أمام تقليد مشترك مثل عبور الأردن.**والعنصر الجديد في تعليم المعمودية والذي يظهر في هذا النموذج هو "التطهير" فكما أن**

123- PG, 39, 700A

124- PG, 39, 700A.

125- Myst., SI` Botte, 124.

الماء العادي يزيل وسخ الجسد هكذا الحميم المقدس يطهر وينقي. وهذه القوة التي عملت فوق المرض الطبيعي لنعمان السرياني تعمل أيضا في النفس أثناء العماد.

يذكر العهد الجديد حادثة نعمان السرياني في (لوقا٤ : ٢٧): "وبرص كثيرون كانوا في إسرائيل في زمان إليشع النبي ولم يطهر واحد منهم إلا نعمان السرياني".

ويقول أوريجينوس في شرحه ليوحنا: "لكي تفهم أهمية الأردن الذي يُسَكِن العطش ويملأنا أفراح، سيكون مفيد لو ذكرنا نعمان السرياني الذي شُفِّي من البرص".[١٢٦]

ويذكر أن نعمان غضب في البداية من اقتراح اليشع وذلك لانه: "لم يفهم السر العظيم للأردن. وكما أن ـ حقًا ـ لا يوجد أحد صالح إلا واحد، الله الآب، هكذا بين الأنهار لا يوجد واحد جيد إلا الأردن الذي يستطيع أن يُطَهِر من البرص ذاك الذي بالإيمان يغسل نفسه في المسيح".[١٢٧]

هذه العبارات الأخيرة تشرح لنا رأي أوريجينوس في الأردن والذي سبق أن ذكرناه بأن الأردن هو مثال **الكلمة** بمعنى أن يدخل أحد الأردن أي يدخل في المسيح، **الكلمة** هو النهر "الذي يبهج مدينة الله".

يفسر أوريجينوس حادثة نعمان السرياني تفسيرًا عماديًا فعندما يعلق على (لوقا ٤ : ٢٧) يقول:[لا أحد تطهر إلا نعمان السرياني والذي لم يكن من إسرائيل. انظر كيف أن هؤلاء الذي أغتسلوا من إليشع الروحي الذي هو ربنا ومخلصنا، تطهروا في سر العماد من البرص. إليك قال ذاك "قم اذهب تمم سر المعمودية. وجسده صار مثل حسد طفل. من هو هذا الطفل؟ ذاك الذي وُلِدَ في حميم الميلاد الثاني].[١٢٨]

١٢٦- تفسيره ليوحنا: VI, 47.

١٢٧- تفسيره ليوحنا: VI. 47.

128- Ομιλ. Στόν Λουκ, 33′ Rauer, 198.

بعد أوريجينوس نجد التفسير العمادي لهذه الحادثة في مختلف العظات الأولى **فمثلا العلامة ديديموس الأسكندري** يصر على ملمحين في الواقع: أن نعمان السرياني هو إنسان غريب والذي يُظهِر مسكونية العماد والسبع غطسات إشارة إلى الروح القدس: "... إليشع وايليا بشر من قبل بالغنى الذي لا يُوصف الذي تحتويه مياه المعمودية، وحدد وعين في نفس الوقت بأن هذا الغنى هو لهؤلاء الذين يريدون أن يصيروا مسيحيين وذلك عندما أرسل نعمان السرياني الأبرص الذي كان غريب وسأله أن يشفيه بأن يدخل ليستحم سبع مرات في الأردن. أمره أن يدخل سبع مرات إما لكي يعلم هذا الغريب أن اليوم السابع هو ذلك اليوم الذي استراح فيه الرب من أعماله، أو غالبا لكي يعلن رمزيا الروح الالهي"[١٢٩].

والقديس غريغوريوس النيصي يشدد على دور الأردن "عندما أرسل النبي اليشع نعمان الأبرص لكي يغتسل في الأردن وطهره من مرضه، أملى علينا ما يحدث في المستقبل خاصةً المعمودية في النهر، حقيقةً هو الوحيد بين الأنهار، الأردن الذي عنده بدايات (أساسات) التقديس والبركة، منه تنساب - كمنبع فوق العالم - نعمة المعمودية"[١٣٠].

هكذا حميم نعمان السرياني ظهر كتقديس لمياه الأردن بواسطة المسيح الذي به تمنح النعمة باستمرار بواسطة الماء المقدس.

129- P G 39, 700D.

130- PG, 46, 593D.

ثانيًا ـ صور أو أمثلة سر الميرون في الكتاب المقدس

المسحة في العهد القديم كانت الوسيلة الليتورجية التي بها يتقدس الكهنة والملوك. إنه السر الذي بواسطته يُعطى الروح القدس. نجد في نصوص الأنبياء نموذج ومثال ماسيانى يشير إلى أنه في أواخر الأيام سوف يأتى ماسيا ممسوح، كان كرسي داود وكذلك رئيس الكهنة يرمزان إليه. هذه النماذجية الماسيانية تحتل مكانة عظيمة في سفر المزامير.

هذه النبوة تجد تحقيقها في شخص يسوع الناصرى. أيضًا اسم المسيح χριστός والذي أُعطيّ للمسيح يعبّر عن هذه الحقيقة بأنه الممسوح. وهذا اللقب صار مقبولاً للمسيح نفسه أمام بيلاطس (مت٢٧: ١٢). على الجانب الآخر فإن نبوة إشعياء كانت تشير إلى المسيح: "*روح السيد الرب علىّ لأن الرب مسحنى لأُبشر المساكين أرسلنى لأعصب منكسرى القلب لأنادى للمسبيين بالعتق للمأسورين بالإطلاق*" (إش١: ٦١). هنا وصف انسكاب الروح القدس على المسيا الآتى (يو٤: ٨). ويُنسب للمسيح في أعمال الرسل نصوص المزامير (أع٢: ٣٤، مز١٠٩: ١، أع٤: ٢٥، مز٢: ١) التي تتنبأ عن المسيا، وكل ما قيل عن المسيح يسرى أيضًا على المسيحي.

أقدم شهادة عن سر الميرون نجدها عند ترتليانوس: [نُمسح بالميرون المقدس ونحن نأتى إلى جرن المعمودية وفق التقليد القديم بهذا الزيت مُسح كل من هارون وموسى، ومن هذا الزيت دُعيّ اسمه كممسوح "مسيح" الذي أتى من كلمة مسحة. حقًا مُسح بالروح القدس من الآب مثلما ذُكر في سفر أعمال الرسل: "*لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته*" (أع٤: ٢٧). هكذا بالنسبة لنا فإن المسحة تُنقل محسوسة لكن تعمل بطريقة روحية][١٣١].

131- De Baot, 7 P.L 1, 1207.

هنا لدينا تعليم لاهوتى هام: المسحة السرائرية والتي لها علاقة بالمسحة الكهنوتية للعهد القديم كما وصف لنا سفر اللاويين الاصحاح الثاني والعشرون. على الجانب الآخر، لها ارتباط بالمسحة الملوكية وبالحري بمسحة المسيا (مز٢:٢). حقًا إلى هذه المسحة يشير نص سفر أعمال الرسل والذي يؤكد على أنها تحققت في شخص المسيح: لكن المسح بزيت العهد القديم ليس هو إلاّ رمز للمسحة الروحية والتي بواسطتها مُسح الابن بالروح القدس. أخيرًا، من هذه المسحة أتى اسم المسيح. بواسطة الميرون المقدس يصير المعمد مسيح جديد.

مسحتم بالروح القدس وصرتم مسيحيين

يشرح القديس كيرلس الأورشليمى أيضًا هذا التقليد القديم قائلاً: [طالما صِرتم مستحقين للمسحة المقدسة دُعيتم مسيحيين ومستحقين لهذا الاسم بالميلاد الجديد. قبل أن تكونوا مستحقين لهذه المسحة لم تكونوا بالحق مستحقين لهذا الاسم، لكن أُعطيّ لكم هذا رمز المسحة في العهد القديم. عندما نقل موسى إلى أخيه أمر الله جاعلاً إياه رئيس كهنة، غسَّله في الماء ومسحه. ودُعيّ مسيح من مِسحة المثال. هكذا أيضًا رئيس الكهنة العظيم عندما أقام سليمان في منصب الملك، مسحه حيث أولاً غسله في جيحون. لكن لأولئك كان الأمر رمزيًا. لكن بالنسبة لنا ليس رمزيًا بل حقيقيًا حيث أنكم قد مسحتم بالروح القدس. لأن بداية خلاصكم هو الممسوح بالروح القدس (المسيح)][١٣٢].

القديس أمبروسيوس عندما يتكلم عن المسحة المقدسة يذكر مسحة هارون في كتابه عن الأسرار قائلاً: [بعد ذلك صعدتم إلى الكاهن، فتأملوا ماذا حدث بعد ذلك، أليس هذا ما قال عنه داود: "*مثل الطيب على الرأس النازل على اللحية لحية هارون*" (مز١٣٣:٢)، هذا هو الطيب الذي قال عنه سليمان: "*أسمك دهن مهراق لذلك أحبتك العذارى*" (نش١:٣).

132- PG33, 1093A.

كم نفسًا متجددة في هذا اليوم أحبتك أيها الرب يسوع وقالت: " إجذبنا وراءك فنسعى إلى رائحة ثيابك" (نش١:٤). حتى أنها تتشرب برائحة قيامتك!

تأمل الآن لماذا حدث ذلك، لأن " *الحكيم عيناه في رأسه*" (٢:١٤)، لذلك ينزل الطيب على اللحية أي على جمال الشباب، ولذلك فنحن - لحية هارون أيضًا - نصير جنسًا مختارًا كهنوتًا ثمينًا لأننا جميعًا ممسوحون بنعمة روحية لنشارك في ملكوت الله وفي الكهنوت][١٣٣].

المسحة المسيحية تمثل مشاركة عظيمة في المسيح ويتحدث القديس كيرلس الأورشليمى قائلاً: [بعدما اعتمدتم في اسم المسيح ولبستم المسيح صرتم متمثلين بابن الله. لأن الله، بسبب أنه اختاركم للتبنى جعلكم متمثلين بجسد مجد المسيح. إذن طالما صِرتم مشاركين المسيح فمن الطبيعى أن تُدعوا مسيحيين. صِرتم مسيحيين لأنكم قبلتم الروح القدس. وكل هذا صار لكم رمزيًا، لأنكم أنتم صور المسيح. وذاك اغتسل في نهر الاردن وحيث أنه نقل إلى المياه رائحة ألوهيته، صعد من الأردن وحل عليه الروح القدس، ... هكذا أنتم عندما صعدتم من جرن المياه المقدسة أُعطى لكم المسحة، على مثال المسيح الذي مُسح، أي الروح القدس الذي تنبأ عنه إشعياء قائلاً: "*روح الرب علىّ لأنه مسحنى*" (إش٦١:١)[١٣٤].

أيضًا يشرح القديس كيرلس الأورشليمى مسحة الروح القدس قائلاً: [الروح القدس أُعطيَّ بواسطة موسى عن طريق وضع الأيدى، وبطرس الرسول بواسطة وضع الأيدى أعطى الروح][١٣٥]. لكن يستمر قائلاً: [وعليك يا من تعمدت تأتى النعمة، كيف؟ سوف أقول لك]. هنا نرى

١٣٣- القديس أمبروسيوس، الأسرار، ترجمة بيت التكريس لخدمة الكرازة، الناشر مؤسسة القديس أنطونيوس - مركز دراسات الآباء، الطبعة الثانية ١٩٩٦م، الفصل السادس ص٢٥.

134- PG, 33, 1088B-1089A.

135- PG, 33, 956C.

بوضوح التمييز الواضح بين المعمودية والميرون. وأن ما فعله بطرس بوضع الأيدى هو إتمام لسر الميرون وليس شيئًا آخر.

وفي عظة القديس كيرلس الأورشليمى عن قيامة الأجساد يقول: [ثم تعلمتم كيف تطهرتم من خطاياكم وبواسطة الرب بحميم الماء وبالكلمة وكيف صرتم مشاركين للمسيح، وكيف أُعطى لكم ختم شركة الروح القدس][١٣٦].

يستمر القديس كيرلس الأورشليمى، قائلاً: [المسيح لم يُمسح جسديًا بزيت أو بميرون من يد إنسان. لكن الآب الذي أقامه من البداية مخلّص لكل العالم، مَسَحَهُ بالروح القدس، كما قال الرسول بطرس: "*يسوع الذي من الناصرة، كيف مسحه الله بالروح القدس*" (أع١٠:٣٨). وكما صُلِب المسيح حقًا وقُبر وقام، هكذا أنتم بالعماد صِرتم جديرين بالمثل قد صُلِبتم ودفنتم ومُتم معه، هكذا صار بالمسحة. ذاك مُسِحَ بزيت الفرح الذهنى، أي بالروح القدس، والذي يُدعيَّ زيت البهجة، لأنه كان سببًا للابتهاج الروحي، أنتم قد مُسِحتم بالميرون وقد صِرتم شركاء المسيح][١٣٧].

هنا نجد بوضوح تعريفًا للسر: **إنه الاشتراك الحقيقي في فرح المسيح** بالتشبه به عن طريق الأسرار. وهذا يتم عن طريق العماد وسر الميرون. وكما أن العِماد يصوّر رمزيًا موت وقيامة المسيح، هكذا المسحة تصوّر مسحة المسيح من الروح القدس. عِماد المسيح وبعد ذلك حلول الروح القدس هو صورة مسبقة لموته وبعد ذلك تنصيبه في الرتبة الملوكية، إنها حوادث يشترك فيها المسيحيين بواسطة سري العماد والميرون[١٣٨].

أيضًا القديس أمبروسيوس يقول: [الختم الروحي يأتى بعد العماد، لأن بعد الولادة ينبغى أن يُتمم الكمال. وهذا يحدث عندما يستدعي الكاهن الروح القدس لينسكب، روح الحكمة والفهم. روح المشورة والقوة. روح

136- PG, 33, 1056B.

137- 33, 1089A-B.

138- PG 14, 27.

المعرفة والتقوى. روح مخافة الله: حيث أن مواهب الروح القدس هم سبعة. وبالتأكيد كل النعم تشير إلى الروح القدس، لكن هذه السبعة هي أساسية. مثل هذه المواهب هي سبعة تأخذها عندما ترسم بالختم[١٣٩]. **نفس المعنى نجده عند القديس كبريانوس فهو يرى أن** "المعمدين حديثاً يجب أن يحضروا أمام رؤساء الكنيسة لكي يأخذوا الروح القدس باستدعاءه ووضع الأيدى ويتكملون بعلامة ختم الرب"[١٤٠]. **هنا الختم بعد المعمودية هو نفسه سر الميرون** الذي تمارسه الكنيسة بعد العماد.

إن نص القديس أمبروسيوس الذي ذكرناه وكذلك نص القديس كبريانوس يوضحان **الهدف من سر الميرون، فإذا كانت المعمودية تعطينا أن نشترك في الروح القدس لأن المعمودية هي بالماء والروح، فإن سر الميرون . كما هو واضح . يتم بعد العماد هو المتمم والمكمل، إنه سر الكمال. ونجد في صلوات كنيستنا هذا المعنى بكل وضوح في رشومات هذا السر عندما يقول الكاهن:** "كمال نعمة الروح القدس، ودرع الإيمان والحق. آمين". وهذا الكمال يتمم بمواهب الروح القدس. فالمسحة ليس هدفها هو نقل الروح القدس لأن هذا الأمر فعلاً قد أُعطى في المعمودية، لكن إنسكاب جديد للروح القدس. هذا الإنسكاب هدفه تكميل القدرات الروحية التي صارت داخل النفس بالمعمودية، وانطلاقها.

هذا الكمال للحياة الروحية قد صيغ من الآباء **بطريقتين. القديس أمبروسيوس يربطه بمواهب الروح القدس:** "ثم تذكروا انكم قبلتم ختم الروح، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والتقوى، وروح الخوف المقدس، وحافظتم كل ما قبلتم. الله الآب ختمكم، المسيح الرب قواكم، وأعطى عربون الروح في قلوبكم"[١٤١].

أما القديس كيرلس الأورشليمى فإنه يخبرنا بأن **المسحة تتم ليس على**

139- De sacr, III,8 Botte 74-75.

140- Epist, 83, 90 CSEL, 785.

١٤١- أمبروسيوس، الأسرار، مركز دراسات الآباء، ص٣٤.

الرأس فقط لكن على كل الحواس لكي توقظ فينا الحواس الروحية: "لقد مسحتم أولاً على الرأس لكي تتحرروا من العار الذي جلبه الإنسان الأول المخالف في كل مكان، وبوجه مرفوع ترون كما في مرآه مجد الرب. ثم بعد ذلك على الآذان لكي تكتسبوا آذان تسمع الأسرار الإلهية، ثم على حاسة الشم لكي تستوعبوا الميرون المقدس وتقولون: نحن رائحة المسيح الذكية"[١٤٢].

ويضيف القديس كيرلس الأورشليمى مسحة أخيرة على الصدر: "ثم بعد ذلك على الصدر لكي تلبسوا الدرع المقاوم لأساليب الشيطان. لأنه كما أن المسيح بعد عماده وحلول الروح القدس، أتى وانتصر ضد المقاوم، هكذا أنتم بعد العماد المقدس وسر المسحة قد لبستم كل أسلحة الروح القدس لتقاوموا المضاد"[١٤٣]. لقد احتفظت كنيستنا بهذا التقليد بقصد رشم حواس المعمد وكل أجزاء جسمه، فالكاهن يرشم الرأس والمنخارين والفم والأذن اليمنى والعين اليمنى والعين اليسرى والأذن اليسرى، اى **ثمانية رشومات**. وهناك أيضًا **أربعة رشومات** على القلب والسرة والظهر والصلب. وستة **رشومات** على مفصل الكتف الإيمن من فوق. والابط ومفصل الكوع الأيمن، ومثناه، ومفصل الكف الأيمن وأعلاه. ثم **ستة رشومات** على مفصل الكتف الأيسر من فوق والابط ومفصل الكوع الأيسر ومثناه، ومفصل الكتف الأيسر وأعلاه. ثم **ستة رشومات** على مفصل الورك الأيمن والحالب الأيمن ومفصل الركبة اليمنى ومثناه. ومفصل عرقوب الرجل اليمنى وأعلاه، وأخيرًا **ستة رشومات** على الورك الأيسر والحالب الأيسر. ومفصل الركبة اليسرى ومثناه، ومفصل عرقوب الرجل اليسرى وأعلاه.

كل هذه الرشومات تشير إلى أن الكنيسة تختم على أجزاء جسد المعمد ليكون إناء طاهرًا، لذلك عند انتهاء رشم المعمد يضع الكاهن يده

142- PG 33, 1092B.

143- PG 33, 109ZC.

عليه ويقول: [تكون مباركًا ببركات السمائيين وبركات الملائكة. يباركك الرب يسوع المسيح. وباسمه (وهنا ينفخ في وجه المعمد ويقول) اقبل الروح القدس، وكن إناء طاهرًا من قبل يسوع المسيح ربنا][١٤٤].

أيضًا الرشم على كل أجزاء الجسد والحواس يثبت المعمد في شركته مع الروح القدس ومن هنا دُعى هذا السر: **سر التثبيت.**

هناك عنصر آخر جديد ركز عليه النص المنسوب إلى ديونيسيوس وهو **استخدام الميرون ذو الرائحة العطرة.** يؤكد هذا النص على ان هناك اختلاف أساسي بين زيت الموعوظين والميرون الذي يحدث له تقديس خاص يتماثل مع تقديس الإفخارستيا أي تقدمة الإفخارستيا: "يوجد طقس آخر يدعونه المعلمين طقس الميرون. يأخذ رئيس الكهنة الميرون ويضعه فوق المذبح الإلهي ويتقدس بطلبة مقدسة[١٤٥]. **ومن الجدير بالملاحظة أنه قبل النص المنسوب لديونيسيوس نجد هذا التماثل بين تقديس الافخارستيا والميرون عند القديس كيرلس الأورشليمى:** "إحذر، لا تظن أن ذاك الميرون شيئًا عاديًا. لأنه كما أن خبز الافخارستيا بعد استدعاء الروح القدس ليس بعد خبزًا عاديًا لكن جسد المسيح، هكذا هذا الميرون المقدس ليس بعد شيئًا عادى، ولا يمكن للمرء أن يقول عنه أنه عادى، بعد الاستدعاء، لكن هو نعمة المسيح التي بحضور ألوهيته تصير فعّالة بالروح القدس"[١٤٦]. **هنا نجد تأكيد ق. كيرلس على حضور الروح القدس في المسحة المقدسة، وهذا ما يصليه الكاهن في بداية الصلاة لهذا السر:** "أيها القادر وحده، صانع جميع العجائب، الذي لا يعسر عليك شيء، لكن إرادتك وقوتك فاعلة في كل شئ. أنعم بالروح القدس عند نضج الميرون المقدس. ليكن خاتمًا محييًا، وثباتًا لعبيدك، بابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا"[١٤٧].

١٤٤- كتاب صلوات الخدمات، الناشر مكتبة المحبة ١٩٧١، ص ٦١.

145- PG 1,472D-473A.

146- PG 33, 1092A.

١٤٧- صلوات الخدمات، ص٥٩.

من المعروف أن الميرون يتكون من زيت وعصائر عطرية من الأشجار ويُضاف عليه في الشرق عطور أخرى. وهذا ما يميز الميرون عن زيت الموعوظين أي الرائحة العطرية. والعطر له دلالة رمزية[١٤٨]، وهذا يظهر بوضوح في صلاة المسحة بالميرون في الليتورجيا السيريانية: "بعد ان يقوم الكاهن بالعماد باسم الآب والابن والروح القدس يجب أن يمسح المعمد بالميرون المقدس قائلاً: "**أيها الرب الإله يا من نشرت رائحة الإنجيل الذكية في كل أرجاء الأمم، اجعل الآن هذا الزيت المعطر ليعمل في المعمد لكي تبقى رائحة المسيح الذكية ثابتة فيه**"[١٤٩]. هنا الميرون المقدس تفوح منه رائحة الألوهية. ويتضح جليًا ان الميرون هو مثال للمسيح. **والقديس غريغوريوس النيصى عندما يعلق على كلمات سفر نشيد الأنشاد:** "كرائحة أدهانك الطيبة" (نش١:٣)، يقول: "إن رائحة الميرون الإلهية ليست مجرد رائحة عطرية تُدرك بحاسة الشم، لكن بقوة غير مادية تأتى من المسيح وتجذبنا بنعمة الروح القدس[١٥٠].

أيضًا نجد مرة أخرى التعليم عن إدراك الأمور الروحية والتي تُقدم بالقياس مع الحواس وخاصةً حاسة الشم. يقول القديس كيرلس الأورشليمى: "**قد مُسحتم على الأنف لكي تستطيعوا أن تدركوا مسحة المسيح وتقولوا: نحن رائحة المسيح**"[١٥١].

لكن إدراك مسحة المسيح الذكية يتوقف ـ كما يشدد على ذلك النص المنسوب إلى ديونيسيوس ـ على مقدرة الذي يتنسمها أي المقدرة الروحية على فهمها[١٥٢].

١٤٨- يوسابيوس القيصرى PG XXII, 289D.

149- Diat. Apost, VII, 44,2.

150- PG 44, 780D.

151- PG 33, 1092B.

152- PG I, 480A, 473B-476B.

إذن المسحة هي للمعمدين، وغير المعمدين ليس لهم مسحة مثلما ليس لهم إفخارستيا. **والميرون يأتى بعد المعمودية. فالمعمد فقط يمكن أن يناله. لأن المعمودية هي التي تعطى إمكانية للمعمد لأن يدرك الرائحة الإلهية الذكية، ومسحة الميرون تُفّعل الطاقات التي نالها المعمد بالمعمودية.** لذا فالمسحة هي **سر الكمال** وإدراك الرائحة الإلهية تتناسب مع درجة النمو الروحي للشخص المعمد. وسوف تظل الطبيعة الإلهية بعيدة ولا يمكن البلوغ إليها، واستمتاعنا يكون دائمًا ليس بالعطر نفسه بل - كما يقول القديس غريغوريوس النيصى - برائحة العطر التي تفوح بحضوره "مادام الملك في مجلسه أفاح ناردين رائحته"[١٥٣]. والرائحة الإلهية - كما يشرح القديس غريغوريوس النيصى - نجدها في العالم المنظور بتناسقه وجماله العجيب[١٥٤]. والكنيسة هي ظهور أكمل لإعلان الله، ومن هذا المنطلق فإن الرسول هو: "رائحة المسيح الذكية"[١٥٥]. حياة النعمة والقدرات الفائقة هي الميرون الذي ينسكب في النفس بواسطة حضور الله. وكما يشدد القديس غريغوريوس النيصى، إدراك المؤمن لهذه الرائحة الذكية واختبار حياة النعمة يعني أن يتذوق حضور الله المستتر، إنها الخبرة السرائرية[١٥٦]. والنمو في حياة النعمة هذه يأتى تدريجيًا - كما يؤكد القديس غريغوريوس النيصى - فالكرمة نستطيع أن نتلذذ بها **أولاً** بالأوراق المزهرة وتنسمنا للرائحة الذكية التي تنبعث منها، **وثانيًا** عندما تنضج الثمرة ونتذوقها، هكذا الإنسان الجديد المولود فينا ينمو تدريجيًا بقدر مقدرتنا على أن يظل داخلنا[١٥٧]

١٥٣- انظر غريغوريوس النيصى PG XLIV, 781D.

154- PG 44, 784A.

١٥٥- انظر كليمندس الأسكندرى، المربى II,8.

156- PG 44, 821A-828B.

١٥٧- انظر غريغوريوس النيصى PG 44, 828D.

ثالثًا . صور أ أو أمثلة الإفخارستيا في الكتاب المقدس

التقديس يُتمم في الليتورجيا بالطلبة العظيمة التي تبدأ بـ "نشكر الرب" وتنتهي إلى الاستدعاء. تبدأ بذكر أعمال الله العظيمة في الماضي. لدينا مثال جدير بالملاحظة في كتاب "تعاليم الرسل". فالأسقف يشكر الله من أجل خلق العالم والإنسان، من أجل الفردوس، من اجل ذبيحة هابيل، من أجل صعود أخنوخ، من أجل خلاص نوح، من اجل العهد مع آبرام، من أجل كهنوت ملكي صادق، من أجل التحرر من مصر[158]. تستمر في ذكر أعمال الله العظيمة في العهد الجديد وأسرار المسيح، حتى تنتهي إلي الاستدعاء حيث يتوجه بطلب إلي الروح القدس الذي تمم هذه الأعمال العظيمة في الماضي لكي يستمر في عمله هذا في الحاضر.

هنا لدينا الشكر ثم الطلبة والرجاء، والاستناد علي الإيمان في هذا الذي فعله الله في الماضي لكي يؤسس الرجاء في تلك التي سوف يتممها الآن وفي المستقبل. هكذا يُظهِر الفكر المسيحي الاستمرارية بين العهد القديم والجديد والأسرار، إذ يدعونا إلي التفتيش علي الأمثلة أو النماذج الموجودة في العهد القديم. وبهذا المفهوم بأن النماذجية Τυπολογία للإفخارستيا ليست هي إلاّ شرح محتوى طلبة التقديس. هكذا الليتورجيا تبدو بالنسبة لنا كاستمرارية في الزمن الحاضر لأعمال العهدين المقدسة. لذا سوف نتناول ثلاثة نماذج أو أمثلة في العهد القديم يشيرون إلى الإفخارستيا، وهم:

١. تقدمة ملكي صادق ٢. المَنْ ٣. مائدة العشاء

158- PG 8, 12. 20-27.

١. تقدمة ملكي صادق

الخبز والخمر اللذان قُدِمَا بواسطة ملكي صادق يعتبران كنموذج للأفخارستيا. يحدثنا القديس **كليمندس الأسكندري** عن [ملكي صادق الذي قدم الخبز والخمر، الطعام المقدس الذي هو مثال للإفخارستيا](١٥٩). ورسالة **كبريانوس** LXIII إلي كيكيليانوس هي في الحقيقة مخصصة لمحاربة الهراطقة الذين يرفضون استخدام الخمر في الإفخارستيا، ويستشهد بنصوص العهد القديم التي تقدم الخمر كمثال للإفخارستيا. ومن بين هذه النصوص الهامة هو النص الذي يذكر فيه ملكي صادق: [نري فيما قدمه ملكي صادق الكاهن سر ذبيحة الرب مصورة مسبقًا، وفق تأكيد الكتاب: ملكي صادق، ملك ساليم، قدم الخبز والخمر](١٦٠).

يبدأ **كبريانوس** مظهرًا كيف أن ملكي صادق: هو مثال للمسيح، ويستند علي (مز ١١٠:٤) *"أنت الكاهن إلي الأبد علي رتبة ملكي صادق"* "الذي هو كاهن الله العلي مثل ربنا يسوع المسيح الذي قدم إلي الآب ما قدمه ملكي صادق، أي الخبز والخمر، أي جسده ودمه" (٧٠٤). هكذا، ملكي صادق هو مثال للمسيح، وتقدمته هي مثال لذبيحة المسيح لكن - كما قال **كبريانوس** - مثال لسر هذه الذبيحة: [هكذا مثال الذبيحة الذي يتمثل في الخبز والخمر قد سبق وظهر في الماضي. وهذا بالضبط ما فعله الرب وتممه، عندما قدم الخبز وكأس مزيج الخمر والماء: هذا الذي هو الملء أكمل حقيقة الأيقونة الرمزية] (٧٠٤).

مثال ملكي صادق يحتل قسم مشترك في عظات الآباء. **القديس أمبروسيوس** يقول: [نعرف كيف أن مثال هذه الأسرار سبق عصر ابرآم، عندما قدم ملكي صادق - الذي ليس له بداية ولا نهاية - الذبيحة](١٦١). هذا المبرر استخدمه أمبرسيوس لكي يؤسس أولوية وأفضلية الذبيحة

١٥٩- المتفرقات IV . 25 staelin 319.25.

160- EP. 63. 4CSEL.703.

161- De sacr. VI. Botte 88.

المسيحية تجاه الذبيحة الموسوية: [أبرهن هذا الذي أقوله،أي كيف أن أسرار المسيحيين هي أقدم من التي لليهود. إذا كان اليهود يرجعون أسرارهم إلي ابرآم، فمثال أسرارنا قد سبق (ابرآم)، حيث أن رئيس الكهنة ملكي صادق قد سبق ابرآم وقدم له خبز وخمر. من كان لديه الخبز والخمر؟ لم يكن ابرآم بل ملكي صادق، بالتالي فإنه هو الذي تمم الأسرار](١٦٢).

عند قراءتنا لنص أمبروسيوس نتذكر رسالة العبرانيين التي قدمت لنا ملكي صادق: " *بلا أب بلا أم بلا نسب. لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبه (مثال) بإبن الله هذا يبقي كاهنًا إلي الأبد* " (عب٧: ٣).

هكذا في رسالة العبرانيين نجد ملكي صادق هو مثال للمسيح كرئيس كهنة أبدي. إن اختبار المسيح للخبز والخمر كمادة منظورة للإفخارستيا يجعلنا نقول إن أعمال المسيح هي محملة بذكريات العهد القديم، إذ يبدو كيف أن اختيار الخبز والخمر يحوي إشارة إلي ما فعله ملكي صادق الذي قدم أيضًا الخبز والخمر. وهكذا ما قيل عن كهنوت المسيح في رسالة العبرانيين هو مؤسس علي الأناجيل التي أخبرتنا بتقديم المسيح للخبز والخمر في العشاء الأخير.

يركز يوسابيوس القيصري علي المقارنة بين كهنوت ملكي صادق والكهنوت الإسرائيلي، مشددًا علي أن الكهنوت الإسرائيلي كان مقتصرًا علي سبط معين. بينما كهنوت ملكي صادق كان كهنوتًا مسكونيًا وليس امتياز مجموعة خاصة: [لم يُختار ملكي صادق من بين الناس ولا مُسح بزيت مصنوع](١٦٣). علي الجانب الآخر، فإن عبادة العهد القديم انحصرت في مكان معين، هيكل أورشليم. وهذا كان إشارة ورمز للإله الواحد، فالمذبح الواحد. وفيما بعد يقول النبي ملاخي: " ***لأنه من مشرق الشمس إلي مغاربها اسمي عظيم بين الأمم وفي كل مكان يُقرَب لإسمي بخور***

162- De sacr. Iv. 10 botte 88.

163- Ευαγγ. Αποδ. V.3. PG 33. 365B-C.

وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود "(ملا ١ :١١).
والآباء يرون في هذه النبوة مثال للإفخارستيا: "ذبيحة الناموس الجديد التي تُقَدَّم في كل مكان"[١٦٤].

نفس الأمر يسري علي مواد الذبيحة (الخبز والخمر): [هذا الذي كان كاهنًا للأمم لم يظهر إطلاقًا لكي يقدم ذبيحة جسدية، لكن حيث أنه بارك إبرآم، قدم خبز وخمر بنفس الطريقة التي فعلها الرب أولاً ثم بعد ذلك أولئك الذين أستلموا منه كهنوتهم من كل الأمم، مقدمين ذبيحة روحية بحسب قوانين الكنيسة، أي أسرار الجسد والدم، الخلاص بالخبز والخمر، الأمر الذي فعله ملكي صادق بمعونة الروح القدس منذ سنين عديدة قبل الأمثلة أو النماذج التي أتت في المستقبل][١٦٥].

لقد رأينا أثناء إستعراضنا لصور وأمثلة المعمودية أن عبور البحر الأحمر هو مثال للمعمودية. **أيضًا الإفخارستيا أُشير لها بالخروج، والمنْ وصخرة حوريب هما مثال مزدوج للمعمودية والإفخارستيا. يقول القديس ذهبي الفم:** [هل رأيت في الإستعداد للمعمودية من كل المثال؟ وما هي الحقيقة؟ أنتبه أيضًا سوف أظهر لك أيضًا المائدة وشركة الأسرار... بعد تعليق بولس علي السحابة والبحر يستمر قائلاً: الكل شربوا شرابًا روحيًا واحدًا. ومثلما أنت بعد أن صعدت من جرن المعمودية مضيت نحو المائدة، هكذا هؤلاء عندما خرجوا من البحر أتوا إلي مائدة جديدة ومدهشة، أريد أن أقول: المَنْ. ومثلما أنت لديك شراب سرائري واحد، هو دم الخلاص، هكذا كان لديهم شراب معجزي واحد كان هناك حيث لا يوجد بتاتًا لا نبع ماء جاري، هو ماء وفير تدفق من الصخرة الجافة][١٦٦].

نجد في نص القديس ذهبي الفم الترتيب: المعمودية ـ الإفخارستيا

١٦٤– يوسابيوس القيصري PG20 ,1192C أيضًا أنظر يوستينوس، الحوار: PG 28.5، إيرينيوس ضد الهرطقات PG 1025A.

١٦٥– يوسابيوس القيصري PG20, 1135D.

١٦٦– ذهبي الفم PG 51.247AC.

واضحًا جدًا. أيضًا نجد نفس الأمر عند الأب ثيودور:[البحر الأحمر هو مثال لجرن المعمودية، عصا موسي: الصليب، فرعون: الشيطان، جنود فرعون: الشياطين، المنْ: الطعام الإلهي، الماء من الصخرة: دم المخلص. حقًا، كما أن أولئك بعدما عبروا البحر الأحمر ذاقوا الطعام الإلهي وماء النبع المعجزي، هكذا نحن، بعد العماد المقدس نشترك في الأسرار الإلهية][١٦٧].

٢. المَـنْ

بينما يتبع التقليد الأسكندري فيلون اليهودي في أن المَنْ يشير إلي كلمة الله وفق ما جاء في إنجيل (مت٤:٤): "*ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله*"، **فإن التفسير الإفخارستي للمن يستند علي (يو٦:٣١-٣٣)** : "*أباؤنا أكلوا المَنْ في البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزًا من السماء ليأكلوا. فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم ليس موسي أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء. لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم. فقالوا له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز. فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة..*". وهذا التفسير نجده عند الآباء في عظاتهم. **فالقديس أمبرسيوس بعد أن أظهر بمثال ملكي صادق أن الأسرار المسيحية هي قديمة عن اليهودية، يقول:** [هذا المَنْ هو معجزة عظيمة حيث أنزله الله إلي الآباء الأولين. لقد أطعموهم السمائيون بطعام يومي، كما هو مكتوب: "*أكل الإنسان خبز الملائكة*" (مز٧٨:٥). **لكن الذين أكلوا مثل هذا الطعام ماتوا في البرية. لكن الطعام الذي تقبله أنت، أي الخبز النازل من السماء، ينقل لك أساس الحياة الأبدية.** إنه جسد المسيح وكما أن النور هو أعظم من الظلال والحقيقة من المثال، هكذا جسد الخالق أعظم من المَنْ السماوي][١٦٨].

167- PG 12.257BC.

168- De Myst. 46. Botte. 123.

القديس أمبروسيوس يشدد - في نفس الوقت - علي التماثل الحقيقي بين المَنْ والإفخارستيا وتفوق الحقيقة علي المثال. لكن هذا التفوق لا يعني أن المَنْ ليس مثال للإفخارستيا. وهذا ما قاله **أغسطينوس**: [المَنْ يعلن الخبز (الإفخارستي)، مذبح الله يعلن الخبز (الإفخارستي)، لكن هذان الاثنان هما فعلاً من ضمن الأسرار. الأمور الظاهرية تختلف، لكن الحقيقة هي نفسها. الطعام الجسدي هو شيء آخر، حيث أولئك أكلوا من المَنْ ونحن (نأكل) شيء آخر. لكن الطعام الروحي كان هو نفسه لأولئك ولنا نحن][١٦٩].

المفهوم الأخروي للمَنَّ:

لقد أعطت اليهودية للمَنْ المفهوم الأخروي. **فكما أطعم الله شعبه بطعام معجزي في عصر الخروج القديم، هكذا سوف يفعل ذلك في أزمنة الخروج الأخروي.** هذه الأهمية الأخروية للمَنْ موجودة في العهد الجديد. فالقديس يوحنا يكتب في سفر الرؤيا: "مَنْ يغلب سأعطيه أن يأكل من المَنْ المخفي..." (رؤ٢: ١٧). والمَنْ يوضع في نفس مستوي شجرة الحياة: "من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة" (رؤ٢: ٧)، كمثال للإشتراك في الخيرات الإلهية للعالم الأخروي.

لكن بالنسبة للعهد الجديد فالهدف هو إظهار أن الطعام الأخروي هو فعلاً حاضرًا في الكنيسة بالإفخارستيا. هذا هو تعليم ليس فقط بولس الرسول لكن يوحنا الإنجيلي. في(١كو) حيث قال إن يهود الخروج أكلوا نفس الطعام الروحي يضيف قائلاً: "*هذه الأمور حدثت مثالاً لنا*" (١كو١٠: ٦). والقديس يوحنا يقدم لنا المسيح وهو يقول: "*آباؤكم أكلوا المَنْ في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت....*" (يو٦: ٥٠-٥١).**المثال الإفخارستي للمنَّ** لا يمثل فقط جانب من تقليد الكنيسة المشترك لكن يمثل أيضًا تعليم المسيح نفسه.

169- Tract. Joh. XXXVI. 12.PLXXXV. 1612.

لقد سبق أن رأينا أن ذهبي الفم والأب ثيودور **يربطان صخرة حوريب بالمَنْ كمثال للإفخارستيا. فالمَنْ يشير إلي الخبز، وماء الصخرة إلي الخمر. وهذا يمثل تقليد كامل له بداياته عند القديس بولس** (١كو١٠:٤). **ويوجد تقليد آخر يربط صخرة حوريب بالمعمودية، وله بدايته عند القديس يوحنا.** فالقديس كبريانوس يرفض رؤية ماء الصخرة كمثال للخمر الإفخارستي[١٧٠]. لكن التقليد الذي يري في ماء صخرة حوريب مثال للخمر الإفخارستي نجده عند عدد لا بأس به من الآباء.

فالقديس أمبرسيوس يذكر معجزة المَنْ لكي يبرهن علي سمو الأسرار المسيحية ثم يربطها بماء صخرة حوريب، قائلاً: [لأجلهم خرج الماء من الصخر، ولأجلكم خرج الدم من المسيح، الماء رواهم إلي حين، والدم يشبعكم إلي الأبد، اليهود كانوا يشربون وكانوا أيضًا يعطشون وأنتم بعد الشرب تصيرون فوق مستوى العطش، ذلك كان ظِلاً وأما هذا فهو حقيقة. فإذا كان ذلك الذي تتعجبون منه مجرد ظِل، فكم ينبغي لذلك الذي تتعجبون من ظِله أن يكون عظيمًا؟ أنظر الآن ما حدث كظِل مع الآباء: "جميعهم شربوا من الصخرة التي تابعتهم والصخرة كانت المسيح، ولكن بأكثرهم يُسر الله لأنهم طُرحوا في القفر وهذه الأمور أصابتهم مثالاً لنا" (١كو١٠:١٤). فالآن يمكنكم أن تعرفوا أيهما أعظم، لأن النور أعظم من الظل، والحقيقة أعظم من الرمز، وجسد ذاك الذي يعطيه (لنا) أعظم من المَنْ الذي من السماء][١٧١].

والقديس أغسطينوس مثل القديس أمبرسيوس يربط معجزة حوريب بالمَنْ كمثال للإفخارستيا وهذا وفق كلام بولس: "*شربوا شرابًا روحيًا واحدًا*". أولئك شربوا شرابًا روحيًا واحدًا، ونحن شرابًا روحيًا آخرًا. لكن هذان (الشرابان) لا يختلفان فقط من جهة الشكل الخارجي، لأنه من جهة خواصهم السرية يعنون شيئًا واحدًا. كيف شربوا نفس

170- EPIST. LX1118.CSEL 705-707.

١٧١- أمبرسيوس، الأسرار، مركز دراسات الآباء، المرجع العربي السابق ص٣٢-٣٣.

الشراب؟ شربوا من الصخرة التي تابعتهم، وهذه الصخرة كانت المسيح. الصخرة هي مثال للمسيح، والمسيح الحقيقي هو **الكلمة** متحد بالجسد. وكيف شربوا. ضُربت الصخرة بالعصا مرتين، والضربتين تعني طعنتي الصليب(١٧٢)، سوف يلاحظ المرء الإشارة إلي صليب المسيح. **القديس أمبرسيوس من جانبه يتحدث عن دم المسيح الذي تدفق وهكذا نري ظهور موضوع الدم الذي خرج من جنب المسيح فوق الصليب.** نشدد حقًا علي أن التقليد القديم يري في الماء الذي تدفق من الصخرة في البرية مثال للدم الذي خرج من جنب المسيح المطعون. أي يرى الآباء في الماء وفي الدم الذي خرج من جنب المسيح مثال للمعمودية والإفخارستيا، هكذا الماء الذي خرج من الصخرة يمكن أن يكون في نفس الوقت مثال للمعمودية وأيضًا للإفخارستيا.

٣. مائدة العشاء

يربط **القديس كبريانوس** الأمور المتعلقة بمائدة الحكمة بحادثة ملكي صادق (أمثال٩:٥): ["أيضًا من سليمان: تظهر لنا مثال ذبيحة الرب، ذاكرًا التقدمة المذبوحه، الخبز، والخمر والمذبح: الحكمة، تقول، بنتَّ بيتها. نحتت أعمدتها السبعة. ذبحت ذبحها مزجت خمرها. أيضًا رتبَّت مائدتها. أرسلت جواريها تنادي علي ظهور أعالي المدينة. هلموا كلوا من طعامي وأشربوا من الخمر التي مزجتها. سليمان يتحدث عن خمر ممزوج، ونبويًا الخمر يعلن كأس الرب الذي يحتوي علي الخمر والماء](١٧٣).

نري هنا موضوعًا جديدًا الخمر والماء كمثال للإفخارستيا ويعبر عن الإتحاد بين اللاهوت والناسوت. الليتورجيا اليهودية بها عشاء مقدس داخل الهيكل فوق جبل أورشليم، وهذا العشاء كان العلامة المنظورة التي تبرهن علي أنه كيف أن المرء ينتمي إلي شعب الله. هكذا نقرأ في

172- Tract. Job. Xxv 16. PLxxxv. 12.

173- Epist. Lx111.S.

سفر التثنية: "*لا تفعلوا هكذا للرب إلهكم. بل المكان الذي يختاره الرب إلهم من جميع أسباطكم ليضع أسمه فيه سكناه يطلبون وإلي هناك تأتون. وتقدمون إلي هناك محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم ونذروكم.. وتأكلون هناك أمام الرب إلهكم.. لا يحل لك أن تأكل في أبوابك عُشر حنطتك وخمرك وزيتك ولا أبكار بقرك وغنمك ولا شيئًا من نذورك.. بل أمام الرب إلهك تأكلها في المكان الذي يختاره الرب..*" (تث١٢:٤-٧، ١٧-١٨).

نجد في التقليد اليهودي سلسة النصوص التي تظهر لنا الخيرات الماسيانية المحفوظة إلي نهاية الأزمنة كعشاء مقدس. وأشعياء النبي يقدم لنا هذه الخيرات كعشاء: "*أيها العطاش جميعًا هلموا إلي المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا ولبنًا. لماذا تزنون فضة لغير خبز وتعبكم لغير شبع. إستمعوا لي استماعًا وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم*" (إش٥٥:١-٢، أنظر أيضًا إش٦٥:١١-١٣). **أيضًا نجد موضوع العشاء الماسياني في الأدب الرؤيوي، فإشعياء يتنبأ ويقول:**"*ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن وليمة خمر*" (إش٦:٢٥). وفي عزرا وغيره من الأسفار تشير إلي عشاء إبن الإنسان، وهذا ما نجده في (لو٢٩:٢٢): "*وأنا أجعل لكم كما لي أبي ملكوتًا. لتأكلوا وتشربوا علي مائدتي في ملكوتي*".

هكذا العشاء الماسياني هو ـ من جهة ـ يظهر بنفس الملامح مع العشاء الليتورجي داخل هيكل أورشليم. يصير "*داخل بيت الحكمة*" (أم٩:١) أي داخل الهيكل ويصير أيضًا فوق الجبل (إش٢٥:٦). الجبل هو صهيون حيث يسكن الله، وحيث يظهر العصر الماسياني. يصير في المدينة (عزرا٨:٥٢). أورشليم الأرضية ترمز إلي السمائية. **لكن في نفس الوقت العشاء يتفوق على العشاء الليتورجي الذي ليس إلا مثال للعتيد أن يكون:** يظهر نوعية ووفرة تبرهن أننا لسنا بعد في

العالم الحاضر لكن داخل عالم متجلي (إش٢٥ :٦، ٥٥ :١). أنها الخيرات الروحية (إش٥٠ :٣) التي يُرمز لها بالأطعمة المنظورة في العشاء الليتورجي. أخيرًا بينما في العشاء اليهودي يُقبل فقط أعضاء شعب الله، نجد أن في العشاء الأخروي كل الشعوب مقبولة (إش٢٥ :٦).

إذن ظهرت نماذجية العشاء المقدس من زمن العهد القديم. والعهد الجديد يؤكد كيف أن العشاء تُمم بالمسيح. **هنا يجب أن نعطي أهمية إلي الموائد التي شارك فيها المسيح وذُكِرَت في الأناجيل.** هذه الموائد لها أهمية ماسيانيه، بمعني أنها **تعبر عن الفرح** الذي تنبأ عنه الأنبياء. وهذا نراه عندما ذهب يسوع ليأكل في بيت متى حيث أُعثر تلاميذ يوحنا: "*وكان تلاميذ يوحنا والفريسيين يصومون. فجاءوا وقالوا له لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين وأما تلاميذك فلا يصومون*"، *فأجاب المسيح* "*هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم. مادام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا*" (مر٢ :١٨-١٩). **هكذا الموائد التي اشترك فيها المسيح كانت تعبيرًا عن ملمح الفرح الماسياني الناتج من حضور المسيح.** وحديث المسيح هذا كان يسبق حادثة قطف تلاميذ يسوع للسنابل وهو سائرون يوم السبت، وتذمر الفريسيين علي ذلك، مما جعل البعض يعتبر أن هذا الحدث يعلن العشاء الأخروي ونفس الوقت يعلن الإفخارستيا. **أيضًا الإنجيلي لوقا يذكر حديث المسيح ضد الفريسيين قائلاً:** " لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزًا فتقولون به شيطان. جاء إبن الإنسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاه" (لو٧ :٣٤)، قبل المائدة التي اشترك فيها المسيح في بيت سمعان الفريسي حيث قَبِلَ يسوع دخول المرأة الخاطئة. **هكذا أراد المسيح أن يزيل الحواجز بين الخطاة والله. وكما أن معجزة إشباع الجموع بمباركة الخبز نعتبرها كتحقيق لمثال المَنْ وفي نفس الوقت نبوة عن الإفخارستيا، هكذا هذه الموائد التي اشترك فيها المسيح هي كنموذج لقبول الأمم في الشركة الماسيانية التي تتحقق في الكنيسة.** هكذا، في نص لوقا

يكرز بأنه " أكلنا قدامك وشربنا " في أثناء حياته الأرضية لا تمثل تحقيق للوعود. حقًا "*هناك يكون البكاء وصرير الأسنان متى رأيتم إبراهيم واسحق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وأنتم مطروحين خارجًا. ويأتون من المشارق والمغارب ومن الشمال والجنوب ويتكئون في ملكوت الله*" (لو١٣ :٢٨ـ٢٩). **هذا الكلام إشارة إلي قبول الأمم في الكنيسة.**

وتحقيق هذا العشاء الماسياني مع دعوة الأمم يؤكد أيضًا نفس هذا النص **بمثل العشاء العظيم** الذي ذُكر في إصحاح (١٤ :١٥ـ٢٤) عندما قال أحد من المتكئين للمسيح: "طوبي لمن يأكل خبزًا في ملكوت السموات" حينئذٍ أجاب المسيح: "*إنسان صنع عشاء عظيمًا ودعي كثيرين... حينئذٍ غضب رب البيت وقال لعبده أخرج عاجلاً إلي شوارع المدينة وأدخل إلي هنا المساكين والجُدع والعُرج والعُمى*" (يو١٤ :١٦ـ٢١).

نلاحظ كيف أن النص يشير بوضوح إلي موضوع العهد القديم الذي بدأناه بموضوع مائدة الحكمة كما كتب عن ذلك أوريجينوس في تفسيره لنشيد الأنشاد[١٧٤].

وكما في سفر الأمثال أرسلت الحكمة جواريها تدعو المارين إلي مائدتها، هكذا السيد المسيح في المثل أرسل عبيده ليدعوا الذين يريدون أن يحضروا إلي المائدة المُعدَّة هكذا ظهرت الكنيسة كبيت الحكمة حيث يُعطىَّ الخبز والخمر ليس كمثال بل كسر للحقائق الإلهية. لذا نرى**القديس أمبروسيوس** يقول: اهل تريد أن تأكل، هل تريد أن تشرب. تعال إلي مائدة الحكمة المدعو إليها جميع البشر بصوت عالٍ: تعالوا كلوا خبزي واشربوا خمري الممزوج. لا تخاف سوف لا يغيب عن مائدة الكنيسة عطور مفرحة أو أطعمة لذيذة، أو مشروبات متنوعة، أو الخدام الماهرين. هناك سوف تقطف المُر أي قبر المسيح، سوف تقوم أنت أيضًا من الموت، كما قام ذاك (المسيح). هناك سوف تأكل الخبز الذي يقوي

174- PG13.155.

قلب الإنسان، سوف تشرب الخمر لكي تبلغ ملء قياس قامة المسيح][175].

هكذا نفهم أن الإفخارستيا هي ذبيحة روحية ومسكونية، إنها طعام شعب الله أثناء مسيرتهم نحو أرض الميعاد، وأنها مشاركة كل الأمم في شركة الخيرات الإلهية.

175- De Cain et Abell.5. CSELXXXII. 1.335.

أسئلة عن الفصل الثالث

التفسير الليتورجي (الطيبولوجي) للكتاب المقدس

١ـ ما معني التفسير الليتورجي أو الطيبولوجي للكتاب المقدس؟

٢ـ ما هو التفسير الكتابي لطقس لسر المعمودية ؟

٣ـ ما هو التفسير الكتابي لطقس لسر الميرون؟

٤ـ ما هو التفسير الكتابي لطقس لسر الإفخارستيا؟

٥ـ أذكر نماذج وأمثلة كتابية صورت مسبقًا لسر المعمودية ؟

٦ـ أذكر نماذج وأمثلة كتابية صورت مسبقًا لسر الميرون؟

٧ـ أذكر نماذج وأمثلة كتابية صورت مسبقًا لسر الإفخارستيا؟

الفصل الرابع

تفسير القديس كيرلس

لبعض الآيات التي إستخدمها الآريوسيين(١٧٦)

١. نص أمثال ٨:٢٢:

"اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ، مُنْذُ الْقِدَمِ".

أثناء مواجهه ودحض فكر الأريوسيين عن إدراك الابن كمخلوق، تعرض القديس كيرلس لتفسير نص الأمثال ٢٢ :٨: "الرب قناني وخلقني أول طريقة من قبل أعماله منذ القدم". ذلك النص الذي استخدمه الأريوسيون ليدعموا وجهة نظرهم في أن الابن مخلوق.

في البداية يبين لهم القديس كيرلس أن الكلام بأمثلة يُدرك جيداً عندما نعرف نحن مفهوم هذه الأمثلة كما تُقال في أعراف بيئة معينة أي لابد أن نعرف لغة الأمثلة وماذا تعني لمستخدميها. فالأمثلة لا تُفسر حرفياً. فالمثل لا يُدرك بسهولة لأنه لا يعلن الغرض منه مباشرةً. ويستشهد القديس كيرلس بالمخلص نفسه حين قال لتلاميذه "قد كلمتكم بأمثال ولكن تأتي ساعة حين لا أكلمكم أيضاً بأمثال بل أخبركم عن الآب علانيةً" (يو١٦ :٢٥). حين قال الحكمة "الرب قناني (خلقني)" تستخدم أقوال من الأمثال " الحكمة بنت بيت لذاتها" (أم٤ :١) إذن بما أن الحكمة هي بالطبع كلمة الله، لكن تبني بيتاً لذاتها يجب أن نفسر أين تشير عبارة "قناني أو خلقني". ويعلن القديس كيرلس بوضوح أن المسيح هو الذي يقول هذا لأنه بالفعل وُلِد وصار إنساناً. وفي هذه الحالة، هذا التفسير

١٧٦ –هذا عرض مبسط لتفسير القديس كيرلس لبعض الآيات التي كان يستخدمها الآريوسيون لتدعيم هرطقتهم بأن الإبن أقل من الآب كما وردت في كتابه الكنوز في الثالوث، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د. جوزيف موريس فلتس، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية سنة ٢٠١١م .

لا يمثل تجديف طالما بالفعل قال هذا بكونه إنسان. وهو بيت الحكمة الذي بُني بواسطتها جسدها العادي الذي وُلدِ من العذراء القديسة الذي سكن فيه ملء اللاهوت جسدياً (أنظر كو٢:٩). ويستخلص القديس كيرلس النتيجة بكل وضوح قائلاً "بالتالي، لأن الكلمة صار جسداً، يقول الكتاب المقدس عن ذاته "قناني ـ خلقني" لأنه صار جسداً وهكذا يجب أن نفهم هذا الذي يُقال"[١٧٧].

أيضاً عن طريق مفهوم كلمة "قناني ـ خلقني" كما وردت في الكتاب المقدس يبرهن القديس كيرلس أن للكلمة مفاهيم متعددة فهي لا تعني خلق جوهر الكلمة. وهذا الفعل "خلقني" يُمكن أن يُقال على الكائنات التي بالفعل توجد وعن تلك التي لم تصر بعد. إذا قبلنا هذا الفعل على المخلوقات التي لم تُخلق بعد يمكن أن تعني مجيئهم إلي الوجود من العدم. لكن بالنسبة لتلك التي هي موجودة بالفعل ولا تحتاج لأن تُخلق لكي توجد لا تعني خلق جوهر بل التحول من شئ إلي شئ آخر. ويعطي لنا القديس كيرلس أمثلة على ذلك من الكتاب المقدس: يقول داود "وشعب سوف يُخلق يسبح الرب" (مز١٠٢ : ١٩) وأيضاً "قلباً نقياً إخلق فيَّ يا الله" (مز٥١:١٢). طبعاً، كما يقول القديس كيرلس، لا يقصد داود أن شعب سوف يُخلَّق من جهة جوهره، لكن يشير إلي ذاك الشعب الذي تحول من الضلال إلي معرفة الله. ولم يطلب أيضاً أن يخلق قلب آخر غير الذي له، بل توسل لأن ينال التطهير. أيضاً حين يقول الرسول بولس عن المسيح "مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الأثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً" (أفسس٢:١٥). وكذلك: "وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أفسس٤:٢٣). لا يقصد ـ كما يقول القديس كيرلس ـ أن الإثنين يتحدا بإتحاد طبيعي بواسطة المسيح، لكن يقصد أن بني إسرائيل والأمم يتحولان ويكتسبان معرفة جديدة، لبني إسرائيل وفق ناموس العبادة، والأمم يتحررون من الضلال الذي

١٧٧- الكنوز١٥:١١٧.

كان يُصاحبهم. وبالنسبة لنا جميعاً يريد أن نلبس الإنسان الجديد الذي خُلِق كما أراد الله. وواضح ـ كما يقول القديس كيرلس ـ أنه لا يقصد أن نلبس إنسان ما حقيقي، لكن إستعداد داخلي جديد وحياة فاضلة[١٧٨].

إذن كلمة "خلقني" لا تعني على أي حال خلق جوهر، لأنه بعد ذلك يقول "أول طريقة من قبل أعماله" بمعني خلقه لأعماله. أي خُلِق أو صار كلمة الله جسدياً، أي إنسان، لكي يكون بداية طرق الرب وأعماله. لأنه أولاً في المسيح وُجدت الحياة الإنجيلية تطبيقها التام وعبارة "طرق الرب" ـ كما يقول القديس كيرلس ـ تعني وصايا الرب إذ يقول داود "طرقك يا رب عرفني سبلك (وصاياك) علمني" (مز٢٥:٤). هكذا الأعمال تُظهِر الحياة الفاضلة ووصايا الله.

يُعطي أيضاً القديس كيرلس تفسيراً صحيحاً لنص أمثال٨:٢٢ من خلال عقيدة تأنس **كلمة** الله (أي الإيمان الخريستولوجي المستقيم) . فربنا يسوع المسيح تألم بحسب بشريته بواسطة موته على الصليب بالجسد ، بالرغم من أنه بحسب طبيعته الإلهية فهو غير متألم وغير مائت. "هكذا عندما خُلِق الجسد ، يقول أنه هو ذاته خلق نفسه ،بالرغم من أنه بحسب الجوهر هو غير مخلوق. لأنه كان الجسد خاص به وليس لشخص آخر، فإنه صنع هذه الأمور التي تحدث في هذا الجسد"[١٧٩].

أيضاً على أساس تعليم الكتاب المقدس بخصوص عمل ربنا يسوع الفدائي، فإن "الكلمة" صار جسداً (يو١:١٤) وبولس الرسول يكتب عن المسيح "صار لعنة لأجلنا" (غلا٣:١٥)، كذلك "الذي لم يعرف خطية، صار خطية لأجلنا" (٢كو٥:٢١). ويقول القديس كيرلس: "نحن لا نصدق أن الكلمة تحول إلي جسد ، ولا يقول أنه صار حقاً لعنة أو خطية. لكن طالما هكذا يقول عنه الكتاب المقدس، نُدركه بوقار وتقوى، بنفس الطريقة، عندما يقول كلمة الله "الرب قناني ـ خلقني" يجب أن ندركه

١٧٨- أنظر الكنوز١٥:١١٨.

١٧٩- أيضاً أنظر ضد الأريوسيين ٢:٥٤, الكنوز١٥:١٢٦.

على أنه جعلني إنساناً، ولا نفهم أن هذه العبارة تلتف ضد جوهره"[١٨٠].

ويتسائل القديس كيرلس مفترضاً أن الابن خُلِق أولاً ـ كما يزعمون ـ وصار بداية، كيف خُلِق لأجل أعماله؟ هذا يعني "أنه خلق لأجل أعماله التي بالفعل هي كانت موجودة، ولو الأمر هكذا، كيف يكون هو الأول هذا الذي خُلِق ثانية بعد تلك التي خُلِقت أولاً؟ وكيف من الممكن أن يكون بداية لآخرين هذا الذي صار بعدهم؟ وكيف صار الكل "بواسطته" لو هذا يوجد بعد تلك المخلوقات"[١٨١].

هكذا يستخلص من هذه النتائج العبثية أن كلمة "قناني- خلقني" لا يجب أن تُوضع ضد جوهر الله **الكلمة**، بل أن تُفسر من جانبنا بتقوى، لأن مفهوم هذا القول يخص موضوع التأنس. وحين زعم الهراطقة أن الابن هو من ضمن المخلوقات لأنه يدعو الآب رباً، أجاب القديس كيرلس قائلاً: "مثلما الابن دعاه رباً هكذا دعاه رباً" وبذلك لو قلنا أنه بسبب أن الابن دعاه رباً فإنه يكون عبد، بالمثل أيضاً دعاه آب، إذن هو إبن. والإبن ليس هو مخلوق لذلك الذي ولده بل يُعترف بأنه أتي مِن جوهره. وبالتالي هو الابن بحسب الطبيعة. أما مسألة أنه دعاه رباً فهذا حدث ـ بحسب القديس كيرلس ـ حين لأجلنا لبَّس شكل العبيد وصار إنساناً (أنظر فيلبي٢ :٧) عندئذٍ يسمي الآب أيضاً رب[١٨٢]. هكذا حين يدعو الابن الله بالآب يستثني نفسه عن بقية المخلوقات بسبب العلانية الأزلية بين الآب والإبن فهو مولود من جوهر الآب أزلياً، ويذكر القديس نص (مت١١ :٢٥) حين قال الإبن: "أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض" ليعلن هذا الحق، إذ يقول: "ها إذن الذي يقول إن إبيه هو الله بحسب الطبيعة، ورب كل السمويات والأرضيات، ولو كان أيضاً هو مخلوق، مثل أولئك، لن يحتفظ لذاته، كقول إستثنائي، مكانة الإبن، واضعاً كل الكائنات الأخرى تحت

١٨٠- الكنوز١٥ :١١٩. أنظر ضد الأريوسيين ٢ :٥٥.

١٨١- الكنوز١٥ :١٢٠.

١٨٢- أنظر الكنوز١٥ :١٢٠. القديس أثناسيوس, ضد الأريوسيين مقالة ٢ :٥٠.

العبودية لأنه وهو يقول "رب السماء والأرض لم يترك شيئاً حُراً، إلا فقط ذاته، داعياً بكونه إبن، الله آب"[183].

يكرر القديس كيرلس تأكيده على أن عبارة "الرب قناني أول طريقة من قبل أعماله" لا تعني أن الرب خُلِق من العدم مثل كل المخلوقات بل تعني إنتقاله من شئ إلي شئ آخر. لأن **الكلمة** كان يوجد في بداية الخلق، وعندما صار إنساناً، صار بداية لكل طريق للصلاح لأجلنا.

ويذكرنا القديس كيرلس بمبدأ تفسيري هام هو أن الكتاب المقدس حين يشير إلي ولادة الابن من الآب، لا يضيف السبب أي لا يقولون لماذا هو الله، أو لماذا وُلدِ من الآب، "لكن عندما تذكر الكتب المقدسة تشابه بنا وولادته بواسطة العذراء، يضيف مباشرةً أيضاً السبب لكي نتعلم أن هذا الذي هو دائماً كلمة الله لضرورة ما صار إنساناً بدون أن يبدأ من وقتذاك أن يوجد، لكن تغير من جهة الشكل آخذاً صورة عبد، وبحسب هذا يُقال أنه خُلِق وصُنِع"[184].

ويستشهد القديس كيرلس بشواهد كتابية تُثبت حقيقة هذا الأمر فعندما يتحدث الكتاب عن الابن في ولادته من الآب أو علاقته الأزلية معه، لا يذكر السبب، على سبيل المثال: "في البدء كان الكلمة"، "وكان الله الكلمة" (يو١:١). "أنا في الآب والآب فيَّ" (يو١٤:١١)، " أنا والآب واحد" (يو١٠:٣٠) "من رآني فقد رأي الآب" (يو١٤:٩). بينما بخصوص الولادة بالجسد يذكر الكتاب الأسباب مصحوبة بالوقائع، على سبيل المثال، قال المخلص ذاته " لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني" (يو٦:٣٨). أيضاً: " أنا جئت نوراً إلي العالم حتى مَنْ يؤمن بي لا يمكث في الظلمة" (يو١٢:٤٦). وكذلك: " لهذا قد وُلدِت أنا ولهذا قد أتيت إلي العالم لأشهد للحق" (يو٨:٢٧). وشواهد أخرى يذكرها، أنظر على سبيل المثال (يو٣:١٧)، (١كو١٥:٢١)، (رو٨:٣ ـ ٤)، (يو٩:٣٩).

١٨٣- الكنوز١٥:١٢١.

١٨٤- الكنوز١٥:١٢١.

هكذا "عندما صار إنساناً، لكي يتمم هذه الأعمال ويصير بداية لمثل هذه الأنواع من الطرق، قال عن ذاته "الرب قناني - خلقني أول طرقه من قبل أعماله". بمعني لم يُخلِق آتياً إلي الوجود، لكن، بينما كان يوجد على الدوام صار جسداً لأجل هذه الأسباب"(١٨٥).

٢- نص سفر الأمثال ٨ : ٢٣

" منذ الأزل مُسِحت (أُسست) منذ البدء منذ أوائل الأرض"

حين إستغل أيضاً الأريوسيون آية أمثال ٢٣:٨: "منذ الأزل مُسِحت (أُسست) منذ البدء منذ أوائل الأرض" لكي يُدعموا رأيهم الخاطئ في أن الابن مخلوق، كان رد القديس كيرلس حاسماً بأن سفر الأمثال هنا يتحدث عن حكمة الله الذي هو **كلمة** الله مشيراً إلي (أم١٠:٣): "الله بحكمة أسس الأرض" إذن لكي يؤسس الله الأرض أسسها بواسطة كلمة الله الذي هو حكمة الله. بالتالي حين قال "منذ الأزل مُسِحت أو أُسست" لا يقصد أن الله جعله كلمة أو ابن بل لأنه صار إنساناً ولبَّس شبهنا، صار بداية وأساس لنا، نحن الذين نبني في التقوى إيماننا به، ونتغير إلي خليقة جديد، كما هو مكتوب (أنظر٢كو١٧:٥). هكذا هو أساس لأولئك الذين بنيوا فوقه بواسطة الإيمان. وهذا المفهوم هو نفس المفهوم الذي شرحه حين كان يفسر أم٢٢:٨ "الرب قناني - خلقني أول طرقه من قبل أعماله"(١٨٦).

أيضاً يستشهد بما قاله بولس الرسول " لا يستطيع أحد أن يصنع أساساً آخر غير الذي وُضِع الذي هو يسوع المسيح" (١كو١١:٣) ليبرهن على أن المسيح هو الأساس وبالتالي المبني الذي بُني فوقه ينبغي أن يكون مثل الأساس. "ولأنه هو **الكلمة** ولا شئ يشبه **الكلمة**، ولا مِن الممكن أن ينطبق شئ من المخلوقات فوقه بطريقة طبيعية، لأنه خالق بينما هذه هي

١٨٥- الكنوز١٥: ١٢٢.

١٨٦-أنظر الكنوز١٥: ١٢٩.

مخلوقات لذا حين صار إنساناً ومثلنا في كل شئ، فيما عدا الخطية، وضع ذاته أساس لهؤلاء الذين بُنيوا فوقه ويستطيعوا أن ينسجموا معه بسبب أنه هو ذاته صار إنساناً، لديه قرابة شديدة معنا بسبب طبيعة الجسد" (الكنوز١٥ :١٢٩) وبذلك يؤكد القديس كيرلس أن تعبير"منذ الأزل مُسحت (أُسست)" يجب أن ننسبه لتأنس المخلص، لكي نتجنب التجديف، قائلين أنه خُلِق وأن حكمة الله بدأت توجد. ويعطي لنا مثالاً رائعاً لما ذكره الرب في (يو١٥ :٥) داعياً ذاته كرمة ونحن الأغصان. فالأغصان ليست غريبة عن الكرمة بل منها بحسب الطبيعة. هكذا هو يقول أنه أساساً لكي يُظهِر القرابة الطبيعية بأولئك الذين بُنيوا فوقه عندما صار إنساناً. بالتالي كلمة الله الذي تأنس هو الأساس ونحن كأننا أحجار مقدسة نُبني فوقه لكي نصير أيضاً هياكل للروح القدس الذي يسكن فينا.

أيضاً يستمر في الشرح معطياً أمثلة كعادته لتوضيح التفسير الصحيح لأمثال ٨ :٢٣، إذ يقول، نفترض أننا قطعنا حجر من جبل وجعلناه أساس لمبني، وكذلك نفترض أن هذا الحجر يتكلم فهو يستطيع أن يقول: "كنت قطعة صغيرة من الحجر في الصخر أو في الجبل، لكن الآن صرت أساس لابساً الأرض التي تُحيط بي. هكذا يجب أن نفكر بتقوي أيضاً عن حكمة الله، بمعني الابن لأنه في البداية كان عند الله (أنظر يو١ :٢) وكان الله لكن طالما قُطِع مثل حجر بدون يد من الجبل (أنظر دا٢ :٣٤) بمعني أتي من جوهر الآب، ولبِّس، مثل أرض، جسدنا، عندئذٍ يقول أنه صار هو نفسه أساس، قائلاً، بطريقة ما أنا كنت **الكلمة** والإبن الحقيقي، الآب ألبسني جسد أرضي لكي أصير أساس وبداية لهؤلاء الذين خُلقوا فوقي بواسطة الإيمان، وصرت جسد واحد مع هؤلاء، لكي تقبلوا التكيف والإنسجام الطبيعي والإرتباط بي بسبب قرابتنا بحسب الجسد"[١٨٧].

٣- نص أمثال ٨ : ٢٥

١٨٧- الكنوز١٥ :١٣٠.

" **من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال أُبدئتُ (وُلِدت)**".

يوضح القديس كيرلس الفرق بين "خلقني" و"وُلِدت"، إذ يقول "بما أن **الكلمة**، حقاً هو الله، وصار إنساناً، بالتأكيد كإنسان يقول "الرب قناني - خلقني" بينما حين أظهر وجوده الأزلي قال "من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال أُبدئت (وُلِدت)" (أم٨:٢٥). هكذا الولادة تعني أنه أتي من جوهر الذي وَلدَه.

أما عن رأي المعارضين بأن الكتاب المقدس لا يميز الكلمات التي يستخدمها، فهو يستخدم نفس الفعل "وُلِد" حين قال "ربيت (وَلدت) بنين ونشأتهم" (أش١:٢). وأيضاً "تركت الله الذي وَلدَك" (أش١:٤س). "مَنْ يسكب (يلد) زقاق السموات" (أيوب٣٨:٣٨). وبالتالي - يقولون - أن "خلق" و"وَلدَ" يعنيان أمراً واحداً وهو مستخدم أيضاً بالنسبة للإبن. والغرض من هذا الرأي إقناعنا بأن فعل "وُلدَ" ليس بالضرورة يعني من الجوهر. لكن أيضاً القديس كيرلس يرد على هذا الرأي الخاطئ موضحاً أن الكتاب المقدس يستخدم الكلمات لكن لا يجهل أهمية كل كلمة، إلا أن بعض المرات يقبلها مجازياً فبخصوص المخلوقات يقول الكتاب "في البدء خلق السماء والأرض" (تك١:١) و"صنع الله الإنسان" وليس "وَلدَ" أما بخصوص كلمته يقول "في البدء كان الكلمة". إذن بالنسبة للمخلوقات البداية هي الزمن، بينما **كلمة** الله، الذي يوجد قبل الأزل، البداية هي فقط أبيه الذي ليس له بداية، طالما أزلياً يوجد معه. ويريد القديس كيرلس أن يقول أيضاً، عندما يستخدم الكتاب كلمة"وَلدَ" بالنسبة للمخلوقات يجب أن نفهمها إستعارياً أو مجازياً وليس طبيعياً، وكذلك حين يستخدم "صنع" أو "خلق" بالنسبة للإبن يجب أن تُفهَّم إستعارياً حتى تُحفظ فيه الأصالة الطبيعية. لأن بالنسبة للمخلوقات، فعل "وَلدَ" نتيجة للنعمة، بينما بالنسبة لـ "غير الصائر" و"غير المخلوق" كلمة الآب، فإن ضرورة الطبيعة البشرية فرضت عليه أن يقول أنه خلق ذاته. والمخلوقات

مدعوة للتبني بالكلمة وإرادة الله. لذلك قال " أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق" (يو٨:٢٣). هكذا بكلمة "أسفل" يَظهِر وضاعة الجوهر المخلوق بينما "فوق"تعني سمو الطبيعة الإلهية التي تفوق الكل[١٨٨].

٤- نصوص مت ٢٦: ٣٨-٣٩، يو١١:٣٥، يو١٢:٢٧

إستغل الأريوسيون نصوص مثل "بكي" يو١١:٣٥، "الآن نفسي قد إضطربت" (يو١٢:٢٧)، "نفسي حزينة" (مت٢٦:٣٨)، " أن شئت فلتعبر عني هذا الكأس" (مت٢٦:٣٩)، وكل الشواهد الشبيهة بهذه، لكي يبرهنون بأن يسوع المسيح كان إنساناً عادياً، طالما أن هذه الأقوال هي تعبر عن خواص بشرية بحته. إذن هو ـ بحسب رأيهم ـ مخلوق عادي وليس من نفس جوهر الله الأزلي. وكان رد القديس كيرلس واضحاً إذ ميز بين الأقوال التي تنسحب على **الكلمة** قبل تجسده وتلك التي قيلت عنه بعد التجسد. بالتالي **كلمة** الله لم يعاني مثل كل البشر إلا فقط عندما تجسد لأنه يوجد فيه العنصر البشري الذي من طبيعته يعاني ما يعانيه البشر ويتسائل القديس كيرلس: "بما أنه كان هو الله الذي صار إنساناً وليس أحد آخر، فمنْ الذي يخاف منه الله؟

كيف يخاف هو نفسه من الموت؟ هذا الذي قال لتلاميذه " لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها" (مت١٠:٢٨)،

كيف يمكن أن يخاف من إجتياز الموت في اللحظة التي يشجع فيها إبرآم قائلاً " لا تخف يا إبرآم" (تك١٥:١).

كيف للذي أتي لكي يُميت الموت ويصل إلي هذه المرحلة يخاف هو نفسه، هذا ضد الذي لأجله أتي؟"

ويستمر القديس كيرلس في حديثه ليصل لمرحلة قيامة الرب، إذ يقول "كيف لا يكون كفراً أن تقولوا أنه خاف من الهاوية، هذا الذي لمجرد

188- أنظر الكنوز124:15.

أن رأوه حُراس الأبواب إرتعبوا من الخوف، وعندما فتحوا الأبواب التي لا أحد يستطيع أن يهرب منها، تركوا الأرواح حُرة، ... والنتيجة أن كثيرين قاموا من القديسين ودخلوا المدينة، كما هو مكتوب، وظهروا لكثيرين (أنظر مت ٢٧: ٥٢-٥٣)؟" .

ويعود القديس كيرلس للأقوال التي قالها المسيح في حياته توضح أنه كان لا يخاف شيئاً:

"كيف خاف الموت الذي قال لأولئك الذين فتشوا عنه وذهبوا ليقبضوا عليه "أنا هو" (يو١٨: ٦)؟

كيف خاف الموت الذي قال "لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن أخذها أيضاً" (يو١٠: ١٨)، و"ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي" (يو١٠: ١٨)؟"[١٨٩].

بما أن هذه الأقوال قيلت عنه إنسانياً بعد التجسد أي عندما صار إنساناً، إذن هي تخصه بكونه إنسان يحمل الطبيعية البشرية التي تُوصف بمثل هذه الأوصاف[١٩٠].

ويوجه للهراطقة سؤالاً هاماً وضرورياً، إذ يقول لهم: "فإن عثرتم من الأقوال التي قيلت أو صارت بطريقة إنسانية، لأي سبب لم تستفيدوا من تلك التي صنعها وقالها بطريقة تتناسب مع الله؟"[١٩١]. هكذا، التأنس ـ كما يؤكد القديس كيرلس ـ كان المبرر الحتمي لكي تصير أيضاً هذه الأمور البشرية.

أيضاً هناك بُعد آخر ركز عليه القديس كيرلس حين أكد على أن **الكلمة** لكي يظهر بوضوح أنه إنسان حقيقي وليس خيالاً تحدث وتصرف بطريقة بشرية. هكذا بالرغم من أنه بلا خطية، إلا أنه سمَّح لجسده وطبيعته البشرية أن تخضع لهذه الأوجاع التي هي من ضمن ملامح

١٨٩- الكنوز ٢٤: ١٨١.

١٩٠- أنظر الكنوز ٢٤: ١٨١-١٨٢.

١٩١- الكنوز ٢٤: ١٨٢.

هذه الطبيعة لكي يبرهن أنه لبَّس جسداً وصار إنساناً بالحقيقة بحسب الكتب (أنظر يو١ :١٤).

ولا ينسى القديس كيرلس البُعد الآخر، وهو أنه كان يجب عندما صار إنساناً أن يظهر أيضاً أنه إله، فصنع أفعالاً تليق به كإله، وقال لأولئك الذين يرونه "إن لم تؤمنوا بي" لأنهم رأوه كإنسان، عندئذٍ "فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه" (يو١٠ :٣٨)[١٩٢].

هكذا تلك الأقوال التي قيلت وصارت بطريقة تتناسب معه بكونه إله تُظهِر المخلص أنه الله، بينما تلك التي قيلت وصارت بطريقة إنسانية، تُظهر أنه هو إنسان بالحقيقة.

يقول أيضاً القديس كيرلس، لقد أبطل المخلص الموت بموته (أنظر ٢تيمو١ :١٠). إذن - بحسب القديس كيرلس - "مثلما كان الموت لا يُبطل أن لم يَمُت هكذا أن لم يخف مع أي ألم للجسد لما تحررت البشرية من الخوف"[١٩٣]. هذه الحقيقة تسري على كل أوجاع الجسد التي إجتازها المخلص: "سنجد في المسيح أن أوجاع الجسد تُعلَّن ليس لكي تصير مسيطرة عليه، مثلما يحدث معنا، بل تُعلَّن بقوة **الكلمة** الذي يسكن في داخل الجسد، وهكذا تتغير الطبيعة البشرية نحو الأفضل"[١٩٤].

أراد القديس كيرلس أن يوضح للهراطقة أن كل ما إختاره المسيح بشرياً هو لأجلنا ولأجل خلاصنا، وبناء على ذلك فإننا لا نخجل من الأقوال التي قيلت عليه بكونه إنسان. لذا يدعونا القديس كيرلس بأن نفتخر، بصليب مخلصنا المسيح ونؤمن بأنه لأجل هذا قد خلصَّنا، لأنه صار لأجلنا إنساناً وصُلِب لأجلنا، لكي يُبطل الموت الذي يسري لأجلنا، ولكي يقيمنا أيضاً بذاته محمولاً إياناً من حالة الفساد إلي عدم الفساد"[١٩٥]. هكذا

١٩٢- أنظر الكنوز٢٤ :١٨٢.

١٩٣- الكنوز٢٤ :١٨٤.

١٩٤- الكنوز٢٤ :١٨٤.

١٩٥- الكنوز ٢٤ :١٨٤.

بكونه إنسان، قال " إلهي إلهي لماذا تركتني" (مت٢٧ :٤٦)، "فلتعبر عني هذا الكأس" (مت٢٦ :٣٩)، بينما بأعماله برهَّن أنه هو الله لأن الشمس أخفت شعاعها ولفَّ الظلام السماء، وإنشقت الصخور وحجاب الهيكل وصنع أموراً أخرى عظيمة مثل هذه لكي يبرهن أنه هو الله الذي صار إنساناً. والبرهان على ذلك - كما يؤكد القديس كيرلس - أن صالبيه الذين كانوا يستهزؤن به من قبل، وهم يرون كل ما صار بطريقة إلهية، قالوا: "حقاً كان هذا هو ابن الله" (مت٢٦ :٢٤).

ثم بعد كل هذه البراهين يضع أمامه برهان آخر، في غاية من الأهمية، إذ يقول لهم، في العهد القديم يقول الله بواسطة الأنبياء بخصوص أورشليم "سببت لي حزناً بكل ما فعلت" (أر١٦ :٣٤س)، وأيضاً "أفما أعاقبهم على هذه يقول الرب أم لا تنتقم نفسي من أمه كهذه" (أر٩ :٩). وغيرها من الشواهد التي تُظهِر تصرفات الله تجاههم بطريقة بشرية. فيسائلهم القديس كيرلس: "إن **كلمة** الله كان ذاك الذي قال هذه الأقوال للأنبياء، ماذا سيصنع محاربي المسيح؟ هل سوف يصنعون له نفس وقلب، ويقولون إن ألم الحزن والغضب مستحوذ عليه، حتى لا يظهر أن لديه شئ أكثر من الإنسان، **كلمة** الله الذي هو فوق أي طبيعة مخلوقة مثل الآب؟" (الكنوز٢٤ :١٨٥). طبعاً سيقولون أن هذه الأقوال قيلت على **الكلمة** بطريقة رمزية. وهنا يقول لهم القديس كيرلس: "أذن بما أنه بالنسبة لإبن الله، عندما يقول هذه الأقوال قبل تأنسه تحفظون مكانته التي تليق به مؤكدين على أنه فوق الحزن والغضب وأي هوى، بالرغم من أنه تصنَّع بأنه إحتمل كل هذا لأجل شئ مفيد، إذن كيف لا يكون غير معقول، عندما صار إنساناً ونزل إلي الجسد الذي إحتمل كل هذا، أن لا نسمح له عندما يقول هذه الأقوال لكي يظل غير متألم، طالما هذه الأمور يملكها الجسد من طبيعته، ذلك الجسد الذي أخذه لأجلنا مع كل صفاته الطبيعية؟ وملامح الطبيعة الإنسانية هي أن يبكي ويضطرب ويصارع ويتجنب الموت ويتألم بكل ما هو شبيه بهذه الأمور"[(١٩٦)].

١٩٦- الكنوز٢٤ :١٨٥ـــ١٨٦.

٥- نص سفر أعمال الرسل ٢: ٣٦

يستخدم الأريوسيون نص سفر أعمال الرسل: "فليعلم جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً" (أع٢:٦٣) لكي يدعموا رأيهم الخاطئ عن الإبن. التفسير الصحيح للقديس كيرلس، هو أن فعل : جعل «έποίησε» لا تخص جوهر **الكلمة** الأقنوم الثاني للثالوث قبل تأنسه بل تخص ناسوته وبحسب تعبير القديس كيرلس، تخص "الهيكل الذي صار من مريم"[١٩٧]. ويعطي لنا القديس كيرلس مثالاً توضيحياً:

"شخص كان قديماً فقيراً ثم صار مالك لأموال، أو شخص من البداية لم يكن نبي ثم مُسح من إله ليكون نبياً. في هذه الأمثلة كلمة "صار" لا تعني البداية لكن الدلاله هنا هي أنه إنتقال من حالة إلي أخرى"[١٩٨].

هكذا نري هنا طريقة إنتقال حالة ذات خاصية كيانية إلي حالة أخرى في شخص واحد. لذا يتسائل القديس كيرلس، كيف أن الله جعل يسوع رباً ومسيحاً؟ يجيب هو نفسه شارحاً لنا حركة الإخلاء، **فالكلمة** بينما هو إله ورب أخلي ذاته بتأنسه إذ أخذ شكل العبد ومُسح لأن هذا الأمر يتناسب مع الإنسان، وصعد إلي سلطة الربوبية كإنسان.

وعند هذا الحد يشرح القديس كيرلس تبادل الخواص في شخص المسيح الواحد، إذ يقول: "لأن **كلمة** الله أتي ليس ليطمس طبيعة الله الحُرة تحت شكل العبد، ولا لأجل أن يترك هذا الذي هو موجود ومحدد في خصائص الطبيعة البشرية، لكن لكي يرفع هذا الذي كان مستعبد إلي مكانة الرب الشرفية ويحضر ثانيةً هذا الذي كان مهاناً إلي كرامته"[١٩٩]. وهنا يقول القديس كيرلس ملاحظته الدقيقة موضحاً أن التلميذ القديس، يقصد بطرس "لم يقل هكذا بلا هدف "أن الله جعل يسوع رباً" بل أضاف

١٩٧- الكنوز ٢١:١٦٧.

١٩٨ - الكنوز ٢١:١٦٧.

١٩٩- الكنوز ٢١:١٦٨.

"يسوع هذا الذي صلبتموه" (أع٢ :٣٦). بالتالي لم يقل أنه جعل لذاته **الكلمة** والإبن، بل جعله رباً ومسيحاً ، الأمر الذي لا يعني بداية وجودة بل إنتقاله من أمر إلي أمر آخر"[(٢٠٠)].

٦- نص كو١:١٥ "بكر كل الخليقة" :

لقد دعم الأريوسيون رأيهم الخاطئ عن الابن بـأنه مخلوق باستخدام هذا النص، لأنه لولا أنه مخلوق لما قِيل عنه "بكر كل الخليقة". هكذا هذا التحديد يجعل الابن - بحسب الأريوسيين - أنه مخلوق بالرغم من أنه الأول وقبل كل المخلوقات. ولكي يرد القديس كيرلس على إدعائهم الكاذب يواجههم بمصطلح آخر هو "وحيد الجنس"، إذ يقول لهم: "لو أن اسم بكر يضع الابن من ضمن المخلوقات، إذن سوف نستثنيه، على أي حال، من تسميته وحيد الجنس. لأنه، مثلما لا يمكن المرء أن يُسمَّي بكر إن لم يكن له أخوة كثيرين، هكذا لا يمكن أن يكون شخص وحيد الجنس إن لم يكن وحيد بدون أن يُحسب مع آخرين"[(٢٠١)].

ويتسائل القديس كيرلس : كيف إذن يكون بكر ووحيد الجنس؟

الإجابة واضحة جداً من جانب القديس كيرلس: "وحيد الجنس إذن يكون لأنه هو **الكلمة** الآتي من الآب وليس لديه إخوة بحسب الطبيعية، ولا يُحسب مع أي آخر. لأن ابن الله هو واحد وفريد. أيضاً بكر ليس هكذا ببساطة وبدون آخرين لهم علاقة به، لكن مع أخوة كثرين كما هو مكتوب (أنظر رو٨:٢٩). لكن متى صار أخ لنا، إن لم يكن وقت أن لبَّس جسدنا؟ هكذا إذن صار بكراً عندما أتي بأبناء كثيرين لله بحسب النعمة"[(٢٠٢)]. هكذا لقد دُعيَّ بكر كل الخليقة بسبب تنازله تجاه المخلوقات وتشبه بنا. ويذكرنا القديس كيرلس بمبدأ كتابي قد

---

٢٠٠ - الكنوز ٢١:١٦٨.

٢٠١- الكنوز ٢٥:١٨٧.

٢٠٢- الكنوز ٢٥:١٨٧.

سبق وأخبرنا عنه وهو أن الكتاب المقدس حين يذكر أي شئ بخصوص **الكلمة** في علاقته مع الآب لا يضيف أي سبب، على النقيض الأمور الخاصة بتأنسه يذكر السبب. هكذا يقول القديس كيرلس "عندما دُعيَّ وحيد الجنس، دُعيَّ بدون أن يلتصق به أي علةِ بمقتضاها هو وحيد الجنس، لكن هو حُر من أي قيد، إله وحيد الجنس الذي هو كائن في حضن الآب. لكن عندما تدعوه الكتب المقدسة بكر للتو تضيف مَنْ هو البكر، وكذلك السبب الذي لأجله دُعيَّ بهذا الإسم. لأن الكتب المقدسة تقول "بكر بين أخوة كثيرين" (رو٨:٢٩)، "بكر من بين الأموات" (كو١:١٨)[٢٠٣].

ويشير القديس كيرلس إلي ملحوظة هامة، بأن الابن عندما صار إنساناً لم يصر أدني من كل ما يخص المكانة التي تتمشي مع الطبيعة الإلهية بل أيضاً كإنسان فهو الأول ويسبق كل الخليقة، طالما هو خالقها وهو الرب. ويستشهد بقول يوحنا الإنجيلي "ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب" (يو١:١٤)[٢٠٤].

أيضاً يواجه القديس كيرلس الهراطقة بنتائج عبثية من جراء رأيهم الهرطوقي، فلو أن الابن بسبب أنه دُعيَّ "بكر كل الخليقة" يُوضع من ضمن الخليقة، ففي هذه الحالة هو داخل الخليقة. وبذلك سيكون بكراً أيضاً لذاته، طالما هو بكر كل الخليقة. إذن هو الأول والثاني لذاته.

والخلاصة ـ عند القديس كيرلس ـ أمامنا إحتمالين، **الأول**: لو بسبب أنه بكر كل الخليقة نعتبره أنه يوجد خارج الكل سيكون الأول النسبة للكل. **الثاني**: لو من ضمن الكل عندئذٍ سيكون زمنياً الثاني لذاته. أي الأول بتلك الطريقة والثاني بالنسبة لذاته بهذه الطريقة[٢٠٥]. الأمر الصواب عند القديس كيرلس هو طالما أن بولس الرسول يقول: به صار الكل

٢٠٣- الكنوز٢٥:١٨٧.

٢٠٤- أنظر الكنوز٢٥:١٨٧.

٢٠٥- أنظر الكنوز٢٥:١٨٨.

(أنظر ١كو١ :١٦) فهو آخر بالنسبة للكل لأن كلمة "الكل" لا تترك أي مخلوق خارج عنها لم يصر بواسطته.

والنتيجة أن الابن ليس هو مخلوق بل بالحري هو خالق الكل. وتعبير "كل الخليقة" عند القديس كيرلس لها أهمية كبيرة لأنها تُظهِر من جهة أن الابن ليس من ضمن كل الخليقة، ومن جهة أخري إنه مختلف جوهرياً عن كل الخليقة ويستشهد بقول الكتاب عن رأوبين، أنه بكر يعقوب وأخوته ولم يقل بكر "كل أولاد يعقوب وأخوته" حتى لا يظن أحد أن يعقوب يختلف جوهرياً عن إخوته.

أيضاً نتيجة عبثية أخرى يقدمها للهراطقة من جراء رأيهم الخاطئ، إذ يقول، لو إفتراضنا كما تقولون أنه من ضمن المخلوقات، وأيضاً قيل عنه أن الكل صار بواسطته (أنظر يو١ :٢)، عندئذٍ هو خالق ذاته. ويتسائل مستنكراً: كيف يمكن أن يكون واحداً من ضمن كل المخلوقات، الذي أعطي الوجود للكل؟[٢٠٦].

يعود القديس كيرلس ليؤكد على أن تعبير "بكر كل خليقة" هو صحيح في إطار التدبير الإلهي وتجسد **الكلمة** فهو "يُدعي بكر لأخوة كثيرين طالما صار شبيه بنا في كل شئ ماعدا الخطية، وطالما لبَّس جسدنا وصار أخ لنا. أيضاً هو بكر من الأموات لأنه هو الأول الذي أقام جسده في عدم فساد والأول الذي أصعده إلي السموات، لذلك يقول " أنا هو الطريق" (يو١٦ :١) و " أنا هو الباب" (يو١٠ :٩) لأنه بواسطته عُلمِت الطبيعة البشرية أن تسلك في طريق القيامة الجديد، وبواسطته كما مِن باب دخلت إلي السماء"[٢٠٧].

٢٠٦- الكنوز٢٥ :١٨٨.

٢٠٧- الكنوز٢٥ :١٨٨.

٧- نص عب ٣ : ١ - ٢ :

"لاحظوا رسول إعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع حال كونه أميناً للذي أقامه كما كان موسى أيضاً في بيته" (عب١:٣-٢).

إستغل الأريوسيون بعض الألفاظ هنا مثل "كونه أميناً للذي أقامة" لكي يدعموا رأيهم الخاطئ بأن الابن مخلوق. والقديس كيرلس يقدم لهم أولاً **مبدأ هام في التفسير** كان قد سبق وأكد عليه القديس أثناسيوس الرسولي، بأن الألفاظ لا تحدد جوهر الأشياء بل طبيعة الأشياء وجوهرها هي التي تعطي معني للألفاظ والكلمات. فعندما تُستخدم كلمة "عبيد" للأبناء الطبيعيين فإنها لا تؤثر على رتبة أصلهم الطبيعي الشريف. وأيضاً عندما يُقال على الذي وُلدِ أنه خلِق لا يوجد أي ضرر. لذلك عندما نطبق هذا المبدأ على آية عب٣:٢ "حال كونه أميناً للذي أقامة" (أنظر عب ٣:٢). فأصالة وجود الابن لا تتغير. وإن هذا القول يُدرك إدراكاً صحيحاً في إطار تأنسه. هكذا إستخدام الكلمات لا يؤثر على الحقيقة. ويستشهد من الكتاب ما يُدعم هذا الأمر الذي شرحه، إذ يقول: "بئر سبع تُدعي عبد داود، وسليمان يقول: "سليمان عبدك" (أمل١:١٩). ويستخدم كلمة خُلقوا على الذين وُلدوا، لأن حزقيا يقول: "من اليوم سأخلق أولاد" (أش٣٨:١٩س). وعن أيوب: "وصار له سبعة أبناء وثلاث بنات" (أيوب ١:٢س). ويتسائل القديس كيرلس : لو قبلنا في حالة البشر هذا الذي يُقال بدون أن نلاحظ دقة الكلمات بل طبيعة الأشياء، كيف لا ينبغي بالضرورة أن نطبق نفس الطريقة على الولادة الإلهية؟[٢٠٨].

يعود أيضاً القديس كيرلس ليفسر تفسيراً صحيحاً الآية في إطار التأنس، إذ يقول،

متى صار هو رئيس كهنة إيماناً؟

متى صار رسولاً؟

ومتى ظل أميناً لذاك الذي أقامه (جبله)؟

٢٠٨- أنظر الكنوز ٢١:١٦٦.

ويجيب القديس كيرلس بكل ثقة ووضوح، قائلاً: "بسببنا ولأجلنا صار إنساناً ووفق قول يوحنا "الكلمة صار جسداً (إنساناً)" (يو١:٤)، عندئذ، كإنسان صار أميناً لذاك الذي أقامه مكملاً عمله (أنظر يو١٧:٤)، حينذاك صار رسولاً وأُرسل لأجلنا وبسببنا صار رئيس كهنة، ناقلاً إعتراف إيماننا إلي الآب، مقدماً جسده نفسه كأنه ذبيحة بلا لوم، لكي يظهر بواسطته كلنا"[٢٠٩].

ويفسر أيضاً القديس كيرلس كلمة "أميناً" في إطار التأنس، فهو أميناً لأنه قدم نفسه لأجل الجمع ذبيحة دائمة بدون أن تتغير : "فإن كُنا غير أمناء فهو يبقي أميناً لن يقدر أن يُنكر نفسه" (٢تيمو٢:١١٣). إنه - إذن - المسيح أميناً، لأنه عندما صار إنساناً ظل هو نفسه أمس واليوم وإلي الأبد (عب١٣:٨)"[٢١٠].

٨- **(نص متى ٢٤:٣٦)**[٢١١]:

"وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم أحد ولا ملائكة السموات إلا أبي وحده".

إن الهراطقة محاربي المسيح كما يصفهم القديس كيرلس، يتسائلون عن تماثل الابن مع الآب بحسب الجوهر بأنه مستحيل لأنه هو نفسه يقول أنه لا يعرف يوم نهاية الأزمنة بالرغم من أن الآب يعرف هذا اليوم[٢١٢]. يجيب القديس كيرلس بأن الابن بكونه إله يعرف اليوم والساعة طالما كان يعرف كل ما هو قبل ذلك اليوم سارداً بوضوح كل ما يمكن أن يحدث قبل هذا اليوم وتلك الساعة لأنه بعدما وصف ما سيحدث، قال "ثم يأتي المنتهي" (مت٢٤:١٤). أما عن قوله أنه لا يعرف فهو يتناسب - كما يؤكد القديس كيرلس - مع الطبيعة البشرية بكونه إنسان لأن ملمح

٢٠٩- الكنوز٢١:١٦٧.

٢١٠- أنظر الكنوز٢١:١٦٧.

٢١١- أنظر القديس أثناسيوس, ضد الأريوسيين ٣:٤٢.

٢١٢- أنظر الكنوز٢٢:١٧٠.

الطبيعة البشرية هو عدم معرفة الأمور التي سوف تحدث[٢١٣].

الأمر الهام الذي يجعلنا نفسر أقوال الرب تفسيراً صحيحاً ـ كما يؤكد القديس كيرلس ـ هو أن نفحص في هذه الأقوال عن الزمن الذي قيلت فيه هذه الأقوال من جانب المخلص فالقول الذي يقوله قبل تأنسه هو خاص بإلوهيته أما القول المتواضع الذي قاله بعد تأنسه فإنه يتعلق بطبيعته البشرية. والشرط الوحيد لقبول هذا الأمر هو قبولنا لسر التدبير الإلهي أي أن الكلمة صار جسداً: "إن لم يصر إنساناً فليتحدث دائماً بكونه إله، لكن حين صار إنساناً، فليُسمح له كإنسان أن يتكلم كأنسان بدون أن تقلل كل خطة تدبير الله لأجلنا ،ألوهيته"[٢١٤].

ويذكر لهم القديس كيرلس قول المخلص لأبيه " أيها الآب قد أتت الساعة مَجّد إبنك" (يو١٧:١) ويعلق قائلاً: "طالما يعرف بالضبط الساعة التي يقول أنها أتت، ما الذي يعيقه عن معرفة تلك الساعة التي كان كإنسان يقول أنه يجهلها مثلما يليق للطبيعة البشرية، لكنه يعرفها على أي حال بكونه إله؟"[٢١٥]. هكذا لأن كلمة الله يحب البشر لم يتردد في أن يضع ذاته في تواضع كبير، لدرجة أنه ـ كما يقول القديس كيرلس ـ أخذ على عاتقه كل ما يخصنا وواحدة من هذه التي تخصنا هو الجهل[٢١٦].

أيضاً ما أراد أن نلتفت إليه - القديس كيرلس - في كلام المخلص، هو أنه لم يذكر أبداً الروح بل "لا يعلم بهما أحد ولا الملائكة... ولا الإبن" ولم يضف ولا الله. مِن هنا ، الملائكة يجهلون كمخلوقات معرفة اليوم والساعة ولكي لا يبدو - كما قال القديس كيرلس - أنه يخفي يوم المجئ عن أولئك التلاميذ، ويحزنهم بسبب هذا الأمر، قال أيضاً "ولا

٢١٣- أنظر الكنوز٢٢:١٧٠.

٢١٤- الكنوز٢٢:١٧٠.

٢١٥- الكنوز٢٢:١٧٠.

٢١٦- أنظر الكنوز٢٢:١٧١.

الإبن" متحدثاً بذلك بطريقة إنسانية عن ذاته بكونه إنسان. والسبب الذي من أجله أنه لم يقل الروح: أولاً: هو ذاته بكونه إله يعرف كل شئ.

ثانياً: يفحص كل شيء حتى أعماق الله (اكو٢:١٠). من الواضح أنه الله ويعرف كل شئ ويستطيع أن يفحص كل شيء ويأخذ معرفته من الابن لأنه يقول "ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يو١٦:١٤). والنتيجة يصنعها في سؤال المواجهة مع الهراطقة، قائلاً: "إذن، كيف يجهل **الكلمة** الساعة، الكلمة الذي يمنح المعرفة للروح الذي يعرف كل شئ؟"[٢١٧].

يؤكد القديس كيرلس على أن الابن تدبيرياً أي بتأنسه إكتسب ضعفات الجسد الذي لبسَّه والبرهان على هذا الأمر - بحسب القديس كيرلس - هو من نص (أع١:٧) حين سأله التلاميذ عن متى ستجئ النهاية؟، أجاب: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه". واضح أنه لا يجهل هذا الأمر، لأنه لم يقل: "لقد قلت لكم لا أعرف". إذن وقتذاك كان يعرف كل شئ بكونه إله، ولأن هذه المعرفة هي أعظم من معرفة التلاميذ قال "ولا الإبن" متحدثاً بطريقة بشرية أنه لا يعرف اليوم ولا تلك الساعة[٢١٨]. هكذا الابن يعرف اليوم والساعة بكونه إله حتى لو قال أنه يجهلها لأنه صار إنساناً وتدبر كإنسان. والدليل على ذلك - بحسب القديس كيرلس - أن الآب يفعل كل شئ بواسطة الإبن، لأنه كما هو مكتوب "كل شئ به كان" وواحد من هذه الأشياء هو تحديد اليوم والساعة التي فيها تكون نهاية العالم، إذن هذا الأمر حُدد بواسطة الإبن. وسؤال المواجهة هو كيف إذن يمكن أن يجهل الابن الأمر الذي حُددَ بواسطته؟[٢١٩].

أيضاً هناك إجابة منطقية ذكرها القديس كيرلس للهراطقة، الابن

٢١٧- الكنوز٢٢:١٧١.

٢١٨- أنظر الكنوز١٧٣ــ٢٢ــ١٧٤.

٢١٩- أنظر الكنوز٢٢:١٧١.

يعرف الآب كما قال هو نفسه، فإن قُلتم أنه يجهل اليوم وتلك الساعة فأنكم تعتبرون أن معرفة نهاية العالم هي أعظم من معرفة الآب وحينئذٍ تقعون تحت عقاب التجديف. لكن بما أن معرفة الآب هي أعظم من أي معرفة، فكيف للذي يعرف المعرفة الأعظم يجهل الأدنى؟ وهكذا يختم القديس كيرلس كعادته بسؤال المواجهة[٢٢٠].

أيضاً طالما بولس الرسول يقول عن الابن أن الكل هو عريان ومكشوف أمامه (أنظر عب٤:١٣)، وأحد هذه الأمور المكشوفة أمامه هو معرفة اليوم وتلك الساعة، فكيف يجهلها هذا الذي بالنسبة له الكل مكشوف أمام عينيه؟"[٢٢١].

٩- نص لو١٠: ٢٢، يو ٣ : ٣٥:

"كل شئ قد دُفع إليَّ من أبي" (لو١٠:٢٢)،

"الآب يُحِب الابن وقد دفع كل شئ في يده" (يو٣:٣٥)

إستند الأريوسيون على مثل هذه النصوص لكي يؤكدوا إعتقادهم بأن الابن ليس هو شبيه بالآب بحسب الجوهر، طالما يقبل منه ما ليس لديه بحسب الجوهر: "كيف يمكن أن يكون الابن مشابه للآب، إذ يقول إن كل شئ أخذه من الآب؟ لأنه، إن كان لديه كل شئ لماذا قال أنه أخذها. وطالما أنه أخذها، كما يقول هو نفسه، فمن الواضح أنه لم يكن لديه شيئاً من ذاته"[٢٢٢].

وكان رد القديس كيرلس، أن الابن لديه بحسب الطبيعة ما للآب فيما عدا الأبوة، طالما هو **كلمته** وشعاعه. وسبب قوله: "أن كل شئ أخذه من الآب" هو تفنيد رأي الهراطقة إذ كان يعرف بكونه إله ضلال سابليوس بأن الله أقنوم واحد. إذن حرصاً منه لئلا يظن أحد وهو ينظر

٢٢٠- أنظر الكنوز٢٢:١٧٢.

٢٢١- الكنوز٢٢:١٧٥.

٢٢٢- الكنوز٢٣:١٧٦.

إلي الابن ولديه كل ما للآب أن الله هو أقنوم واحد من جراء التشابه الكبير والتطابق بينهما، قال هذا القول ليعلن أن الحديث هنا عن أثنين واحد يعطي والآخر يأخذ: "وذلك لكي يبرهن لهم أنه يوجد أثنان لا يتميزا فقط من جهة الإسم بل وأيضاً من جهة الأقانيم الخاصة بكل واحد على حده. بينما **الكلمة**، حقاً هو واحد مع الآب وأتى من نفس جوهره، ولديه أزلياً ما لدىالآب، إلا أنه يقول أنه أخذ كل شيء منه بسبب أنه أتى منه، في حين أن لديه بحسب الطبيعة كل ما لدى الآب"[٢٢٣].

أما بخصوص نص (لو١٠:٢٢) "كل شئ قد دُفع إليَّ من أبي" هذا القول لا يُنقِص منألوهية الابن بل بالحري. كما يؤكد القديس كيرلس . يبرهن بوضوح أنه الابن بحسب الطبيعة. لأن بقوله "كل شيء" يعني أنه لم يترك شيئاً لم يأخذه، بالتالي الولادة من الآب هي أحد الأشياء التي هي من "كل شئ" التي أخذها. هكذا الابن لديه بحسب الطبيعة كل الصفات الخاصة لذاك الذي ولدَّه[٢٢٤].

ويفترض القديس كيرلس رأي الهراطقة أنه صحيح لكي يستخرج نتائج عبثية لا يقبلها أحد. فيقول، لو إفتراضنا "أن الابن أخذ كل شئ بدون أن يملك شيئاً خاص به، طالما أن الآب أعطاه كل شيء، إذن الآب ليس لديه شيئاً لأجل ذاته. لكن هذا هو عبث وسُخف، لأنه كيف من الممكن أن يتعرى الآب من هذه الأشياء التي يملكها بحسب الطبيعة؟ بل هو يملكها حتى لو قد أعطاها للإبن"[٢٢٥].

هكذا حين قال الابن أنه أخذ، لا يعني أن هناك لحظة زمنية كان فيها محروماً من هذا الذي أخذه، ما أخذه أخذه من جهة بشريته لكن هو لديه بحسب الطبيعة مثل الآب أيضاً[٢٢٦].

٢٢٣- الكنوز٢٣:١٧٦.

٢٢٤- أنظر الكنوز٢٣:١٧٦ـ١٧٧.

٢٢٥- الكنوز٢٣:١٨٠.

٢٢٦- أنظر الكنوز ٢٣:١٨٠.

١٠- نص لو ١٨ :١٩:

" لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحد صالح إلا واحد وهو الله"

إن مشكلة الهراطقة يلخصها بكل وضوح القديس كيرلس، فهم حين يبحثون في علاقة الابن بحسب الطبيعة مع أبيه يستخدمون الأقوال التي قيلت بشرياً والتي قالها الرب حين أخذ جسدنا. ينبغي عليهم أن لا يصفوا الجوهر غير الجسدي بالأقوال التي قالها الرب بحسب التدبير بكونه إنسان. هذا التدبير الذي يتحدث عنه دائماً القديس كيرلس هو تدبير التجسد أي أن **الكلمة** المساوي للآب في الجوهر تنازل وأخذ الطبيعة البشرية وصار إنساناً لكي يتحدث بكونه إنسان بسبب تجسده وفي نفس الوقت، يتحدث أيضاً بكونه إله عن الأمور التي تفوق الطبيعة البشرية لأنه هو الله بحسب الطبيعة ويتحدث عندما يفرض عليه الظرف هذه الضرورة. والخطأ كل الخطأ الذي وقع فيه الأريوسيون هو أخذ الأقوال التي قيلت بكونه صار إنساناً على أنها تخص ألوهيته أو ينقل الأقوال الخاصة بكونه إله إلي الفترة التي صار فيها إنساناً مثل: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو٨ :٥٨) وأيضاً: "قد نزلت من السماء" (يو٦ :٣٨).

هكذا مَنْ ينسب الأقوال التي قيلت عنه بكونه إنساناً إلي إلوهيته يكون قد إرتكب خطأ كبيراً. ويتسائل القديس كيرلس: "ماذا سوف يفعل عندما يقول المسيح "نفسي حزينة حتى الموت"؟ هل سوف يقول - إذن - حزناً وإضطراباً نشأ في طبيعة الله وسيطر عليه خوف الموت؟"[٢٢٧]. هكذا عندما يقول بكونه إنسان أنه ليس صالحاً، نثق أن هذا القول يُنسب إلي التدبير الجسدي ولا يلتصق بجوهر الله الإبن.

أراد الهراطقة أن يقولوا، بما أن الله فقط هو صالح، إذن الابن ليس هو من نفس جوهر الآب. والرد الذي قاله القديس كيرلس هو شرح السياق الذي قال فيه الرب هذا القول. فالناموسي إقترب من الرب وهو

227- الكنوز10:53.

يراه كإنسان عادي وتظاهر بأنه جاهل والقديس كيرلس يقول حسناً أظهر نفسه جاهلاً لأنه كان بالفعل هكذا، ولأجل هذا أخجلة الرب بأن قال له: ليس صالح إلا الله. وكأنه أراد أن يقول له كما قال القديس كيرلس: "فإذا كنت تعرف أنني الله ولأجل هذا فأنا صالح، عندئذٍ لأي سبب تقترب إليَّ كمجرد إنسان؟ وإذا كنت لا تؤمن بأنني إله، بل تظنني أنني مجرد إنسان، عندئذٍ لماذا تنسب لإنسان خاصية تتناسب فقط مع الله؟"[٢٢٨].

هكذا كانت رؤية الرب للناموسي، لقد رأي الناموسي غير مستعد وغير مهيئ للرغبة في الصالحات، لدرجة أنه لم يقدر أن يرفع ثقل وصية واحدة إنجيلية ولم يحتمل الأقوال التي قيلت إليه، إذ مضي حزيناً. إذن كان من غير الممكن أن يتعلم هذا الناموسي السر الأعظم بأن الابن هو مساوٍ للآب في الجوهر بكونه إله. لأجل هذا سؤال المسيح: لماذا تدعوني صالحاً؟ يمثل إمتحان لجهل الناموسي وليس له ثقل لاهوتي.

١١- نص يو١ :١٨:

"الله لم يراه أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر".

يستند الهراطقة على هذا النص ليدعموا رأيهم الخاطئ بأن الابن ليس شبيه بالآب بحسب الجوهر، طالما هو أدنى منه بدليل أنه "هو خبر" (يو١ :١٨). استخلص الهراطقة حقيقتين بحسب زعمهم:

١. الابن يدعو الآب بأنه غير مرئي من الجميع.

٢. ومن ضمن الجميع هو ذاته.

إذن كيف يمكن أن يكون مشابه للآب من جهة الجوهر وهو أدنى منه؟

يجيب القديس كيرلس عليهم واصفاً إياهم بأنهم يحاربون علناً الحق ومضادين للكتب المقدسة. يري القديس كيرلس في هذا النص الآتي:

٢٢٨- الكنوز ١٠: ٥٤.

١ـ الابن يري الآب لأنه بالقرب منه (في حضن الآب).

٢ـ النفي هنا يسري على الكل ما عدا الإبن.

٣ـ واجههم بالآيات الآتية التي تثبت أن الابن يري الآب، على سبيل المثال:

(يو١٤ :٩): "مَن رآني فقد رأي الآب".

(يو١٠ :١٥): "كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب"

(مت١١ :٢٧): "ليس أحد يعرف الابن إلا الآب. ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومَنْ أراد الابن أن يعلن له".

إذن - عن حق - يتسائل القديس كيرلس، قائلاً: "الذي ليس لديه فقط أن يعرف الآب بل أن يعلنه للآخرين، كيف لا يراه؟"[٢٢٩].

نص (يو٥ :٢٦): "كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته" (يو٥ :٢٦).

مشكلة الهراطقة في هذا النص هو إقرارهم بأن الابن ليس هو شبيه بالآب من جهة الجوهر على أساس أنه متأخر زمنياً عن ذاك الذي قَبِل شيئاً منه. والقديس كيرلس يشرح لهم ما يؤكده مراراً بأن وجود الابن لم يبدأ من اللحظة التي قَبِل فيها شيئاً من الآب وأنه كائن أزلياً قبل أي شيء.

ويلجأ القديس كيرلس كعادته إلي الأمثال ليوضح لهم هذه الحقائق، فيقول لهم، طالما أن الابن مولود من الآب بطريقة طبيعية، إذن يحمل كل ملامح الآب، مثل النور الذي أتى من الشمس يمكن أن يُقال عنه أنه قَبِل شيء من الشمس وهو يوجد على أي حال فيها. هذا لا يعني أن الشمس توجد قبل الشعاع لأن الشعاع أتي منها بدون أن تتجزء أو ينفصل عنها، فهو يحمل نفس مميزاتها بحسب الطبيعة[٢٣٠]. هكذا ليس بسبب أن الابن أخذ شيئاً من الآب هو في المرتبة الثانية بعده زمنياً لأنه هو في الآب وكائن معه

٢٢٩- أنظر الكنوز١٣ :١٠٢.

٢٣٠- أنظر الكنوز١٤ :١٠٤.

أزلياً ولم يستمد وجوده من اللحظة التي قيل فيها أنه أخذ شيئاً من الآب.

ويفترض القديس كيرلس كعادته صحة رأي الهراطقة ويبرهن لهم بعد ذلك النتائج العبثية التي تنتج من تسليمنا بصحة آرائهم، فيقول، لو أن قبول شيء يُظهرِ جوهر ذاك الذي أخذ هذا الشيء؟ ما المانع أن نقول إن الآب بدأ أن يوجد حين قَبِل أنه أخذ مِنا شيئ؟ فالمرنم يقول " أعطوا مجداً لله" (مز٦٨:٣٥). طبعاً هذا تجديف صريح وواضح ولا يقبله أحد[٢٣١].

هكذا الابن كان يوجد وموجود على الدوام إذ يأتي من الآب بطريقة لا بداية لها وأزلية ولديه كل ما لدي الآب بحسب الطبيعة. ينبغي على الهراطقة أن يدركوا جيداً - كما يقول القديس كيرلس - أن الولادة الإلهية وغير الموصوفة أسمى بكثير من أي مثال ذكرناه.

أيضاً يحاول الهراطقة بكافة الطرق أن يبرهنوا على عدم التماثل بين الآب والإبن بحسب الجوهر زاعمين أن مَنْ يأخذ شيء من آخر ليس لديه هذا الشيء. ويجيب القديس كيرلس على هذا الرأي موضحاً أن الآب لديه حياة والإبن أيضاً له حياة في ذاته بحسب شهادته هو شخصياً في الكتاب، إذن هما مِن جوهر واحد.

لقد قال الابن "مَنْ يؤمن بي فله حياة أبدية" (يو٦:٤٧) و"أنا أعطيهم حياة أبدية" ويتسائل القديس كيرلس: لو إفتراضنا أن الابن ليس هو الحياة بحسب الطبيعة، كيف قال هذه الأقوال؟ إذن لو كان ليس هو الحياة ألا ينبغي أن يقول، الذي يؤمن بي سينال مني الحياة التي أعطاها لي الآب. ويستخلص بعد ذلك القديس كيرلس ما يهدف إليه، قائلاً "طالما أتي (الإبن) من الآب، إذن لديه كل ما لدى ذاك بحسب الطبيعة، ومن جهة هذا يُدرك أنه نالها وهو شعاع وصورة ذاك. وواحدة من مميزات الآب هذه هي) الحياة"[٢٣٢].

٢٣١- أنظر الكنوز١٤:١٠٤.

٢٣٢- الكنوز١٤:١٠٥.

أيضاً يذكر لهم قول الابن في (يو٥:٢٦): "كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته" لأنها تبرهن بوضوح التماثل التام الذي بين الابن وأبيه. لأن لديه الحياة بنفس الطريقة التي لدى الآب أيضاً أي بطريقة طبيعية وفي جوهره[٢٣٣].

والهراطقة لا يهدئون وبكافة الطرق يريدون أن يبرهنوا على عدم وجود تماثل تام بين الآب والإبن بحسب الجوهر، إذ يقولون أن الابن ليس هو الحياة بحسب الطبيعة بل بالمشاركة وهنا يواجههم القديس كيرلس بما قاله الابن في (يو٦:٥١): " أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلي الأبد". وتعبير "أنا هو" له دلاله لاهوتية عظيمة عند القديس كيرلس، إذ يفترض صحة رأي الهراطقة لكنه يقول كأن ينبغي عليه أن يقول لو كان رأيكم صحيح: "داخلي يوجد الخبز الذي نزل من السماء، ولو أكل أحد من الخبز الذي يوجد فيَّ، سيحيا إلي الأبد. إلا أنه قال: "أنا هو"، أي يحدد ذاته وليس واحد من الأشياء التي أضيفت عليه فيما بعد. ويستخلص ما أراد أن يبرهنه، قائلاً: "إذن بما أنه هو الخبز الذي يمكن أن يجعل الذين يشاركونه غير مائتين، بالتالي ليس لديه القوة أن يُحيي خارجياً، ولا بالإكتساب لكن حقاً هو ذاته بحسب الطبيعة الحياة، يوعد بأن كل الذين يشاركونه، سوف يحيهم حقاً"[٢٣٤].

يكرر القديس كيرلس مسألة الأخذ هنا هي تسري عليه بسبب أنه صار إنسان ويشبه أولئك الذين من طبيعتهم أن يأخذوا كل شيء من الله. ودائماً يشرح سبب المنح، إذ يقول: أعطاه سلطان أن يدين لأنه هو ابن الإنسان (أنظر يو٥:٢٢). هكذا أيضاً أخذ الحياة بكونه إنسان وليس بكونه إله.

٢٣٣- أنظر الكنوز١٤:٦:١٠٦.

٢٣٤- الكنوز١٤:٥:١٠٥.

١٢- نص يو ١٧ : ٣

"أن يعرفونك أنت الإله الحقيقي وحدك يسوع المسيح الذي أرسلته" (يو٣:١٧).

يقول الأريوسيون إن الابن هنا يعترف بأن الآب هو الإله الحقيقي بالإرتباط بما قيل في (أش٤٤:٦): " أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري". إذن بحسب رأيهم ليس الابن إله بحسب الطبيعة ولا هو من نفس جوهر الآب(٢٣٥).

ويجيب القديس كيرلس على هذا الرأي الخاطئ مؤكداً على أن ما جاء في أشعياء ليس ضد ألوهية **الكلمة** المتأنس بل لتأكيد أن الله الحقيقي هو واحد وليس كما يؤمن الوثنيين بآلهة كاذبة. وغير صحيح يظن الهراطقة أن هناك عِراك بين الله الحقيقي الآب الأول وآخر ثاني هو الابن مما يتبعه أن الابن له مكانة أدنى كيانياً عن الآب بل الابن يظهر دائماً وهو ينسب المجد إلي الآب(٢٣٦). والإضافة التي أضافها مباشرة حين قال "يسوع المسيح الذي أرسلته" تدل - بحسب القديس كيرلس - على أنه غير مجزئ عن جوهر الآب فيما يخص الألوهية ويُدرَّك دائماً مع الآب. هكذا لم يقل إنه الإله الحقيقي لكي يلغي **كلمته** الذي بواسطته يفعل كل شيء. بالتالي آية أشعياء (٤٤:٦) كما يؤكد القديس كيرلس هي ضد الآلهة الكاذبة.

وضع القديس كيرلس أمام الهراطقة مبدأ تفسيري هام، هو عندما يقال عن الآب الإله الوحيد فإنه يتضمن الابن على أي حال ويستشهد بآيات الكتاب المقدس: " أنا الرب صانع كل شئ ناشر السموات وحدي" (إش٤٤:٢٤)، والله نفسه يقول " أنا الذي نشرت السموات وحدي"(أر١٠:١٢س)، وفي موضع آخر يقول بوضوح عن الابن "بكلمة الله صُنعت السموات" (مز٣٣:٦). ويستخلص القديس كيرلس ما يريده، قائلاً: "بينما الله الآب يقول أنه خلق السماء وحده نري أن الابن قد خلق

٢٣٥- أنظر الكنوز٢٧:١٩٦.

٢٣٦- أنظر الكنوز٢٧:١٩٦.

السماء، إذن من الواضح أنه عندما يُقال أن الآب هو الإله الحقيقي وحده يتضمن معه ـ على أي حال ـ الابن الذي بواسطته خلق الآب كل شئ، ويوجد حقاً فيه بطريقة طبيعية مثلما يوجد الشعاع في النور"[٢٣٧].

١٣- نص يو ١٧: ٥

"مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم"

يأخذ الأريوسيون أيضاً هذا النص كبرهان على أنه لا يوجد تماثل طبيعي بين الآب والإبن طالما يبدو هنا أنه يطلب شيئاً ليس لديه ومن وجهة نظرهم لو أن الابن يطلب من الآب ما هو لديه بالفعل إذن طلبه هذا ليس له أي معنى، أما إذا كان يطلب ما ليس لديه، إذن فهو أدنى من الآب ولا يوجد أي تماثل بحسب الطبيعة بينه وبين الآب فالآب هو مانح المجد ولا يمكن للإبن أن يكون واحد مع الآب في الجوهر[٢٣٨].

يجيب القديس كيرلس على هذا الرأي الخاطيء، متسائلاً: "كيف كان من الممكن أن يكون رب المجد (أنظر ١كو٢ :٨) في إحتياج للمجد؟ ويوضح لهم كيف أن ابن الله هو كامل وليس ناقص في شيء، وعبث جداً أن تفكروا بأنه يفرح بالأمجاد مثل الإنسان. ويعلن لهم بوضوح أن الأمر فيه مفهوم عميق للتدبير[٢٣٩]. المفهوم العميق للتدبير - كما شرحه القديس كيرلس - هو أن الابن طلب مجداً ليس لذاته لأنه لم يكن في إحتياج للمجد، طالما هو بحسب الطبيعة الله، لكن جذب بواسطة ذاته مجد الآب للجنس البشري. ويعلن لهم المبدأ اللاهوتي الأساسي، وهو: "كل الصالحات حصلنا عليها به وبواسطته"[٢٤٠].

٢٣٧- الكنوز٢٧ :١٩٧.

٢٣٨- أنظر الكنوز٣٠ :٢٠٥.

٢٣٩- أنظر الكنوز٣٠ :٢٠٥.

٢٤٠- الكنوز٣٠ :٢٠٥.

مشكلة الأريوسين وغيرهم من الهراطقة، أن آرائهم تصطدم أولاً بما جاء في الكتب المقدسة وتتناقض معها لهذا يرد عليهم القديس كيرلس موضحاً خطورة ما يقولونه وأنهم ضد تعليم الكتاب المقدس ذاته. وفي هذه الحالة، يفترض القديس كيرلس أن الابن لديه إحتياج للمجد، وبالتالي الإستنتاج الطبيعي هو أن الابن يختلف جوهرياً عن الآب لأن الذي في إحتياج لشئ ليس هو كامل. ولكن في (يو١٠:٣٠): يقول المخلص "أنا والآب واحد"، إذن هو كامل أيضاً مثل الآب، من جهة أنهما واحد في الجوهر. بالتالي يجب أن يعترف الهراطقة بأن الابن لديه مجد كامل مثل أيضاً ذاك الذي ولدَّه[٢٤١].

إن شهادة المسيح ذاته: "مَنْ رآني فقد رأي الآب" (يو١٤:٩) تؤكد كمال **كلمة** الله المتأنس إذ التطابق الصادق والأصيل بين رؤية الابن والآب يُؤسس على التعليم الخاص بأن الإبن واحد مع الآب في الجوهر. وهذا الأمر يستلزم أن الإبن لديه الكمال الخاص بالمجد مثل الآب[٢٤٢].

أيضاً يلجأ القديس كيرلس **للمنطق** أحياناً لكي يرد على الهراطقة ويفترض أن الابن طلب من الآب المجد لذاته عن إحتياج، والآب وعده أن يمجده، عندئذٍ لأي سبب بعد هذا الطلب - كما يقول القديس كيرلس - تتابعت عليه اللطمات من اليهود وإكليل الشوك والتفل عليه؟ هنا لا يبدو أن الآب يمجده بل تماماً على النقيض ومِن هنا نستنتج أنه لم يطلب لذاته بل للجنس البشري[٢٤٣].

أيضاً يلجأ القديس كيرلس إلي مفهوم المصطلح اللغوي ليدعم رأيه وتفسيره للآية موضحاً أن تعبير "مجدني أنت أيها الآب" تعني كما عند الفلاسفة عرَّفني أي مرادف مجدني هو إظهرني أو عرفني، أي ضع في البشر هذه المعرفة التي بها يستطيعون أن يتقبلوني سامعين أنني أُوجد

٢٤١- أنظر الكنوز٣٠:٢٠٦.

٢٤٢- الكنوز٣٠:٢٠٦.

٢٤٣- أنظر الكنوز٣٠:٢٠٥.

أيضاً قبل أن يُخلق العالم، أي أنا الإله الحقيقي بحسب الطبيعة، "النور الذي أتى مِن النور، الحق الذي أتى من الآب الحقيقي"[٢٤٤].

١٤. نص يو١٧: ٢١

"كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحد فينا"

يستشهد الهراطقة بهذا النص لكي يبرهنوا على أن طريقة إتحاد الآب بالإبن ليصيرا واحداً هي نفسها التي بها يصير البشر واحداً مع الله وبالتالي الابن لا يختلف في شيء عن البشر في علاقته مع الآب وبناء على ذلك ليس هو من نفس جوهر الآب. والقديس كيرلس يجيب عليهم بإتباعه منهج إفتراض صحة رأيهم ثم يستخرج النتائج التي تسفر من صحة هذا الرأي ويواجههم بها فنحن لو إفتراضنا أنه لا يوجد إختلاف بين **الكلمة** ونحن البشر، وبما أنه هو خالق إذن لماذا ليس لدينا هذا اللقب؟ أيضاً بما أننا ـ بحسب رأي الهراطقة ـ مثل **الكلمة** بحسب الطبيعة، هل لدينا نفس مكانته بالقرب من الله وكل واحد منا يُدعَّي أيضاً وحيد الجنس و**كلمة** وحكمة الآب. ونقول هذا لأن خواص الطبيعة هي واحدة، طالما لنا نفس الطبيعة.

ويصل القديس كيرلس إلي الإستنتاج الصحيح الذي يؤكد أن هذا الكلام غير معقول بالمرة وأن حكمة و**كلمة** وشعاع الآب هو فقط الإبن، وأنه ليس مثلنا بحسب الطبيعة بل هو مولود من الآب قبل الدهور وبهذه الطريقة هو واحد مع أبيه وليس مثلنا نحن الذين كسبنا الوحدة بعلاقتنا به وفق المشاركة والشركة مثل الحديد الذي يسخن حين يتحد بالنار[٢٤٥].

٢٤٤- الكنوز ٣٠:٦:٢٠٦.

٢٤٥- أنظر الكنوز ١٢:٨٨.

١٥. نص ١تيمو٦:١٦:

يقول بولس الرسول عن الآب: " الذي له وحدة عدم الموت"

يقول محاربي المسيح، إن بولس يقول الحق ولو أن الابن له أيضاً عدم الموت، عندئذٍ ليس الآب كما يقول بولس له وحدة عدم الموت. وبالتالي الابن ليس لديه عدم الموت.

مبدأ الهراطقة الخاطئ هو: أن الأمر الذي يُقال فقط للآب يُحرم منه الابن ويفند القديس كيرلس هذا المبدأ الخاطئ من شواهد الكتاب المقدس. فالآب هو الإله الحقيقي وحده كما هو مكتوب. وعلي هذا الأساس ـ بحسب زعمكم ـ يكون الابن ليس إله بحسب الطبيعة. وكما يقول القديس كيرلس، كيف يُسجد له مِنا ومن الملائكة، إذ يقول الناموس الإلهي: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (مت٤:١٠ تث٦:١٥). نرجع إلي الخواص الطبيعية المشتركة بين الأقانيم إذ تشترك في الطبيعة الواحدة والجوهر الواحد فخاصية عدم الموت كما هي للآب هي أيضاً للإبن المولود من جوهر الآب[٢٤٦].

يذكر أيضاً لهم ما قاله بولس "الذي لا يفنى ولا يُرى الإله الحكيم وحدة" (١تيمو١:١٧)، ويتسائل هل الابن ليس هو غير فانٍ ولا هو غير منظور ولا هو حكمة؟ طبعاً مَنْ يقول نعم يجدف ويضع نفسه مضاد لتعليم الكتاب لأنه مكتوب "أنه قوة الله وحكمة الله" (١كو١:١٢). بالتالي لا يُحرم الابن من أن يكون كل ما لدى الآب بحسب الطبيعة[٢٤٧]، وإلا سوف تُوصف حكمة الله بأنها غير حكيمة.

٢٤٦- أنظر الكنوز١٤:١٠٦.

٢٤٧- أنظر الكنوز١٤:١٠٧.

نص عب١ :٣ - ٤:

"جلس في يمين العظمة في الأعالي صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث إسماً أفضل منهم"

التفسير الخاطئ للهراطقة قادهم إلي إعتبار الابن من ضمن المخلوقات طالما حدث تغير- بحسب رأيهم- لأنه صار ما لم يكن عليه. هذا التغير الذي ناله الابن إذ صار أعظم من الملائكة يدل على أن طبيعته متغيرة وبالتالي هو مخلوق، لأن أحد سمات المخلوق هو التغير.

يرد القديس كيرلس على هذا المفهوم الخاطئ معطياً للهراطقة درساً في مبادئ التفسير التي هي:

- فحص الزمن الذي قيلت فيه هذه الأقوال.
- فحص الشخص الذي قيلت عليه هذه الأقوال.
- فحص الموضوع الذي تتحدث عنه هذه الأقوال.

ويعطي لنا أمثلة من الكتاب تعضد هذه المبادئ الأساسية، فالخصي يقول لفيلبس: "عن مَنْ يقول النبي هذا. عن نفسه أم عن واحد آخر؟" (أع ٨:٣٤)،

وكذلك ما قاله بولس الطوباوي عن المخلص: "لأن الذي يُقال عنه هذا كان شريكاً في سبط آخر لم يلازم أحد منه المذبح فإنه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا" (عب٧:١٣-١٤).

أيضاً النبوات الآتية: "ها العذراء تحبل" (أش٧:١٤) وأيضاً: "كشاه تُساق إلي الذبح" (إش٣٥:٧) إذ لم تُفهم على أنها تخص المسيح، فإن ذهننا - كما يقول القديس كيرلس - سوف يذهب بعيداً عن الحق[٢٤٨].

إذن السياق العام الذي قيلت فيه هذه الأقوال هو:

يقول القديس بولس، إن كلمة الله تأنس لأجلنا وعندما طهرنا من خطايانا جلس في يمين الله ضابط الكل في السماء، وحينئذٍ صار أعظم

٢٤٨- أنظر الكنوز ٢٠:١٥٥.

من الملائكة بدون أن تتغير طبيعته الإلهية إلي شئ آخر لأن قول بولس هنا لا يخص طبيعة الابن الإلهية لكن عن شئ صار في زمن التأنس. المقارنة هنا لا تخص الطبائع بل مقارنة تخص الخدمة. فخدمة المسيح هي أعظم من خدمة الملائكة (أنظر عب١:١-٣): "بعدما أحاط الابن بمجد عظيم جداً وأعطاه كل ملامح الآب الطبيعية، عندئذٍ يقول أنه صار أعظم من الملائكة بقدر عظمة الإسم الذي أخذه، كإبن ووارث وبهاء وختم الآب وصورته وخالق وجليس في عرش الآب. إذن طالما أننا فهمنا أنه هو الأعظم والمتميز عن الملائكة بسبب كل هذا، بالتالي أيضاً خدمته هي أعظم من خدمة أولئك الملائكة"[٢٤٩]. ومشكلة الهراطقة في فهمهم لمعني "صار"، لذا يقول لهم القديس كيرلس إنها "لا تعني أنه أتي إلي الوجود مِن العدم لأنه" في البدء كان الكلمة" (يو١:١)، ولا تعني تغيره من الأدنى إلي شئ أعظم (لأن الابن هو الكامل الآتي من الآب الكامل)، لكن قد أظهر عظمته مقارناً مجده ورتبته"[٢٥٠].

أيضاً لا بُد أن يدرك الهراطقة أن المقارنة هنا ليست لأن طبيعة الابن هي نفسها طبيعة الملائكة، طبيعة مخلوقة، فهناك إمكانية للمقارنة بين طبيعتين مختلفتين. كما يؤكد القديس كيرلس. لأن الكتاب المقدس يستخدم مثل هذه المقارنة. مثلاً في (أمثال ٨: ٩-١٠س): "خذوا أولاد وليس فضة، لأن الحكمة أعظم من اللآلئ وكل الجواهر لا تُساويها" وكذلك في (إش ٥٦: ٤-٥): "إني أعطيهم في بيتي وفي أسواري نصيباً وإسماً أفضل من البنين والبنات" هكذا كلمة "أعظم" و"أفضل" تُستخدم ليس لأي إختلاف بل عندما يكون الإختلاف عظيم وإختلاف فائق[٢٥١].

أيضاً لاحظ القديس كيرلس أن المقارنات بين الكائنات من نفس النوع لا تستخدم كلمة "أعظم" بل "أكثر" و" أقل" و"متميز" وبعض المرات

٢٤٩- الكنوز ٢٠:١٥٦.

٢٥٠- الكنوز ٢٠:١٥٦.

٢٥١- أنظر الكنوز ٢٠:١٥٦.

كلمة "أزيد". ويدعم هذا الرأي بشواهد من الكتاب: "هكذا يوسف أكثر جمالاً من إخوته" (أنظر تك٣٩:٦).

ونجم ليس أعظم من آخر بل يتميز عنه من جهة اللمعان. نفس الأمر عندما يُقارن المخلص بالبشر، لا يُقال أنه أعظم بالنسبة للجمال بل أكثر جمالاً من بني البشر (مز٤٥:٣).

أما في حالة مقارنة الأمور المختلفة فيما بينهما في النوع، تُستخدم كلمة أعظم، هكذا مكتوب "الحكمة أعظم من اللآلئ" (أم٨:١٩س). ويتسائل القديس كيرلس: ما العلاقة التي توجد بين الحكمة واللآلئ من جهة الطبيعة؟

ويستخلص من كل هذا البرهان الحقيقة التي يرفضها الهراطقة، وهي "طالما المقارنة بين الأشياء من نفس النوع تكون لها مثال مختلف، بينما بحسب الطبيعة لا يوجد تشابه، تُستخدم كلمة أعظم، عندئذٍ الابن ليس مشابه مع الملائكة ولا هو مخلوق مثل أولئك، لكن يتفوق عليهم بطريقة لا تُقارن، وبقوله أعظم هو بالحري لا يتشابه معهم وليس شبيه بأحد"[٢٥٢].

يواجه القديس كيرلس الهراطقة بنتائج إعتقادهم العبثية بهدف إرجاعهم من ضلالهم الواضح، فيفترض أن الابن له طبيعة مخلوقة مثل الملائكة. والنتيجة العبثية هي أنه لا يوجد شئ يعيق الملائكة عن الجلوس مع الله في عرشه مثلما يجلس الابن على يمين الله، كما هو مكتوب.

لكن يقول القديس كيرلس، ولا أحد من الملائكة يستحق هذا الإمتياز الفريد للإبن، إذ يقول بولس الرسول: "لِمَنْ مِن الملائكة قال قط أجلس عن يميني؟" (عب١:١٣). ويعرض عليهم كعادته المبدأ الأساسي وهو: "كل المتشابهات مشتركة، تلك التي تُنسب لنفس الطبيعة بينما المكتسبات الآتية إلي أشخاص ما مِن إضافة متأخرة لا تخص الجوهر، مثلما على سبيل المثال، طبيعة البشر هي واحدة لكن الجميع لا يغتنون،

٢٥٢- الكنوز ٢٠:١٥٨.

ولا بالتأكيد يصيرون ملوك، لأن هذه المكتسبات تتم للجميع بالقبول. بالتالي، ولا أحد يسمح للملائكة أن تحمل مجد الإبن، لأن هذا هو الرب بينما أولئك هم عبيد. إذن ليسوا هم متشابهون بهذا الذي يملك مع الآب في كل شئ"[٢٥٣].

يؤكد القديس كيرلس بكافة الطرق أن الابن له طبيعة تختلف جذرياً عن طبيعة الملائكة بقدر إختلاف الخالق عن المخلوق. إذ لا يمكن للمخلوق والخالق أن تكون لهما نفس الطبيعة. فالواحد يخلق والآخر يُخلقَّ. ويتسائل القديس كيرلس، إذ لم تكن الأمور هكذا، ما الذي يجعل الله يختلف عن المخلوقات ـ بما فيها الملائكة ـ قد أتت إلي الوجود بواسطة الإبن. إذن لا يمكن أن يتشابه الابن مع الملائكة من جهة الطبيعة. فهو له مكانة الخالق أم هم فلهم مكانة العبيد. لأن الكتاب المقدس يقول: "لأن الكل عبيدك" (مز١١٩ :١٩)[٢٥٤].

٢٥٣- الكنوز ٢٠ :١٥٨.

٢٥٤- أنظر الكنوز ٢٠ :١٥٨.

أسئلة على الفصل الرابع

تفسير القديس كيرلس
لبعض الآيات التي إستخدمها الآريوسيين

١. هناك أربعة أبعاد على الأقل في تفسير القديس كيرلس لنصوص الكتاب المقدس:

١. البُعد الخريستولوجي
٢. البُعد الكنسي
٣. البُعد الرُوحي
٤. البُعد التاريخي واللغوي

إستخرج هذه الأبعاد من خلال شرحه للآيات الواردة في هذا الفصل؟

٢. ما هي الأخطاء التي وقع فيها الآريوسيين في تفسير آيات الكتاب المقدس من خلال ردود القديس كيرلس عليهم والواردة في هذا الفصل؟

خاتمة

كيف أقرأ الكتاب المقدس آبائياً ؟

إن تقليد التفسير الآبائي - كما يقول كريستوفر . أ. هول[٢٥٥] - يمدنا بعدد من المبادئ التفسيرية التي من النافع للقارئ الحديث أن يُلِّم بها :

١. أقرأ الكتاب ككل لا يتجزأ

إن الآباء يؤكدون على أن رواية الكتاب هي رواية مستمرة الأحداث، هي قصة وطيدة الصلة أجزاؤها ببعض من سفر التكوين حتى الرؤيا. وليس العهد القديم بمنقطع عن الجديد ولا بمنفصل عنه. بالحري فإن الموضوعات الأساسية التي يحتويها العهد القديم تتحقق وتكمل في البنية الروائية في العهد الجديد. إن الاستمرارية وكمال الأحداث وتتميمها تميز القصة الكاملة للكتاب. والأهم من ذلك كله، أن الآباء يؤكدون على أن الرواية الكتابية تبلغ ذروتها، وقمة كمالها بالتجسد الإلهي والصلب وقيامة ابن الله، **وفي الحقيقة فإن الأحداث التجسدية والخلاصية والاخروية للعهد الجديد تعمق وتؤكد شهادة العهد القديم نفسها.** وسوف نقرأ الكتاب بشكل لا فعالية فيه وغير صحيح - هكذا يحذرنا الآباء - إن نحن فشلنا في قراءة أجزاءه المنفردة على ضوء رسالته المتكاملة الموحدة والتي تبلغ قصدها ومنتهاها في الأحداث التي ذكرناها. وفيما له صدى لهذا الأمر، فإن الباحث روبرت. و. جينسون يؤكد:

" أن كل الكتاب بكل ما فيه من امتدادات وعمق وتنوع وأدبيات متباينة إنما نقرأها كحركة متتابعة متتالية لنفس القصة. لهذا مثلاً،

٢٥٥- هذه الخاتمة من هذا الكتاب:
Christopher A. Hall , Reading Scripture with the Church Fathers,Inter Varisty Press 1998 by Christopher A. Hall, pp191-199

فإن أهم مهمة للكارز الذي يدرس ، على سبيل المثال: فصل من أمثال الرب ، هي أن يسأل ما معنى أن يخبرنا يسوع بهذا المثل، وأن الشخص الذي أخبرنا بهذا المثل هو الرب القائم رب الجميع وأن بني إسرائيل هم الذين سمعوا وآمنوا ولم يؤمنوا وأن الكنيسة هي التي تعيد إخبارنا بهذا المثل"[٢٥٦] .

وليس أي من هذه الكلمات الأساسية: يسوع - إسرائيل - الكنيسة - يمكن تفسيرها بمعزل عن وضعها ومكانها في الرواية الكتابية حيث تبلغ ذروتها في السر مثلما يعرضها كُتَّاب الوحي. فهي تستمد معانيها في إطار القصة ذاتها. هكذا فإن ألفاظ رئيسية مثل إسرائيل سوف تتنافى في مغزاها وأهمية معناها كلما تعمقنا في القصة واقترينا من ذروتها ونهايتها.

إذاً يتضمن علم التفسير أكثر من مجرد اكتشاف أو سبر أغوار قصد الكاتب. إن له مهمة أكبر وأشمل، مهمة قراءة النصوص ضمن الكتاب ككل وداخل البنية التي تحوي الموضوع الرئيسي. وهي في حقيقتها بنية تقوم على أساس خريستولوجي (الإيمان المستقيم بشخص وطبيعة المسيح). إن الخطأ في التفسير قد يحدث وهذا أمر لا مفر منه إذا كانت الأجزاء الأولى من النص قد تمت قراءتها بمعزل عن النصوص أو الإصحاحات الأخيرة للقصة.

إن المفسرين الغنوسيين مثل ماركيون مثلاً، يقرأون العهد الجديد بطريقة منحرفة ومضللة، لأنهم رفضوا أساس الرواية الكتابية الممتد في أعماق العهد القديم فلا يمكن فِهم العهد الجديد بمعزل عن القديم. ومن ثم فإن العهد الجديد بدوره يلقي بضوء جديد على القديم، فيخرج من جوفه جُدداً وعتقاً من كنوزه الدفينة في نصوصه.

256- Robert W.Jenson , " Hermeneutics and the Life of the Church ", in reclaiming the Bible for the Church, ed. Braaten and Jenson,p.97

٢- إقرأ الكتاب خريستولوجياً أي على ضوء الإيمان المستقيم بشخص وطبيعة عمل المسيح

كل الآباء يقرأون الكتاب من خلال منظور تجسد المسيح وصلبه وقيامته وصعوده. وبإجماع الآراء "يتمسكون بأن العهد القديم بكامله وخاصة المزامير على وجه الدقة هو في مجمله خريستولوجي"[٢٥٧] مثلما يعلمنا القديس إيرينيوس:

" إن كان المرء يقرأ الكتاب المقدسة باهتمام، فإنه سوف يجد هناك الكلمة حول شخص المسيح والتصور المسبق للدعوة الجديدة. إنه في الحقيقة ذلك الكنز الدفين المخبأ في الحقل، والحقل في الحقيقة هو العالم. ولكن في الحقيقة، فإن الكنز المخبأ في الكتب المقدسة هو المسيح. لأنه يشار إليه بالرموز والكلمات التي يستحيل فهمها بشرياً قبل تمام كل شيء وتحقيقه أي قبل مجئ المسيح"[٢٥٨] .

أما القديس هيلاري أسقف بوايتيه حوالي عام ٥٣٠م، فيرى المسيح وقد تم تصويره بالعديد من الصور في نصوص العهد القديم ومضمون معانيه وسياق أحداثه.

" كل جزء من الكتاب المقدس يعلن من خلال الكلمات مجيء ربنا يسوع المسيح، ويكشف بالحقائق ويؤسس بالأمثلة لهذا المجيء... لأنه هو ربنا الذي من خلال الزمن الحاضر، ومن خلال أحداث لها دلالاتها ظاهرة وحقيقية، يلد ويطهر ويقدس ويختار ويفتدي الكنيسة في الآباء البطاركة، من خلال سبات آدم وطوفان نوح وبركة ملكيصاداق وبِر إبراهيم وميلاد إسحق وأسر يعقوب"[٢٥٩] .

257- Berrand de Margerie, AmIntroduction to the History of Exegesis, vol.2, the Latin Fathers (Petersham, Mass: Saint Bedes Publications,1995),p.54

258- Iernaeus Adversus Haereses 4.26.1

259-St. Hilary Traite des Mysteres, I Pref., ed. Brisson, Sc 19 bis (Paris: Editions du Cerf, 1967), PP. 73-75.

ولندرس هنا في التفسير التالي كيف يربط هيلاري معاً: خلقة آدم من التراب: تراب الأرض، ورؤية حزقيال للعظام اليابسة التي عادت إلى الحياة وقيامة المسيح من الأموات:

" بعد أن خمدت آلامه وعند يقظة قيامته أدرك آدم السماوي في الكنيسة عظامة ولحمه التي لم تعد تتكون بعد من طين الأرض ولا عادت تحيا وتقوم بنسمة حياة، بل نمت عظاماً وأخذت جسداً واكتست لحماً من هذا الجسد ونمت وبلغت قامتها بحلول الروح... لأن أولئك الذين هم في المسيح سيقومون حسب المسيح، الذين فيهم الآن أيضاً قيامة كل الجسد قد تمت، لأنه هو أيضاً مولود بحسب الجسد جسدنا بقوة الله، الذي ولده أبوه الآب قبل بدء الدهور " [٢٦٠].

وعند الوهلة الأولى نجد أن العلاقات التي رسمها هيلاري مدهشة بعض الشيء. فحين يتذكر أن قراءة الكتاب تسير بإرشاد الركيزة الخريستولوجية الأساسية والأحداث الخلاصية، يظهر تفسيره حياً معاشاً وزاخراً بالبصيرة والرؤية الثاقبة حقاً، إن المطران تيمياديس يسأل: " ما الأمر الأكثر طبيعية من تفسير العهد القديم على ضوء الاستعلان المسيحي؟ لقد كان من الطبيعي لديهم أن يبحثوا في هذه الكتابات كيف كان المسيح حاضراً في كل صفحة باعتباره هو كمال المواعيد التي أعطاها الله لإسرائيل. وبالنسبة لهم، فإن المسيح يسوع كان المفتاح للدخول إلى العهد القديم"[٢٦١] .

يمدنا الباحث برتراند دومرجوري بموجز معين لكيفية قراءة الآباء للعهد القديم قراءة جديدة على ضوء كماله في المسيح وللباحث دومرجوري تقنية أو أسلوب يُعرف باسم "تحديث القراءة من جديد" ضمن إطار تاريخي جديد. وهو يقسم تفسير الآباء للعهد القديم إلى الخطوات التالية:

260- Ibid, 105, SC 19.

261-Timiadis, Relevance of the Fathers, P. 56.

١ـ المضمون الأصلي "قد يكون النص الكتابي قد تمت كتابته أصلاً بالإشارة إلى شخص ما ، أو ملك أو نبي".

٢ـ الأقسام التالية من العهد القديم قد "أعادت تفسير" نص ما وصورته أنه نص ذو سمة أسخاتولوجية. أي أُخروية

٣ـ التفسير اليهودي في زمن يسوع يدفع بالنص خطوة إلى الأمام نحو المفهوم الماسياني.

٤ـ ويسوع نفسه ربط النص بشخصه هو وعمله.

٥ـ ثم يعاد قراءة النص على ضوء معرفتنا بالقيامة.

٦ـ ثم تقرأ الكنيسة النص كشارح لمزيد من الإضافات التي توضح شخص وعمل المسيح القائم من الأموات.

٧ـ إن كانت هناك حاجة إلى استعمال النص لأغراض دفاعية، فإن الكنيسة تفعل ذلك، خاصة في جدلها مع المفسرين اليهود الذين فشلوا في رؤية العهد القديم متحققاً في المسيح.

٨ـ ولما كان الكنيسة يُنظر لها على أنها استمرار للمسيح على الأرض، باعتبارها جسد المسيح فإن النص سوف يُقرأ على ضوء علاقته بالكنيسة وجماعة المؤمنين فيها[٢٦٢] .

ومن الواضح، مثلما يشير الباحث دومرجوري أن بعض الخطوات قد تم إنجازها من قبل الآباء فالرسول بولس مثلاً كان قد قرأ فعلاً العديد من نصوص العهد القديم على ضوء التجسد والصلب وقيامة يسوع. إن الآباء في تفسيرهم قد أخذوا على عاتقهم دائماً إعادة قراءة النصوص الإلهية الموحى بها بالنسبة لنصوصهم الكتابية الأولى المبكرة[٢٦٣].

262-De Margerie, Introduction to the History of Exegesis, 2:3.

263-Ibid

٣- أقرأ الكتاب المقدس داخل الكنيسة جسد المسيح ومجتمع الشركة

أكد الآباء أن التفسير هو مهمة كنسية فهو يحدث في الكنيسة ولمنفعة الكنيسة. وهم يسألون هل يمكن أن تكون الأمور غير ذلك؟ إن الوعي بطبيعة الشركة للتفسير قد تم تسليط الضوء عليه بصفة خاصة في محيط الكنيسة الأولى، لأن الغنوسيون زعموا أنهم نالوا سر هذه الموهبة في الإعلان وفي التفسير كبصيرة لا يعرفها غيرهم.

وكان القديس إيرينيوس أكثر المعارضين للغنوسيين، قد رفض إمكانية هذا الزعم بالإعلان والتفسير السري لأن المعنى المقصود من شخص يسوع والرواية عنه التي أدت إلى مجيئه يمكن كشفها فقط وشرحها في داخل المجتمع الذي أسسها، ذلك المجتمع الذي يستمد وجوده الفعلي من الخطة والبنية التي يرويها الكتاب المقدس نفسه. ومثلما يشرح الباحث روبرت جنسون "أن الكنيسة هي التي تعرف خطة وجودها وقيامها وتعرف شخوص ودراما الرواية الكتابية، فالكنيسة هي مجتمع متصل مع أبطال القصة ورواتها، مثلما هي مع كل كُتَّاب الوحي وجامعيه"[٢٦٤].

ومثلما تتأمل الكنيسة جيداً رسالة الإنجيل وعلاقتها برواية العهد القديم، فقد صاغت قاعدة الإيمان وهي نوع من الإيجاز الشديد لقلب الرسالة المسيحية، لتساعد أعضائها على فهم قلب المعتقد المسيحي وليقرأوا الكتاب نفسه جيداً. ويبدو وكأن الآباء يملكون وعياً داخلياً بميل المؤمنين فرداً فرداً خاصة أولئك الذين هم صغار في الإيمان، والذين يرتبطون بالموضوعات الأساسية الأقل أهمية وبالموضوعات الثانوية، ولهذا حين لخصوا الإنجيل فيما يسمى بقاعدة الإيمان، فقد قصدوا التركيز على الثوابت الغير قابلة ولا خاضعة للتفاوض، وهي تلك الحقائق التي على كل المسيحيين الإيمان بها إن كانوا يريدون فعلاً وحقاً حمل اسم المسيح.

و بالتالي بالنسبة للآباء، علم وقواعد التفسير الكتابي ليس علماً

264-Jensn, "Hermenevtics and the Life of the Church", PP. 97-98.

موضوعياً، يمكن ممارسته بواسطة أي باحث داخل أي مضمون. بالحري **فإن علم التفسير الكتابي قد أصبح في المسيح عملاً روحياً يتسم بعمق الشركة والموهبة التفسيرية** ويمكن ممارسته بأمان وحكمة وفعالية فقط بواسطة أولئك الذين انغمرت عقولهم وقلوبهم وتشكلت بالإنجيل نفسه، **في داخل المجتمع الكنسي** مجتمع الشركة والتأمل والتكريس والعبادة وبحسب رأي برفارد تشايلدز:

" يعني هذا أن التفسير السليم لا يستوجب البدء أولاً بقراءة موضوعية خالصة أو حيادية يضاف إليها فيما بعد عنصر الإيمان بل بالحرى ومنذ البداية ينال القارئ المسيحي نقطة خاصة من الاستعداد من خلالها يتماهي هو نفسه مع الإيمان الرسولي ويتوحد في انتظار كلمة جديدة من الله بالروح القدس "[٢٦٥].

إن المفسرين الآباء قد أنجزوا مهمتهم في الكنيسة ولخير الكنيسة، وهي فكرة تبدو غريبة على أذهان العديد من الدارسين المعاصرين الذين يمارسون عملهم في الأكاديميات الدراسية، وأساساً لصالح هذه المحافل الدراسية الأكاديمية. لهذا، كما يقول تشايلدز "فإن التحدي الذي يواجهونه بزعم أن ما يفعلونه هو لصالح الكنيسة يبدو مستحيلاً، خاصة إذا كانت خطتهم الأكاديمية في الدراسة تسير في الاتجاه المعاكس تماماً"[٢٦٦].

٤ . أقرأ الكتاب ضمن حياة الصلاة والعبادة والممارسات الروحية :

إن الذين يقرأون الآباء لأول مرة يحتاجون إلى إدراك. ما يمكن للآباء أن يقدموه لهم وما لا يمكن أن يقدموه في تفسيرهم للكتاب. إن للمفسرين الآباء أدوات قليلة لغوية وتاريخية ولاهوتية تتاح لهم في دراستهم للكتاب أقل كثيراً من تلك الأدوات التي توفرت للمفسرين المحدثين. أن الطلاب الذين يأتون إلى التفسير الآبائي ويتوقعون أن يصادفوا تفسيراً حديثاً سوف يتصرفون وقد أصابهم اليأس.

265- Childs, " on Reclaimming the Bible", P. 10.

266-Ibid, P. 17.

ومع ذلك يمدنا التفسير الآبائي بأساس لا غنى عنه وبعون حيوي بالغ للعديد من طرق التفسير الحديث. إن تأكيد الآباء على العلاقة بين الصحة الروحية، والحياة في الكنيسة، والتفسير لكُتَّاب الكنيسة يخزي الاتجاه والميل المعاصر لفصل الدراسة الكتابية عن الروحانية والعبادة. إن المطران تيمياديس يقر بحاجتنا إلى الدراسة النقدية الحديثة، لكنه يقول ويؤكد بشدة أن التفسير ليس هو الامتياز الوحيد للأكاديمي المعاصر.

إن للتفسير العديد من الملامح الأخرى ، فالآباء يساعدوننا بشكل كبير ومذهل في العثور على المقابل لهذا الفراغ والفقر الروحي الذي تعانيه معظم التفاسير الحديثة والتي تحت زعم الظهور في هيئة وشكل علمي ونقدي صارم وتاريخي مدقق تتجاوز وتهمل البُعد الأساسي لخلاصنا في الكتاب المقدس. إننا اليوم على بُعد عشرين قرناً من كُتَّاب العهد الجديد، لكن الآباء كانوا الأكثر قرباً منهم. وأكثر قرباً من الأحداث الجارية وأكثر قدرة وفهماً على اقتناص الروح الكامن خلف سجلات الكتاب"[٢٦٧].

إن قرب الآباء تفسيرياً وتاريخياً من كنيسة العهد الجديد وتقليدها الرسولي يتطلب أن ننصت باهتمام لرؤاهم التفسيرية ونصحهم وبصيرتهم وحدسهم. إن الموسيقا التي يسمعونها كلما أنصتوا إلى كُتَّاب الوحي الإلهي تختلف غالباً عن الأنغام والألحان التي يتمتع بها الدراسون المعاصرون. إنها تحوي ملاحظات ونماذج وهرمونيات متناغمة وحركات لا تسمعها الأذن الصماء الحديثة.

هم أكثر قدرة واعتياداً على إدراك واقتناص الأفكار الرئيسية وتحدي المعنى الحقيقي للموضوعات الأساسية للعهد الجديد أكثر من الكتَّاب المعاصرين المدربين في مدرسة البنيوية أو النقد العقلاني، حيث يأخذ تفكيرهم منحى مختلفاً في أمور بعيدة تحركها عقلية مختلفة

267-Timiadis, Relevance of the Fathers, PP. 55-56.

تماماً. وبالطبع، فإننا لا نقترح استثناء التفسير النقدي، وليس هناك ضرر في قبول منهج ما كمدخل يقترب من الكتاب المقدس لكن من الأهمية بمكان إدراك أن التفسير الآبائي يقدم لنا تصحيحاً لا غنى عنه، يحمل في طياته حدساً مستقيماً وفهماً عميقاً لمعنى النص الكتابي [٢٦٨].

وتقريباً، فإن كل الآباء كانوا رعاة في الكنيسة، والعديد منهم كانوا أساقفة، وكقادة للكنيسة لم يتوفر لهم ترف الدراسة الكتابية الأكاديمية كتمرين أكاديمي. وقد تم وتحقق عملهم التفسيري في إطار تجهيز وتحضير العظات أو تعليم الموعوظين.

وكلما كانوا يقرأون نصاً ما كانوا يسألون أنفسهم، ما هي رسالة كلمة المسيح للكنيسة عندي في هذا الشأن؟ وكيف يمكن كراع لقطيعي أن أرعاه بفاعلية أكبر من خلال كرازتي ووعظي بهذا النص الذي يدعوني ويدعو شعبي إلى الإنصات إليه، وكيف يخاطب هذا النص قلبي وعقلي؟ وأين أو إلى أين دعوة هذا النص يقودني إلى الاستماع؟ أو إلى التغيير؟ أو إلى التوبة؟ أو إلى النمو الروحي؟

إن قلب الراعي الذي ينعكس في الأدب الآبائي ويبقى غنياً وثرياً ودفيناً لم يكشفه أحد بعد كحقل دفين على الرعاة والمعلمين سبر أغواره. ولأن الآباء كانوا مؤسسين جداً على الرواية الكتابية ومضامينها، وتداعياتها للصحة الروحية. فقد رفضوا السماح لطلابهم أن يتعاملوا مع النصوص الكتابية بشكل مجرد كأمر مطلق، أو كمثير أو مُحَفِز عقلي لا علاقة له بالدعوة اليومية للاقتداء بالمسيح بالقول والفعل.

تأمل مثلاً، جهاد أغسطينوس مع الكتاب المقدس، وهو شاب صغير لا يزال في مهد الإزدهار فكرياً. لقد أراد أن يدرس الكتاب ولكن وهو بعد بعيد عنه، وفي كتابه الشهير اعترافاتي يربط أغسطينوس موقفه الشكوكي نحو الكتاب المقدس بكبريائه: " لقد كانت (أي الكتب

268-Ibid, P.56.

المقدسة) تتمتع بطبيعة النمو في صغاركم. لكنني لم أحتمل فكرة أن أكون صغيراً، لقد كنت منتفخاً بالكبرياء، وكنت في نظر نفسي رجلاً كبيراً عظيماً. وفي عظة أخرى تالية يتذكر هذه النظرة المنحرفة كشاب صغير:

أنا الذي يتحدث إليكم، كنت مخدوعاً في الماضي إذ وأنا بعد طفل، حاولت أن أطبق منهج النقد للكتب الإلهية بدلاً من أن أدرسها في تقوى وبسبب أخلاقي المنحلة، أغلقت كل حواسي عن الاقتراب من الرب... وفي كبريائي تجاسرت أن أطلب ما لا يمكن أن يطلبه الإنسان إلا إذا مارس الاتضاع أولاً " [٢٦٩]

ويلاحظ الباحث برتراند دومارجيري أيضاً في كتاب "الإيمان النافع والعامل" والمكتوب قبل "الاعترافات" بسنوات عدة، إن تجميع أغسطينوس لقراءة الكتاب المقدس بطريقة خاطئة ظل محفوراً في ذاكرته:

" نحن صفوة الشباب المفكر والباحثين النابهين العقلاء، لم نكن دائماً نفتح هذه الكتب. دون البحث عن معلمين، دون حتى أن نتهم أنفسنا لغباوتنا وحتى دون أن نفهم ولو لأقل حد هؤلاء الرجال الذين أرادوا لنا منذ زمن طويل أن نقرأ وأن نفحص ونتعمق في عالمهم كله، وظننا أنهم غير جديرين بثقتنا فيهم وكان هذا الرأي فينا بسبب كلمات أولئك الذين كانوا أعداءً وخصوماً لهم لأناس كان من الأحرى بنا ألا نقدرهم ونؤمن بهم تحت الزعم الباطل والتظاهر بالتعقل والتفكير وهم يتسترون على آلاف الأكاذيب والخداع"[٢٧٠].

وهناك رسالة كتبها إلى أسقفة فاليروس، كُتبت بعد رسامته بفترة وجيزة يكشف جيداً عن تحوله الدرامي في آرائه، لقد كان يقرأ الكتاب بوضوح وبعينين جديدتين وبموقف جديد، وتلاشى كبرياؤه وثقته بذاته:

269-Augustine Sermo 51, 4-5 (PL 38, 336).

270-Augustine De utilitale credenda 613.

" كان عليَّ أن أدرس كل علاجاتي في الكتب المقدسة وبالصلاة مع القراءة حتى يهبني القوة الكافية على أداء مثل هذه الواجبات الصعبة، التي لا تقوى عليها نفسي. لم أكن أقوى على فعل ذلك من قبل. إذ كان يعوزني الوقت، لكن ما أن تمت رسامتي حتى عزمت أن أخصص كل وقت فراغي في دراسة الكتب المقدسة... فأعينوني... بصلواتكم ... أنا أعرف أن الرب لا يزدري بمحبة الصلوات في هذه الحالة، بل يقبلها كذبيحة حلوة وهو سوف يستعيدني في زمن أقل مما طلبت منه، متسلحاً بالمعرفة المخلصة (الخلاصية) من الكتب المقدسة"(٢٧١).

وحذر أوريجينوس أيضاً ضد المدخل المضلل للتفسير، خشية أن تتسبب الألفة مع الكتب المقدسة في زرع الكبرياء وتوالدة، الأمر الذي يشتت قدرة الإنسان على قراءة الكتاب جيداً. فلنحذر أيضاً ونحن قريبون دائماً من بئر الماء الحي... لهذا نحن في حاجة إلى دموع كثيرة وصلوات بلا انقطاع ليفتح الرب عيوننا.

لكن لماذا استخدم هذا المجاز أعني فتح عيوننا؟ وهي مفتوحة أصلاً. لأن يسوع قد جاء ونزل ليفتح عين الأعمى ولينزع عنها برقع الناموس(٢٧٢)، ولنتأمل أيضاً نصح جيروم إلى راهب رستيكوس: "اجعل قلايتك فردوسك، وأجمع فيها كل ثمار الكتاب المقدس، ابتهج افرح بهذه الكتب المقدسة، وأنعم بالعلاقة الحميمة معها. لا ترفع يدك ولا عينيك أبداً عن كتابك، إدرس وتعلم مزامير كلمة كلمة، صَلِّ بلا انقطاع"(٢٧٣). تأملوا ملياً أيضاً مشورة جيروم إلى ألصق صديقين له: "إن كان هناك أي شيء، يا بولا ويا أستوخيوم، يمكنه هنا أن يحفظنا ويثبت نفوسنا متزنة راسخة، وسط اضطرابات وقلاقل هذا العالم، فإني اعتقد أنه أولاً وقبل كل شيء التأمل في معرفة الكتب المقدسة"(٢٧٤).

271-Augustine, Epistle 21 to Bishop Valerius, Par. 3ff, PL33,88.

272-Origen Homily on Genesis 7.6.

273-St. Jerome, Epistle 125, 7.3, 11.1.

274-St. Jerome, Prologue to the Conentary on the Letter to the Ephesians, PL 26. 439.

ويعرض القديس إمبروسيوس أيضاً بصيرته العميقة عن العلاقة بين حالة قلبه وقدرته على قراءة الكتاب المقدس جيداً في الصلاة الموجودة بالقرب من تفسيره لمزمور ١١٨، ١١٩ في السبعينية، إن الآية الأخيرة من المزمور هي صلاة للرب لطلب المرنم الذي تاه بعيداً "ظللت كشاه ضالة أطلب عبدك، لأني لم أنس وصاياك" (آية ١٧٦)، ويصلي القديس إمبروسيوس كرد فعل:

تعال أيها الرب يسوع، لتطلب عبدك، لتبحث عن الغنمة الضالة. تعال أيها الراعي وأبحث عني مثلما بحث يوسف عن أخوته (تك ٣٧: ١٦)، لقد ضل خروفك بعيداً، بينما كنت تمكث في الجبال. أترك هناك التسعة والتسعين خروفاً وتعال أطلب الخروف الضال. تعال بدون الكلاب، بدون العمال الأردياء، بدون الأجراء الغرباء الذين لا يدخلون من الباب.

تعال دون أن يساعدك أحد أو يلاحظك أحد. لقد انتظرت وصولك طويلاً، أعرف أنك ستأتي لأنني لم أنسى وصاياك، تعال ليس بسوط بل بمحبة ورقة قلب. تعال إليَّ لأنني متعب، ومضطرب من غارات الذئاب الضاربة، تعال إليَّ لأنني طردت من الفردوس. لقد تهت بعيداً عن القطيع الذي يرعى على المرتفعات. لقد وضعتني هناك، لكن الذئب الذي كان يحوم ويعوي ليلاً أبعدني عن القطيع الرابض في الحظيرة. تعال وأطلبني واعتن بي لأنني أنا أيضاً أطلبك، أبحث عني، جدني، ضمني إليك، أحملني... فأنت تقدر أن تجد من تطلبه، وتحب أن ترحب بمن تجده، وأن تضعه على كتفيك، تعال بنفسك لتطلب خرافك وغنم مرعاتك، عِوض أن ترسل خدامك أو أجراءك يبحثون عني... أجذبني إليك في هذا الجسد الذي فشل في آدم، وأجذبني إليك ليس من سارة، بل من مريم، أحملني على صليبك الذي هو خلاص الهالكين والراحة الوحيدة للمبعثين، على صليبك الذي كل من يموت يحيا به من جديد "[٢٧٥].

275-St. Anbrose, Expositio in Ps. 118, Serma 22.28 -30, PL 15, 1520-1521.

وهذه الاقتباسات المطولة من أغسطينوس وأوريجينوس وجيروم وأمبروسيوس يمكن أن تساعدنا على أن ندخل بعمق أكثر إلى داخل قلوبهم... وربما بالإنصات إلى قلوبهم يمكننا أن نتعلم كيف نثق بهم، بل وأن نحبهم.

ويقترح الباحث مايكل كيزي أن إحدى طرق التغلب على مصاعب التواصل التي نختبرها عند لقائنا بالآباء هي أن نصبح منخرطين عاطفياً، مع أحد شخوص الكنيسة القديمة. وقد يؤدي بنا هنا إلى قراءة سيرة حياة يمكن أن تساعد على إحياء هذا الشخص إن قراءة الرسائل هي طريقة أخرى لنعتاد على شخص ما ونتآلف معه[٢٧٦] .

276-Michael Casey, Sacred Reading: the Ancient Art of Lectio Divina (Liguori, Mo: Triumph Books, 1996), P. 113.

إن التفسير الكتابي للآباء يلتف حول المسيح كمحور ومركز. فالمسيح يسوع هو كمال النبوات والأمثلة والوعود المذكورة في العهد القديم، ويجمع في شخصه التاريخ كله. وبالتالي فإن يسوع المسيح هو «هدف» الكتاب أي البداية والمركز والغاية بالنسبة للتفسير الكتابي، إنه مفتاح العهدين: القديم والجديد.

يُطلب هذا الكتاب من :

- جذور للتوزيع تليفون: ٢٦٣٣ ٨١٣٧
- georgeibrahim2257@yahoo.com

سعر النسخة

٢٣,٠٠